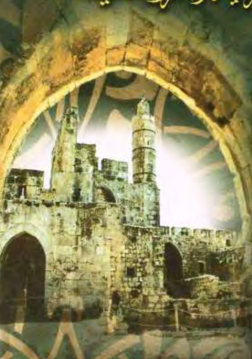
الحقائق الإلهية في تائيات الصوفية

عشرون تائية صوفية في أنوار الطريقة وأسرار الحقيقة

١ـ تائية الغزالي
٢ـ تائية الجيلاني
٣ـ تائية ابن الفارض
٤ـ تائية ابن عربي
٥ـ تائية السنجاري
٦ـ تائية الدسوقي
٧ـ تائية عبد السلام المقدسي
٨ـ تائية عامر البصري
٩ـ تائية محمد وفا
١٠ـ تائية علي وفا
١١ـ تائية محمد البكري
١٢ـ تائية زين العابدين البكري
١٣ـ تائية عبد الغني النابلسي
١٤ـ تائية علي البيومي
١٥ـ تائية محمد البوزيدي
١٦ـ تائية عمر اليافي
١٧ـ تائية محمد الحراق
١٨ـ تائية أبي الفيض الكتاني
١٩ـ تائية عبد القادر الحمصي
٢٠ـ تائية أحمد العلاوي



جمع وإعداد
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الحقائق الإلهية في تائيات الصوفية

عشرون تائية صوفية في أنوار الطريقة وأسرار الحقيقة

١ - تائية الغزالي
٢ - تائية الجيلاني
٣ - تائية ابن الفارض
٤ - تائية ابن عربي
٥ - تائية السنجاري
٦ - تائية الدسوقي
٧ - تائية عبد السلام المقدسي
٨ - تائية عامر البصري
٩ - تائية محمد وفا
١٠ - تائية علي وفا
١١ - تائية محمد البكري
١٢ - تائية زين العابدين البكري
١٣ - تائية عبد الغني النابلسي
١٤ - تائية علي البيومي
١٥ - تائية محمد البوزيدي
١٦ - تائية عمر اليافي
١٧ - تائية محمد الحراق
١٨ - تائية أبي الفيض الكتاني
١٩ - تائية عبد القادر الحمصي
٢٠ - تائية أحمد العلاوي

جمع وإعداد
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: Al-ḥaqā'iq al-'Ilāhiyyah fī Tā'iyyāt al-Ṣūfiyyah
(Mystic poems on rhyme "T")

classification: Sufism
Editor: Dr. Āṣim Ibrāhīm Kayyāli
Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages: 208
Year: 2007
Printed in: Lebanon
Edition: 1st

الكتاب: الحقائق الإلهية
في تائيات الصوفية
التصنيف: تصوف
المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 208
سنة الطباعة: 2007
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4751-X (10 dig)
ISBN 978-2-7451-4751-6 (13 dig)

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbeh,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
Po Box 11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون ، القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا انكشاف، والباطن بلا خفاء، الأحد من حيث تجليات ذاته، والواحد من حيث تجليات أسمائه وصفاته، منزَّه عن معرفة العقول وشهود الأبصار، ومتجلِّي للبصائر والأرواح والأسرار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآيات ٢٢ - ٢٣]».

والحمد لله تعالى الذي كرَّم بني آدم، وخلق الإنسان في أحسن تقويم بيدي الجلال والجمال، وجعله خليفة في أرضه، وخاتماً على مملكته، فهو الأنموذج الكامل المخلوق على الصورة الإلٰهية من حيث التحقق بأسماء الله تعالى الحسنى كل ذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: الآية ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التّين: الآية ٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٠]، وقوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»، وفي رواية: «على صورة الرحمٰن»، وقوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة».

وصلِّ اللهم على سيِّدنا محمد الأول بروحه والخاتم بجسمه ورسالته، الإنسان الكامل الخليفة في أرض ملكه، وسماء ملكوت قلبه، وعماء جبروت سرّه.

وبعد، ففي إطار الحديث عن الإنسان الكامل، أو الحقيقة المحمدية، أو الحق المخلوق به، أو حقيقة مقام الإحسان مقام عبادة الله تعالى على الشهود والعيان، نقدم للقرّاء الكرام عشرين تائية صوفيَّة لكبار العارفين بالله تعالى، الذين تحدَّثوا عن هذه الحقائق بأسلوب شعري تنتهي أبياته بحرف التاء، وقد رتِّبت هذه التائيات بحسب

ولادة ووفاة مؤلفيها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى اعتماد علماء التصوُّف العارفين بالله تعالى، ما يسمى بالإشارة، وهو أسلوب التورية والكناية والمجاز في التعبير عن مواجيدهم القلبيَّة وأسرارهم الروحيَّة الجبروتيَّة، واصفين بها التجليَّات الإلٰهية الذاتيَّة والأسمائية والأفعالية.

ويعتبر الشعر خير معين لهم في ذلك بعيداً عن إفشاء الأسرار الربانيَّة التي تتسبب في هلاكهم بسبب الفهم الخاطىء، إذ معارفهم هي معارف ذوقيَّة وليست عقليَّة، وفي ذلك قال الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه واصفاً علوم الصوفية الذوقية: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم»[رواه البخاري في صحيحه].

وقال الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب زين العابدين رضي الله عنهم:

إني لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى العلم ذي جهل فيفتتنا
وقد تقدَّم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصىَّ قبله الحَسَنا
يا ربَّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي: أنت ممَّن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حَسَنا

وتُنسب هذه الأبيات أيضاً للحسين بن منصور الحلاج، وربما يكون قد تمثَّل بها فنُسِبت خطأً إليه.

وقال السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري المتوفى سنة ٥٣٣ هجرية:

شهدت أنك فرد واحد نطقت ... بفضله سور القرآن عن أمم

إلى قوله:

لولا مخافة قومٍ لا عقول لهم ... فيما أقول وما أُبدي من الحِكم
لقلت فيك مقالاً لو أبوح به ... كي يسمعوه لقالوا عابد الصنَّم

والتائيات موضوع الكتاب هي للعارفين بالله تعالى التالية أسماؤهم:

١ ـ محمد الغزالي: ٤٥٠ ـ ٥٥ هـ.

٢ ـ عبد القادر الجيلاني: ٤٧٠ ـ ٥٦١ هـ.

٣ ـ عمر بن الفارض: ٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ.

٤ ـ محيي الدين محمد بن عربي: ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ.

٥ ـ حسن السنجاري: ٥٨٣ ـ ٦٣٨ هـ.

٦ ـ إبراهيم الدسوقي: ٦٣٣ ـ ٦٧٦ هـ.

٧ ـ العز عبد السلام المقدسي: ٠٠٠ ـ ٦٧٨ هـ.

٨ ـ عامر البصري: ٠٠٠ ـ ٦٩٦ هـ.

٩ ـ محمد وفا: ٧٠٢ ـ ٧٦٥ هـ.

١٠ ـ علي وفا: ٧٥٩ ـ ٨٠٧ هـ.

١١ ـ محمد البكري: ٨٩٨ ـ ٩٥٢ هـ.

١٢ ـ زين العابدين البكري: ٩٧١ ـ ١٠٠٧ هـ.

١٣ ـ عبد الغني النابلسي: ١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ.

١٤ ـ علي البيومي: ١١٠٨ ـ ١١٨٣ هـ.

١٥ ـ محمد البوزيدي: ٠٠٠ ـ ١٢٢٩ هـ.

١٦ ـ عمر اليافي: ١١٧٣ ـ ١٢٣٣ هـ.

١٧ ـ محمد الحراق: ١١٨٦ ـ ١٢٦١ هـ.

١٨ ـ محمد الكتاني: ١٢٩٠ ـ ١٣٢٧ هـ.

١٩ ـ عبد القادر الحمصي: ٠٠٠ ـ ١٣٥٣ هـ.

٢٠ ـ أحمد العلاوي: ٠٠٠ ـ ١٣٥٣ هـ.

وفي الختام، لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوُّف الإسلامي تساعد المُريد على الإطّلاع على الأحوال والمقامات، التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقّق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٩]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية

وتربية شيخه العالِم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة، المُلْك والملكوت والجبروت؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أنوار أسرار ما تعبَّدنا لله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيتان ٣،٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية ٦٩]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان ٢٢،٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

مراجع

تراجم مؤلفي التائيات

١ـ العلّامة محمد الهاشمي مربي السالكين، للدكتور محمد رضا القهوجي.

٢ ـ السلسلة الذهبيَّة في التعريف برجال الطريق الدرقاوية، لمصطفى العشعاشي.

٣ ـ معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض.

٤ ـ أعلام الشاذلية، لحسام الدين ورد.

٥ ـ طبقات الشاذلية الكبرى المسمى بجامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، لمحمد الكوهن الفاسي المغربي.

٦ ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي.

٧ ـ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة.

٨ ـ (CD) الموسوعة الشعرية، إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٩ ـ رحلة إلى الحق، للعارفة بالله السيدة فاطمة اليشرطية.

تائية الشيخ الغزالي(*)

[٤٥٠ ــ ٥٥٥هـ/ ١٠٥٨ــ ١١٦٠م]

بنور تجلّى وجه قدسك دهشتي وفيك على أن لا خفا بك حيرتي
فيا أقرب الأشياء من كل نظرة لأبعد شيء أنت عن كل رؤية
ظهرت فلمَّا أن بهرت تجلّياً بطنت بطوناً كاد يقضي بردتي
فأوقعت بين العقل والحس عندما خفيت خلافاً لا يزول بصلحة
إذا ما ادعى عقل وجودك منكراً على الحس ما ينفيه قال له أثبت
فمن ها هنا منشأ الخلاف ويصـ ـعب الوفاق بخلف في اقتضاء الجبلة
فإن قلت لم أبصرك في كل صورة أراها أحالت ذاك عين بصيرتي
وإن قلت إني مبصر لك أنكرت مقالي ولم تشهد بذلك مقلتي
تجلَّيت مني فيَّ حتى ظهرت لي خفيت خفاء دقَّ عن كل فكرة
على أنه لم يبق لي جبل رأى تجلِّيك لي إلاَّ ودُكَّ بصعقة
وناجيتني في السر مني فأصبحت وقد طويت عما سواك طويتي
فما في فضل عنك يخطر فيه لي سواك فوقتي فيك غير موقت

---

* هو المحقق الشيخ محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد. حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف بعضها بالفارسية، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان). رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته.
نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف.
من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، رد عليه الفيلسوف ابن رشد بكتاب: تهافت التهافت، وله كتاب محك النظر، ومعارج القدس في أحوال النفس، والفرق بين الصالح وغير الصالح، ومقاصد الفلاسفة، والمضنون به على غير أهله، والوقف والابتداء في التفسير، والبسيط في الفقه، والمعارف العقلية، والمنقذ من الضلال، وبداية *الهداية*.

وديعة روح القدس نفسك ردها فمن واجبات العقل رد الوديعة
وما ردَّها إلاَّ بتكميلها بما يليق بها من كسب كل فضيلة
فمهما تجلَّت من كدورات عالم الطبيعة شفت جوهراً وتجلَّت
نصحتك جهدي أن قبلت فلا تكن على حكم غشى حاملاً لنصيحة
وعابة مقدوري فقلت وإنما قبولك مما ليس في وسعد قدرتي
وهل ممكن إسعاد من كل قد جرى له قلم في اللوح يوماً بشقوة
يظن الفتى لذات دنياه نعمة وما هي إلاَّ نقمة في الحقيقة
ويبلغ منه الجهل ما ليس يبلغ العدو بحدِّ السيف عند الحضيضة
ونفسك فاحفظها وصنها فإنما سعادتها في فعل كل مشقَّة
وخالف هواها ما استطعت فإنه عدوّ لها يبغي لها كل نكبة
لعمري لقد أنذرت إنذار مشفقٍ وجاوزت في الإيضاح حدَّ الوصية
فقم واسع وانهض واجتهد وابغ مطلقاً يداك على ما فيك شر صنيعة
فإنك من نور مضيء وكظلمة بما فيك من جسم ونفس نفيسة
تسوس الحياة الجسم وهي مسوسة بما فيك من أسرار علم مصونة
فشيطان رجم أنت أو ملك بما تعانيه من فعل قبيح وعفّة
ألا إن لي بالنفس مني شاغلاً به تمَّ لي ما دمع من ملكية
جلت شبهة الأعراض عني بديهة توقد كالمصباح في جوهريتي
رأيت بها النور الإلٰهي لائحاً وراء ستور للأمور دقيقة
فحققت ما قد كنت فيه مشككاً وعاينت ما قد كان في سرٍّ خفية
وأدركت ما المقصود من بدأتي وما المراد بإحيائي وموتي ورجعتي
بمرآة نفس لاح في صقالها المقابل للكونين كل حقيقة
ولم يبق عندي ريبة في الذي استرا ب منه أناس في أمور كثيرة
فألقت عصاها النفس مني وأيقنت بأن سفرت عن وجه نجعي سفرتي

يدل على ما قلته حالة الكرى ... إذا ركد الإحساس منك برقدة
فما شفيت نفس أطاعته رهبة ... وما سعدت نفس عصته لرغبة
ولكن بنور العلم تسلم هذه ... وتعطب جهلاً تيك أقبح عطبة
فيا عجباً ممن يروم لنفسه ... خلاصاً ولم يرغب بها عن جريرة
ومن تائب من ذلّة لا ترى له ... دموع كأفواه الغمام المكبة
ومن مخبر لا يعجز اللّه قدره ... عليه ولا يخشى بوادر نقمة
ومن أشرقت أنوار مرآة عقله ... على ظلمات الطبع منه تجلّت
وثبت غرس العقل في القلب مثمراً ... لباغي الحيا استقباح كل رذيلة
وما وصلت نفس إلى عالم الصفا ... بما دون تحصيل العلوم الجليلة
وتمييزها عن نوعها بمعارف ... يروجها في عالم البشرية
وقد يملأ الأناء فيمتلىء ... به الماء حتى لا مزيد لقطرة
فأخرجتني عني بإدخال محنة ... وأوحشتني مني بأنس محبة
وأسقيتني من خمر حبك شربة ... خماري بها باق إلى يوم بعثتي
محاني بها سكري وأثبتني معاً ... فأعجب شيء أن ماحي مثبتي
وأقربتني من رمز طرسي أسطراً ... فتمَّت بها تفصيل عقدك جملتي
وأقررتني مني عليَّ بأنني ... صحيفة سرّ طيها فيه نشرتي
وأفشيت بي سري إليَّ فأصبحت ... وقد أعربت إذ أفصحت عنه عجمتي
وأفهمتني مني بأن ليس موطني ... مكاناً به في عالم الحس نشأتي
فأبهت ما أفهمت إذ ليس مدرك ... لذلك إلاَّ من خصصت بحكمة
ومن ذا الذي خصصت منك بحكمة ... ولم تك قد عمَّمت منك برحمة
فكم أظهرت تلك الإشارات خافياً ... وإن عزبت عن فهم قومٍ ودقَّت
وما لاح ذاك البرق إلاَّ ليهتدي ... به الركب لكن ظلمة الجهل أعمت
لقد سمع الواعي وقلَّ الذي وعى ... لسكرٍ به أهوى أصمت فأصمت

وكم لك داع منك فيك مبصر ... لعقلك لكن لست تصغي لدعوة
وكل مريض الجسم يمكن برؤه ... ويعجز أن يشفى مريض البديهة
ويستبعد الجهال كوناً بموطن ... إذ كان لا في جنب منبت شعبة
ولو علموا ما عالم العقل منهم ... وأنهم بالحس في دار غربة
إذا ولد المولود سروا بفرحة ... ومن حقه أن يبدلوها بترحة
ويبكونه عند الممات جهالة ... ومن حقه إظهار كل مسرة
ولم يعلموا أن الولادة غربة ... أُبيحت له عن خير دار وأسرة
وموتته عود له نحو أهله ... وأوطانه الأصلية المستلذّة
وأعجم من هذا مقال جميعهم ... ترى عابدي الأوثان أجهل أمَّة
وما عظم الأوثان من كان قلبهم ... كتعظيم أجسام لهم مضمحلة
فكل غدا معبوده الجسم فاستووا ... ولكنهم لم يستووا عند نيَّة
لقد وقعوا مع علمهم في ضلالة ... إذا اعتبرت أربت على كل ضلّة
فيا ليت شعري كيف صُمَّت عقولهم ... وداعيك فيهم مسمع من كل فطنة
وكل فعال لم أكن متقرِّباً ... إليَّ به أعظمت فيه خطيتي
فقربي به بعد وربحي خسارة ... وعزِّي به ذلّ ونفعي مضرِّي
لأني فيه قمت غير موجه ... لدى فعله وجهي إلى وجه وجهتي
فدنت بأمر حرَّمته شريعتي ... وأحييت حكماً قد أماتته سنّتي
فكانت بتركي في مناهيه غفلتي ... نهاية تأديبي وفرط عقوبتي
تشتَّت عقلي فيك بعد تجمُّع ... كما اجتمعت بلواي بعد تشتُّت
هوىً فيك لي لا منتهى لامتداده ... لدي ولا منه خلاص بلوة
أزيد بلًى إذ يستجد ولم يكن ... بتجديد صبري فيه أبلى بليتي
ويبدي أولاً منه وآخر ... فقد شفّ جسمي سر عودٍ وبدأةٍ
ألا لا تلمني إن شطحت فإنه ... قليل لسكر حل بي منك شطحتي

ولا تنهني إن تهت سكراً معربداً فأنت الذي استحسنت فيك هنيكتي
ولا تلح إن غنيت فيك تطرُّباً فلو وجدت وجدي الجبال لغنَّت
ومن عجب حمل الجبال هوى به طلعت وعن حملي قديماً تأبت
فمن قيس ليلى العامرية في الهوى ومن قيس لبنى أو كثيِّر عزَّة
إذا تليت ذكري فقابل الـ ـمجنون ذكري بالسجود لحرمتي
وأوجب كل منهم الوقف عندما وسلِّم أن لا قصة مثل قصتي
فمن فضل كاسي شرب غيري ولم يكن يقاس بسكري سكر شارب فضلتي
يبلبل بالي لا لنوح حمامة وينهل دمعي لا لإيماض برقة
لو كنت محتاجاً للتنمُّم باعث يحرِّك أشجاني لبانت نقيصتي
ولكنني مني وفيَّ نواعش تحرِّكني في كل سرٍّ وجهرة
فلا رقدة تغدو عليَّ بفترةٍ ولا يقظة تغدو عليَّ بغفلة
فمن يشك يوماً في هواه فإنني لي الشكر أولى في الهوى من شكيتي
تستَّرت جهدي في هواك وطاقتي فلما منعت الصبر أبديت صفحتي
فأعلنت ما أسررت فيك فلم يكن بقول ولا فعل سواك فضيحتي
فما لاشتياقي في افتضاحي مدخل ولا لدموع فيك لي مستهلة
وقد كان لي في الصبر ستر على الهوى بهتكك ستر الصبر أظهرت عورتي
فلا تَذَهُّب في الحب يشبه مذهبي ولا ملَّة فيه تُقاس بملَّتي
يكل لساني عن صفاتي وإنما يعبِّر عني أنني ذات وحدة
فكل نعيم دون وصلي شقوة وكل ملذٍّ سؤلم عند لذَّتي
وكل سبيل ليس يفضي سلوكه إليَّ فقد أفضى إلى كل خيبة
ولا هوًى لي فيكِ يحملني على حنوي لم أعهد إليك بلفظة
وكنت إذا زلت بك النعل هاوياً أقول ألا فاذهب إلى حيث ألقت
ولكن ما ينجيك ينجي هويتي كما أن ما يؤذيك نفس أذيتي

وهــل أنــا إلاَّ أنــت ذاتــاً ووحــدة وهل أنت إلاَّ نفس عين هويتي
ولولا اعتبار الجسم بالنسبة التي إليه له ما صحَّ عني سيرتي
ولست بذي شكل فيوجب كثرة لذاتي ولا جزءاً فتمكن قسمتي
ويقع ما بيني وبينك نسبة يظن بها غيري لموضع شبهة
وإني لم أهبط إلى الأرض يبتغي بذلك وضعي بل هبوطي ورفعتي
وتقرير هذا إن دعيت خليفة وما كنت أدعى قبل ذا بخليفة
وصيَّر ملكي عالم الجسم محنة لغاية تدبيري ومبلغ حلمتي
فإن أنا أحسنت الولاية أحسنت إلى العالم العلوي عودي وعزلتي
وعاينت ما لا عاينت مقلة ولا أحاطت به أذن وعت حس سمعة
وآثرت لذاتي ونيل مآربي واتبعت نفسي كل شيءٍ أحبت
سددت على نفسي سبيل تخلصي إلى الملأ الأعلى الذي هو نزهتي
وأوقعتها في أسر من لا يرى لها مكاناً ولا يحنو عليها بعطفة
فلا ندم يجزي ولا حسرة يرى بها فرج يُرجى لكشف لشدّة
فيا ويح نفس آثرت طيب زائل على طيب باق لا يحد بمدة
يموت الفتى بالجهل من قبل موته ويحيا بروح العلم من بعد ميتة
فما مات حي العلم يوماً ولم يكن بحي ممات الجهل مقدار لحظة
وانظر أحوال الرجال وقوفهم على برزخ ما بين نار وجنة
فأما إلى آلام نفس خبيثة وأما إلى لذَّات نفس نفيسة
فآلام تلك الترك في دار غربة ولذات هذا العود من بعد غربة
وهل حسرة في النفس أعظم غصة من البعد عن أهل ودار وجيرة
كما أنه لا شيء أعظم لذَّة لذي غربة من ملتقى بعد فرقة
كأني لم أحجب بها وكأنما هي احتجبت بي فازدهى الناس عشقتي
وغودرت لا يثني عليَّ حسن فعلي الـ ـجميل ولا يلوي على حسن طلعتي

ولو قايسوا بالحسن بيني وبينها   لكانت لديهم لا تسام بحبة
وشق القلب الجاهلات التي بها   محبتها قالت بهم عن محبتي
وما ذاك شيء يسقط العذر لامرىء   أطاع الهوى وانقاد عبداً لشهوةِ
وهل نافع شق الفؤاد ندامة   لذي قدمٍ زلَّت ولم تتثبت
فكيف يليق الوصل مني لمؤثر   على طيب وصل من هي عبدتي
إذا رضيت عنه يهون عليه في   رضاها وأدنى ذاك تسهيل غصة
على أنها أعدى عداه ترتبت   له حيلة منها لإمكان فرصة
فهام بها عشقاً وآثر وصلها   فزل فنادمته إلى ألف لعنة
ولولا الشقا والجهل ما آثر العدى   رضاها وجانب طيب وصل الأحبة
وهل أمني بالفضل مثلي وإنما   بمثل طباع السوء نحو الدنية
وتأبى الطباع الفاضلات ارتكابها   الأمور التي تفضي إلى حط رتبة
فكم حسرات في نفوس يثيرها   بعادي إذا ما العيس للبين ذمَّت
وكم عبرة تجري عليَّ تأسفاً   وقد فات ما لا يسترد بعبرة
وكم قارع سنى عليَّ ندامة   وآخر مكوي بنيران حسرة
وكم أنةٍ تغدو عليَّ ورنة   بروح إذا ما استشعر القوم فرقتي
وهل هاجري وجداً بغيري بالغ   رضاي لصبٌّ طالب دار هجرة
لشتَّان من بين المقامين إنما   المبرز من لا همّه غير عشرتي
ألم تر أني منتهى قصد مبدعي   ولم تبدع الأشياء إلاَّ لخدمتي
وإن لإكرامي وتعظيم حرمتي   أشار إلى الأملاك نحوي بسجدة
وصيَّر ما في عالم الكون كله   بحكم إرادتي وطوع مشيتي
فإن كنت في وصل دعيت فلا تمل   إلى وصل غيري واغتنم وصل صحبتي
وخذ جانباً من رفقة بك وكلوا   ببعدك عن وصلي وإثبات جفوتي
فعند ارتفاع الحجب ما بيننا ترى   محاسن وجه الغانيات وبهجتي

ولا عجنت إلاَّ بحبك طينتي   ولا لهجت إلاَّ بذكرك لهجتي
وردت ورود الهيم فيك من الهوى   شريعة حب هيَّجت لي غلَّتي
ولا عجب إن هيَّجت لي غلّة   فما تملك منك أولاً محنة
إذا كان بي أمر أرى فيه لي أذى   رضاك فما أحلاه في قلب ذلّتي
لذاك ما أرضاك مني فعلته   ولو غضبت منه كرام عشيرتي
وما بعت فيك النفس إلاَّ لعل أن   أفوز بوصلٍ منك تربح صفقتي
فإن أنت أمضيت التبايع بيننا   فبعت وإن لم تمض أكسدت سلعتي
وما قدر نفس لي لديك حقيرة   فاجعلها مهراً لأشرف وصلة
ولكن مقل بادل فيك جهده   أحق بوصل من أخي كل ثروة
توحَّشت من أبناء نوعي ولم يكن   لشيء سوى أنسي بقربك وحشتي
تغرَّبت عن أهلي إليك وإنني   ليعذب لي في طيب أنسك غربتي
فكم خلوة قد فزت فيها بجلوة   خرجت بها عني إليك بفرحة
وطلَّقت فيها عالم الحس بتة   لتعلم أني لا أقول برجعة
وفارقت أوطاني وأهلي وجيرتي   لتعلم أني باذل فيك مهجتي
ولولا دخولي في رضاك بكل ما اسـ   ـتطعت لعزَّت فيك عني خرجتي
وكان بودي لو قبلت تقرُّبي   إليك ولكن لست أهلاً لقربة
وهل أنا إلاَّ نطفة من سلالة   لطين وما مقدار قيمة نطفة
لعمري لقد حاولت أمراً مرامه   عزيز ولكن أنت أهل العطية
وليس اعترافي باتضاعي بمانعي   سؤالك أمراً دونه قدر قيمتي
وليس على قدر سؤال فإنني   أرى أن قدري دون مقدار ذرّة
ولكن على مقدار إحسانك الذي   عمَّمت به تخصيص كوني بخلقتي
ولا أنا مما يخجل الطرد وجهه   فيأنف من عود مخافة طردة
على كل ليس لي عنك مذهب   فيصرفني عن جعل بابك قبلتي

فما شئت فاصنع وارض عني فإنني … أرى كل صنع منك إسباغ نعمة
كفاني اعترافي توبة … وحسبي رضاً على قبولك توبتي
وهل أنا إلاّ دوحة قد غرستها … فإن لم يصبها وابل منك جفت
إذا حصلت لي كيف ما كان نسبة … إليك فلا أخشى ضياعاً لنسبتي
فيا حيرتي كم حيرة فيك لي غدت … مخصصة بي ما به منك عمَّت
وكم نعمة أسبغت من سرّ حكمة … أنرت بها من ناطق كل ظلمتي
وأحببت مني ما أماتت جهالتي … حياةً محال بموتتي
ومن حييت من موتة الجهل نفسه … بعلم نجت من قطع كل منية
وكم مرجة من بحر علم أثرتها … لدي بريح منك أجرت سفينتي
فمرت تشق الكون حين مهبها … ملححة حتى أفادت معيني
وأدركت معنى آخراً دقَّ فهمه … أريد بوضع الصورة الألفية
ومن لم يحط علماً بمعنى وصورة … له فبصير العين أعمى البصيرة
فزرع ولكن لم يفد حصد حبه … ومخض ولكن لم يفد مخض زبدة
إذا جهل الإنسان تحقيق أمره … فكيف بتحقيق الأمور الغريبة
فيا عجباً للمرء يجهل نفسه … ويطمع في فهم المعاني البعيدة
وما ناهض بالنفس يزداد رتبة … من العلم تسميها كوان مقوت
وما موقظ من رقدة الجهل عقله … لتحصيله تكميلها مثل ميت
إذا كملت نفس الفتى بصفاته الـ … ـجميلة من قول وفعل ترقَّت
وأصبح يدَّعي عالم العقل عالماً … لها وتخطَّت نفسه كل خطة
وبالعلم بالنفس النفيسة يدرك الـ … ـمحصل فهم العلّة الأولية
ومن لم يحط علماً بذاك فإنه … وإن كان حياً حكمه حكم ميت
وما الحي عن العقل من كان غالباً … على نفسه حكم القوى البدنية
ولكنه من شرفت قدره على … بني نوعه أوصاف نفس زكية

ففي العالم العلوي ذا ملك وذا لدى العالم السفلي شيطان جنَّة
وما اختلفا بالنوع حتى يظن ما به اختلفا فعلاً لخلق الغريزة
وكل أبوه آدم ويخص ذا لذا خص ذا من سر معنى النبوَّة
ومن أعجب الأشياء فرعاً أرومة وما اتحدا بالطبع في الثمرية
بأي لسان أؤثر الشكر مثنياً عليك بما أوليتني من فضلة
وأكملت من عقلي ووصفي وصورتي وفهمي وأحشائي وحولي وقوَّتي
وصفحك عني إن عصيت تكرُّماً ووعدك لي عن طاعتي بالمثوبة
وهل ممكن إحصاء ذرات كلما على الأرض من كثبان رمل مهيلة
وإحصاء ما في البحر من كل قطرة بحيث يحيط المحصي منها بعدّة
وذلك أمر مستحيل وكلما استحال فمنفي لحكم الضرورة
وما كل هذا لو أتيت بضعفه من الشكر أدنى شكر أصغر حبة
فكيف بشكري كل عضو وقوَّة جعلت لنفعي عند تأليف بنيتي
وشكر التي قد حجبت بي وأنها لأظهر لي من نور شمس تبدَّت
بعيدة أطلال الديار قريبة وأعجب شيء بُعْدَ دار قريبة
بها مثل ما بي من هواها وعندها من الود ما ليس دون مودَّتي
وقد أدركتها رقَّة لي أطمعت بنيل المنى لولا مخافة وفقتي
وقلت لها مني عليَّ بنظرة أنا بها من حسن وجهك منيتي
ألم تعلمي ما حلَّ بي منك من جوى وكابدت من أشجان قلب ولوعة
فإن الجبال الشم وهي رواسخ لو احتملت بعض الذي بي لدكَّت
فأحزان قلبي لا تجود بسلوة وأجفان عيني لا تسح بدمعة
ولولا حنيني لم تحن مطية ولولا نواحي لم تنح ورق أيكة
ولولا خطابي لم يقع عين عابد عليَّ لما مني الصبابة أبلت
فلا ماء إلاَّ بعض فيض مدامعي ولا نار إلاَّ دون أنفاس زفرتي

فقالت بعيني ما لقيت وإنه … ليؤلم قلبي أن تشاك بشوكة
وإني على ما فيَّ من صلف لها … لراغبة في الوصل أعظم رغبة
ولكن وشاة السوء فيك كثيرة … وليست مع الواشين تمكن رؤيتي
وأنت فغري بالحسان وإنني … لأكره ما بي أن أرى وجه ضرّتي
ومن لم يصني صنت وجهي ببرقه … وصور فيه صورة دون صورتي
ليمتحن الخطاب لي إذ يرونها … أيلهون عني أم يتمنون خطبتي
وما هي إلاَّ عبدة لي جميلة … تظن وما أفعالها بجميلة
فما كان إلاَّ أن رأى الناس وجهها … فهاموا بها في فج وجه ووجهة
ويعلم ما قد كان بالأمس والذي … يكون غداً أو كائن بعد برهة
ويخبر بالأمر المغيب مثل ما … يخبر عن ما كان منك بحضرة
ويعلم ما مفهوم معنى معبر … لسامعة عنه بوحي النبوَّة
وما الوحي إلاَّ خلع نفس قويّة … ملابس إحساس على العقل غطت
وأنى لها نحو المحيط بذاتها … على عالم العقل الذي عنه شبت
وإدراك ما يُلقى إليها هناك من … إشارات رمز للعقول دقيقة
وأفهام أفهام النفوس لطائف الـ … ـمعاني التي ذاتها قد تهيَّت
وما أطرب الأرواح منا لدى الفنا … سوى نغمات أدركتها قديمة
وذلك أن النفس قبل اتصالها … بتدبيرها الجسم الذي قد تولّت
وعن سمعها من طيب ألحان نغمة … ينغمها الأفلاك أعظم لذّة
إذا أقبلت أجرامها بأصكاكها … يرجعها في قطعها كل ذروة
وشذت لبعد العهد عنها فلم تكن … تذكرها إلاَّ بتجديد نغمة
فلما أحسَّت بالسماع بمثلها … تذكَّرت العهد القديم فحنَّت
وحاولت التجريد عن عالم الفنا … إلى العالم الباقي الذي عنه شذَّت
فجاذبها الجسم الزمام وأقبلت … تجاذب فاهتزَّت لذاك برقصة

ولا شك في أن العقول محيلة الـ ـسمع والأبصار للحسن رنَّت
فإن لم يكن في عالم العقل ما يرى ويسمع كانت تلك غير مفيدة
وذلك تعطيل وليس بحكمة يعطلها عماله قد أعدت
وقد يطرب الدولاب عند حنينه فكيف حنين النغمة الفلكية
وناهيك أن الطفل عند بكائه يغني فيغشاه سكينة سكتة
ويذهل عما كان فيه من الأذى وتبدو لنا منه مخايل طربة
ولولا إدكار النفس منه لدى الغنى عهوداً قديمات لها ما استلذَّت
وقد تطرب العجماء عند استماعها الـ ـغناء وتنسى عنده كل غمَّة
وإلاَّ فما بال المطي إذا ونت عن السير هيَّجت في الفلاة بحدوة
فتصغي بالحادي بأسماعها كما يكون استماع العاقل المتنصت
وتوسع مد الخطو حتى كأنها سفائن بحر مقلعات بلجة
ويرتاح بعض الطير عند سماعه تجاوب أوتار إذا هي خشت
وما ذاك إلاَّ أن أفلاكها على مراكزها لما استدارت فغنَّت
فصارت بحكم الطبع تشتاق ما به يخصصها من دون كل مصوت
فلا تحسب الأشياء مهملة كما توهَّم أصحاب العقول الضعيفة
وللحوت بل للدود في العود بل لما سوى ذاك أفلاك عليها أُديرت
وفيها لها آفاق جو فسيحة عليها نراها نحن غير فسيحة
فما خصَّ نوع لا يتم سواه من مراكز أفلاك وأوضاع هيئة
وكل له عقل يسدده إلى مقاصد أفعال وترك شديدة
وما النحل في أوضاعها لبيوتها مسدسة من حكمة بخيلة
وقد يعجز المرء المهندس وضعها بآلاته الحكمية الهندسية
وجعل لعاب العنكبوت لصيده الـ ـذباب شباكاً ليس إلاَّ لخبرة
ويفهم بعض الذر مقصود بعضه بقوَّة إدراك لنفس زكيَّة

وحسبك ألف النوع بالنوع شاهد بمعرفة في طبعه مستحثة
فإن ازدواج الشكل بالشكل مشعر بقوَّة تمييز وصحة فطرة
ولو لم يكن إلاَّ تفاهمها إذا تناغت بأصوات لها أعجمية
لكان لنا فيه دليل يدلنا على أن ذا لا عن نفوس بليدة
فمن ظن شيئاً غير هذا فإنه لتقصيره عن فكرة مستقيمة
وقد شهد الذِّكر الحكيم بأنها مسبحة والذكر أعظم حجة
وهل يصدق التسبيح من غير عاقل ولكن عيون الجهل غير بصيرة
تأمَّل صلاة الشمس عند وقوفها لدى الظهر في وسط السماء بخشية
وإثباتها وقت الزوال بركعة وإتمامها عند الغروب بسجدة
كذا جملة الأفلاك راكعة بما جرت سجدة للَّه في كل طرفة
وما الذي أعمى عيون قلوبهم ونورك فيهم مستطير الأشعة
لقد عظمت تلك الرزية موقعاً لدى كل ذي عقل سليم وجلَّت
أرى كل ذي سكر سيصحو من الهوى سواي فصحوي فيك علَّة سكرتي
فما اتفقت لي مذ عرفتك خلوة بنفسي إلاَّ همت فيك بجلوة
ولا عرضت لي في دجى الفكر هجمة فأغفيت إلاَّ فزت فيك بيقظة
ولا استغرقتني في المحاسن بهتة فثارت بحسن غير حسنك بهتتي
ولا سنحت في باطن القلب خشية فكانت لشيء غير هجرك خشيتي
ولا خضعت نفسي لأمر ترومه فكانت لشيء غير وصالك خضعتي
ولا استقبلتني من جنابك نفحة أسرَّت حديثاً عنك إلاَّ وسرت
وأصغي إلى تحصيله في مسامع الـ ـمشاعر من كل منبت شعرة
وأحسست في نفسي بلطف دبيب ما سقطت من محيا الحب لمَّا تمشَّت
وهل شارب كأساً من الحب جاهل بما أحدثت في عقله حين دبَّت
فقد حقَّق الدعوى القياس وأين من كثافة جسم الخمر لطف المحبة

إذا غبت عني كنت عندك حاضراً ومن عجب أن غيبتي فيك حضرتي
فيا باطناً ألقاه في كل ظاهر ويا أولاً ما زال آخر فكرتي
تشابه إعلاني وسرّي ومشهدي وغيبي وستري في هواك وشهرتي
تجمَّع الأضداد فيَّ ولم يكن بمستغرب لي في الهوى كل بدعة
فنوعي في شخصي لأني نتيجة لشكل قياس عن ضروب عقيمة
ملأت جهاتي الست منك فأنت لي محيط وأيضاً أنت مركز نقطتي
فصرت إذا وجَّهت وجهي مصلِّياً فرايض أوقاتي فنفسي كعبتي
فصار صيامي لي ونسكي وطاعتي ونحري وتعريفي وحجِّي وعمرتي
وحولي طوافي واجب وخلاله اسـ ـتلامي لركني من مناسك حجَّتي
وذكري وتسبيحي وحمدي وقربتي لنفسي وتقديسي وصفو سيرتي
ولو همَّ مني خاطر بالتفاتة لم كان لي إلاَّ إليَّ تلفتي
ولو لَمْ أؤد الفرض مني إليَّ لم يصحّ بوجه لي ولم تبر ذمتي
وكنت على أني أوحد ظاهراً ففي باطني قد دنت بالثنوية
كذا من يكن قد صحَّ عقد وداده ولم يتهم يوماً بسقم عقيدة
وينفي اتصال النفس بالعقل واقفاً على حس ما في عالم الحس أبلت
فإن قهرت فيه قوى الجسم ألحقت بعالمها مملوءة بالمسرَّة
وتبقى كما قد جاء تهوى وليتها هوت ما هوت ثم ارعوت واستقرّت
ولكنها تبقى بنيران حسرة الـ ـبعاد تقاسي ضيق أغلال كربة
مذبذبة لا عالم العقل أدركت ولا عالم الأجسام فيه تبقَّت
فترجع إلى إحدى الحنين حنينها إلى عالم العقل الذي عنه صدّت
وهيهات أن يطوي لسير حنينها إلى الذي قد حال من بعد شقة
وأنى لها والحس قد حال بينها وبين حماه أن تفوز بنظرة
إذا ذكرته هزَّ هامس طائف من الشوق لو هزَّ الجبال لهدَّت

وما ذاك بالمدني إليه ولا الذي ... إذا لم يكن يدني فربح بوقفة
أسى كلما قيل انقضت منه لوعة ... أعيدت بأخرى مثلها مستحثة
تزول الجبال الشم وهي مقيمة ... على حالة منكوسة مستمرة
وذلك أمر نسأل اللّه عصمة ... منجية منه ومن كل حيرة
ألم يك فيما نال آدم عبرة ... ومتعظ للعاقل المتثبِّت
على قربه من ربّه واصطفائه ... ومنحته إياه أعظم منحة
وإبعاده من بعد ذاك وصدّه ... وتجريعه إياه أعظم غصة
ولم يأت ذنباً عامداً غير أنه ... بأوّل حكم اللّه طالب رخصة
فأخطأ في التأويل جهلاً فحطه ... إلى الأرض من أعلى الجنان المنيفة
ولم يخف ما لاقى إذا انحطّ هابطاً ... إلى الأرض من هول الأمور العظيمة
وما زال يدعو اللّه سرّاً وجهرةً ... وحاول منه العفو عنه بتوبة
وكيف بمن يأتي ذنوباً كثيرةً ... ويقضي وما وافى بتوبة مخبت
وكم جاهل لم يزدجر الذي جرى ... على آدم من فعله كل خزية
لقد شمل الخير الوجود بأسره ... فما كان من نشر فذاك لندرة
ولم يكن المقصود بالذات إنما ... أتى بطريق الضمن والتبعية
ألم أن الغيث خير وأنه ... ليحصل منه وكف بعض الأكنة
وإن لهيب النار المشوب محرق ... ويحصل منه نضج كل معيشة
قد يتبع الخير الكثير الذي نرى ... لنا فيهما شر يسير المضرّة
ولو روعي الضرّ الذي فيهما لنا ... ولم يخلقنا لاختلّ نظم الخليقة
وكان هلاك الحرث والنسل عاجلاً ... وذاك بلا شك خراب البسيطة
ولم يك إلاّ عالِم الأمر وحده ... ولم يخف ما في ذاك من نقص خلقة
وفي الحشرات الساقطات منافع ... يحيط بها أهل العقول السليمة
ولو لم تكن ما عاش من نوعنا امرؤ ... لفضل بخارات الهيولى الرديَّة

فمن ذلك الفضل الردي تكوّنت … وفي مدخل الأوساخ في الأرض حلّت
وغودر ما نلقيه منا غذاؤنا … لصفو الهوى من شوب كل أذيّة
لتنتعش الأرواح منا بطيبة … ويصفو لنا ورد الحياة الهنيّة
وقد ركب الأجسام منا وكل ما … تركب منحل ولو بعد برهة
وألبس منا كل جزء بحيز … لأركاننا الذاتية العنصرية
وما جمعنا بعد افتراق بمعجز … وهل آخر يخلو عن الأولية
وإن معاد الشيء بعد انعدامه … لأسهل من إنشاء إنشاء بدأة
ومطلع شمس النفس من مشرق الخلا … سيطلعها من مغرب العدمية
سبحان من يحيي بقدرته الذي … يميت كما أحياه أول مرّة

* * *

تائية الشيخ
عبد القادر الجيلاني(*)
[٤٧٠ـــ ٥٦١ هـــ/ ١٠٧٨ـــ ١١٦٦م]
القصائد الصوفيّة

ولمَّا صَفَا قَلْبي وطَابَتْ سرِيرَتِي — ونادَمَنِي صَحْوِي بِفَتْحِ البَصِيرَةِ
شَهِدْتُ بأنَّ اللَّه مَوْلَى الولايَةِ — وقَدْ مَنَّ بالتَّصْرِيفِ في كُلِّ حالَةِ
سَقَانِي إلٰهي مِنْ كؤوسِ شَرَابِهِ — فأسْكَرَنِي حقّاً فَهِمْتُ بِسَكْرتِي
وحَكَّمَنِي جَمْعَ الدِّنانِ بِمَا حَوَى — وكُلُّ مُلُوكِ العَالَمِينَ رَعِيَّتِي
وفِي حَانِنَا فادْخُلْ تَرَ الكَأْسَ دَائِراً — ومَا شَرِبَ العُشَّاقُ إلاَّ بَقِيَّتِي
رُفِعْتُ علَى مَنْ يَدَّعِي الحُبَّ في الوَرَى — فَقَرَّبَنِي المَوْلَى وفُزْتُ بِنَظْرَةِ
وجالَتْ خُيُولِي في الأرَاضِي جَمِيعِها — وزُفَّتْ لِي الكَاساتُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
ودُقَّتْ لِيَ الرَّايَاتُ في الأرْضِ والسَّمَا — وأَهْلُ السَّمَا والأرْضِ تَعْلَمُ سَطْوَتِي
وشَاءُوسُ مُلْكِي سَارَ شَرْقاً ومَغْرِباً — فَصِرْتُ لأهْلِ الكَرْبِ غَوْثاً ورَحْمَةِ
فَمَنْ كانَ مِثْلِي يَدَّعِي فِيكُمُ الهَوَى — يُطَاوِلُنِي إنْ كانَ يَقْوَى لِسَطْوَتِي
أَنا كُنْتُ في العُلْيَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ — وفِي قَابَ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الأحِبَّةِ
شَرِبْتُ بِكاساتِ الغَرَامِ سُلاَفَةً — بِهَا انْتَعَشَتْ روحِي وجِسْمِي ومُهْجَتِي

---

* هو القطب الغوث الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني أبو محمد محيي الدين الجيلاني. مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان (وراء طبرستان)، وانتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر. وتصدَّر للتدريس والإفتاء ببغداد سنة ٥٢٨هـ، وكان يأكل من عمل يده، وتوفي ببغداد.
له كتب كثيرة، منها: الغنية لطالب طريق الحق، الفتح الرباني، وفتوح الغيب، والفيوضات الربانية.

وصِرْتُ أنَا السَّاقِي لِمَنْ كانَ حاضِراً
أُدِيرُ عَلَيهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةِ

وَقَفْتُ بِبَابِ اللَّهِ وَحْدِي مُوَحِّداً
ونُودِيتُ يا جِيلانِيَ: ادْخُلْ لِحَضْرتِي

ونُودِيتُ يا جِيلانِيَ: ادْخُلْ ولا تَخفْ
عُطِيتُ اللوَا مِنْ قَبْلِ أهْلِ الحَقِيقَةِ

ذِرَاعِيَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا
ومِنْ تَحْتِ بَطْنِ الحُوتِ أمْدَدْتُ رَاحَتِي

وأعْلَمُ نَبْتَ الأرْضِ كَمْ هُوَ نَبْتَةٌ
وأعْلَمُ رَمْلَ الأرْضِ عَدّاً لِرَمْلَةِ

وأعْلَمُ عِلْمَ اللَّهِ أُحْصِي حُروفَهُ
وأعْلَمُ مَوْجَ البَحْرِ عَدّاً لِمَوْجَةِ

وما قُلْتُ هذا القَوْلَ فَخْراً وإنَّمَا
أتَى الإذْنُ حتَّى تَعْرِفُوا مِنْ حَقِيقَتي

وما قُلْتُ حتَّى قِيلَ لي قُلْ ولا تَخَفْ
فأنْتَ وَلِيِّي في مَقامِ الوِلايةِ

أنَا كُنْتُ مَعْ نُوحٍ أُشَاهِدُ فِي الوَرَى
بِحَاراً وطُوفاناً عَلَى كَفِّ قُدْرَتِي

وكُنْتُ وإبْراهِيمَ مُلْقَى بِنارِهِ
وما بَرَّدَ النِّيرانَ إلاَّ بِدَعْوَتِي

وكُنْتُ مَعَ إسْمَعِيلَ في الذَّبْحِ شاهِداً
وما أنْزَلَ المَذْبُوحَ إلاَّ بِفُتْيَتِي

وكُنْتُ مَعَ يَعْقُوبَ في غَشْوِ عَيْنِهِ
وما بَرِئَتْ عَيْنَاهُ إلاَّ بِتَفْلَتِي

وكُنْتُ مَعَ إدْرِيسَ لَمَّا ارْتَقَى العُلا
وأُسْكِنَ فِي الفِرْدَوْسِ أحْسَنَ جَنَّةِ

وكُنْتُ ومُوسَى في مُناجَاةِ رَبِّهِ
ومُوسَى عَصَاهُ مِنْ عَصَايَ اسْتَمَدَّتِ

وكُنْتُ مَعَ أيُّوبَ في زَمَنِ البَلا
وما بَرِئَتْ بَلْوَاهُ إلاَّ بِدَعْوَتِي

وكُنْتُ مع عِيسَى وفِي المَهْدِ نَاطِقاً
وأعْطَيْتُ دَاوُداً حَلاَوَةَ نَغْمَتِي

وَلِي نَشْأَةٌ في الحُبِّ مِنْ قَبْلِ آدَمٍ
وسِرِّي سَرَى في الكَوْنِ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِي

أنَا الذَّاكِرُ المَذْكُورُ ذِكْراً لِذَاكِرٍ
أنَا الشاكِرُ المَشْكُورُ شُكْراً بِنِعْمَتِي

أنَا العاشِقُ المَعْشُوقُ في كُلِّ مُضْمَرٍ
أنَا السَّامِعُ المَسْمُوعُ فِي كُلِّ نَغْمَةِ

أنَا الواحِدُ الفَرْدُ الكَبِيرُ بِذَاتِهِ
أنَا الوَاصِفُ المَوْصُوفُ ـ عِلْمُ الطَّرِيقَةِ

مَلَكْتُ بِلادَ اللَّهِ شَرْقاً ومَغْرِباً
وإنْ شِئْتُ أفْنَيْتُ الأنَامَ بِلَحْظَةِ

وقالوا: فَأنْتَ القُطْبُ ـ قُلْتُ مُشَاهِدٌ
وتَالِ كِتَابَ اللَّهِ في كُلِّ سَاعَةِ

ونَاظِرُ ما في اللَّوْحِ مِنْ كُلِّ آيَةٍ
وما قَدْ رَأيْتُ مِنْ شُهُودٍ بِمُقْلَتِي

فَمنْ كانَ يَهْوَانَا يَجِي لِمَحلِّنَا ويَدْخُلْ حِمَى السَّادَاتِ يَلْقَ الغَنِيمَةِ
فَلاَ عَالِمٌ إلاَّ بِعِلْمِيَ عَالِمٌ وَلاَ سَالِكٌ إلاَّ بِفَرْضِي وسُنَّتِي
وَلاَ جَامِعٌ إلاَّ وَلِي فِيهِ رَكْعَةٌ وَلاَ مِنْبَرٌ إلاَّ وَلِي فِيهِ خُطْبَتِي
وَلَوْلاَ رَسُولُ اللَّهِ بالعَهْدِ سَابِقٌ لأغْلَقْتُ أبْوابَ الجَحِيمِ بِعَظْمَتِي
مُرِيدِي لَكَ البُشْرَى تَكُونُ عَلَى الوَفَا وإنْ كُنْتَ في هَمٍّ أُغِثْكَ بِهِمَّتِي
مُرِيدِي تَمَسَّكْ بِي وكُنْ بِيَ وَاثِقاً لأحْمِيكَ في الدُّنْيَا ويَوْمَ القِيامَةِ
وكُنْ يا مُرِيدِي حافِظاً لِعُهُودِنَا أكُنْ حَاضِرَ المِيزَانِ يَوْمَ الوَقِيعَةِ
وإنْ شَحَّتِ المِيزَانُ كُنْتُ أنَا لَهَا بِعَيْنِ عِنَايَاتٍ ولُطْفِ الحَقِيقَةِ
حَوَائِجُكُمْ مُقْضِيَّةٌ ـ غَيْرَ أنَّنِي أرِيدُكُمُو تَمْشُون طُرْقَ الحَمِيدَةِ
وأوْصِيكُمُو كَسْرَ النُّفُوسِ فإنَّهَا مَرَاتِبُ عِزٍّ عِنْدَ أهْلِ الطَّرِيقَةِ
ومَنْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِتَكَبُّرٍ تَجِدْهُ صَغِيراً في عُيُونِ الأقِلَّةِ
ومَنْ كَانَ في حَالاتِهِ مُتَواضِعاً مَعَ اللَّهِ ـ عَزَّتْهُ جَمِيعُ البَرِيَّةِ

* * *

التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك

لسلطان العاشقين الشيخ

عمر بن الفارض(*)

[٥٧٦ــ ٦٣٢هــ/ ١١٨١ــ ١٢٣٤م]

سَقَتْني حُمَيَّا الحُبِّ رَاحَةَ مُقْلَتِي ... وكأْسِي مُحيَّا مَنْ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ
فأَوْهَمْتُ صَحْبِي أنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ ... بِهِ سُرَّ سِرِّي في انْتِشائي بِنَظْرَةِ
وبالحَدَقِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ قَدَحِي ومِنْ ... شَمَائِلِها لا مِنْ شَمُولِيَ نَشْوَتي
فَفِي حانِ سُكْرِي حانَ شُكْرِي لِفِتْيةٍ ... بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ الهَوَى مَعَ شُهْرَتِي
ولَمّا انْقَضَى صَحْوِي تَقَاضَيْتُ وَصْلَها ... ولَمْ يَغْشَنِي في بَسْطِها قَبْضُ خَشْيَةِ
وأَبْثَثْتُها ما بي ولَمْ يَكُ حاضِرِي ... رَقِيبٌ لها حاظٍ بِخلْوَةِ جَلْوَتي
وقُلْتُ وحالِي بالصَّبَابَةِ شاهِدٌ ... وَوَجْدِي بها ماحِيَّ والفَقْدُ مُثْبِتي
هَبِي قبْلَ يُفْنِي الحُبُّ مِنِّي بَقِيَّةً ... أَرَاكِ بها لِي نَظْرَةَ المُتَلَفِّتِ

---

* هو سلطان العاشقين الشيخ عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الملقب شرف الدين بن الفارض.
شاعر متصوف، يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى فلسفة (وحدة الوجود) وفلسفة (الإنسان الكامل) أو (الحقيقة المحمدية).
اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، إلا أنه ما لبث أن زهد بكل ذلك وتجرد، وسلك طريق التصوف وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة وأطراف جبل المقطم بالقاهرة، وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج! . وأكثر العزلة في وادٍ بعيد عن مكة، ثم عاد إلى مصر وقصده الناس بالزيارة حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته.
وكان حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، يعشق مطلق الجمال. وقد نقل المناوي عن القوصي أنه كانت له جوارٍ بالبهنا يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد.

وَمُنِّي على سَمْعِي بِلَنْ إنْ مَنَعْتِ أنْ أرَاكِ فَمِنْ قَبْلِي لِغَيْرِيَ لَذَّتِ
فَعِنْدِي لِسُكْرِي فاقَةٌ لإفَاقَةٍ لَهَا كَبِدِي لَوْلا الهَوَى لَمْ تُفَتَّتِ
ولَوْ أنَّ ما بِي بالجِبالِ وكانَ طُو رُ سينَا بِهَا قَبْلَ التَّجَلِّي لَدُكَّتِ
هَوًى عَبْرَةٌ نَمَّتْ بِهِ وجَوًى نَمَتْ بِهِ حُرَقٌ أدْوَاؤُها بِيَ أوْدَتِ
فَطُوفانُ نُوحٍ عِنْدَ نَوْحِي كأدْمُعي وإيْقَادُ نِيرَانِ الخَلِيلِ كَلَوْعَتِي
ولَوْلاَ زَفِيرِي أغْرَقَتْنِيَ أدْمُعِي ولَوْلاَ دُمُوعِي أحْرَقَتْنِي زَفْرَتِي
وحُزْنِي ما يَعْقُوبُ بَثَّ أقَلَّهُ وكُلُّ بِلَى أيُّوبَ بَعْضُ بَلِيَّتِي
وآخِرُ ما لاَقَى الأُلَى عَشِقُوا إلى الْـ ـرَّدَى بَعْضُ ما لاقَيْتُ أوَّلَ مِحْنَتِي
فَلَوْ سَمِعَتْ أُذْنُ الدَّلِيلِ تَأَوُّهِي لآلامِ أسْقَامٍ بِجِسْمِي أضَرَّتِ
لأذْكَرَهُ كَرْبِي أذى عَيْشِ أزْمَةٍ بِمُنْقَطِعِي رَكْبٍ إذا العِيسُ زُمَّتِ
وقَدْ بَرَّحَ التَّبْرِيحُ بِي وَأبادَنِي وأبْدَى الضَّنَى مِنِّي خَفِيَّ حَقِيقَتِي
فنَادَمْتُ في سُكْرِي النُّحُولَ مُرَاقِبِي بِجُمْلَةِ أسْرَارِي وتَفْصِيلِ سِيرَتِي
ظَهَرْتُ لهُ وَصْفاً وَذَاتِي بحيثُ لا يَرَاها لِبَلْوَى مِنْ جَوَى الحُبِّ أبْلَتِ
فَأبْدَتْ ولَمْ يَنْطِقْ لِسانِي لِسَمْعِهِ هَوَاجِسُ نفسي سِرَّ ما عَنْهُ أخْفَتِ
وظَلَّتْ لِفِكْرِي أُذْنُهُ خَلَداً بِهَا يدُورُ بِهِ عَنْ رُؤْيَةِ العَيْنِ أغْنَتِ
فَأخْبَرَ مَنْ في الحَيِّ عَنِّي ظاهِراً بِباطِنِ أمْرِي وهُوَ مِنْ أهْلِ خُبْرَتِي
كأنَّ الكِرَامَ الكاتِبِينِ تَنَزَّلُوا على قَلْبِهِ وحْياً بِمَا في صَحِيفَتِي
وما كان يَدْرِي ما أجِنُّ وما الَّذِي حَشايَ مِنَ السِّرِّ المَصُونِ أكَنَّتِ
وكَشْفُ حِجابِ الجِسمِ أبْرَزَ سِرَّ ما بِهِ كان مَسْتُوراً لَهُ مِنْ سَرِيرَتِي
فَكُنْتُ بِسِرِّي عَنْهُ في خُفْيَةٍ وقَدْ خَفَتْهُ لِوَهْنٍ مِنْ نُحُولِيَ أنَّتِي
فَأظْهَرَنِي سُقْمٌ بِهِ كُنْتُ خافِياً له والهَوَى يَأتِي بِكُلِّ غَرِيبَةِ
وأفْرَطَ بِي ضُرٌّ تَلاشَتْ لِمَسِّهِ أحادِيثُ نَفْسٍ بالمَدَامِعِ نُمَّتِ
فَلَوْ همَّ مَكْرُوهُ الرَّدَى بي لَمَا دَرَى مَكانِي ومِنْ إخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيَتِي

وما بَيْنَ شَوْقٍ واشْتِياقٍ فَنِيتُ في ... تَوَلٍّ بِحَظْرٍ أوْ تَجَلٍّ بِحَضْرَةِ
فَلَوْ لِفِنَائِي مِنْ فِنَائِكَ رُدَّ لِي ... فُؤَادِي لَمْ يَرْغَبْ إلى دَارِ غُرْبَةِ
وعُنْوَانُ شَأْنِي ما أَبُثُّكِ بَعْضَهُ ... وما تَحْتَهُ إظْهَارُهُ فَوْقَ قُدْرَتِي
وأمْسِكُ عَجْزاً عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... بِنُطْقِيَ لَنْ تُحْصَى وَلَوْ قُلْتُ قَلَّتِ
شِفَائِي أشْفَى بَلْ قَضَى الوَجْدُ أنْ قَضَى ... وبَرْدُ غَلِيلِي وَاجِدٌ حَرَّ غُلَّتِي
وبَالِيَ أبْلَى مِنْ ثِيَابِ تَجَلُّدِي ... بِهِ الذَّاتُ في الأعْدَامِ نِيطَتْ بِلَذَّةِ
فلَوْ كَشَفَ العُوَّادُ بي وتَحَقَّقُوا ... مِنَ اللَّوْحِ ما مِنِّي الصَّبَابَةُ أبْقَتِ
لَمَا شَاهَدَتْ مِنِّي بَصَائِرُهُمْ سِوَى ... تَخَلُّلِ رُوحٍ بَيْنَ أثْوَابِ مَيِّتِ
ومُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهَمْتُ في ... وُجُودِي فَلَمْ تَظْفَرْ بِكَوْنِي فِكْرَتِي
وبَعْدُ فَحالِي فِيكِ قَامَتْ بِنَفْسِهَا ... وبَيِّنَتِي في سَبْقِ رُوحِي بِنِيَّتِي
ولَمْ أحْكِ في حُبِّيكِ حالِي تَبَرُّماً ... بها لاضْطِرَابٍ بَلْ لِتَنْفِيسِ كُرْبَتِي
ويَحْسُنُ إظْهَارُ التَّجَلُّدِ لِلْعِدَى ... ويَقْبُحُ غَيْرُ العَجْزِ عِنْدَ الأحِبَّةِ
ويَمْنَعُنِي شَكْوَايَ حُسْنُ تَصَبُّرِي ... ولَوْ أشْكُ لِلأعْدَاءِ ما بِي لأشْكَتِ
وعُقْبَى اصْطِبَارِي في هَوَاكِ حَمِيدَةٌ ... عَلَيْكِ ولٰكِنْ عَنْكِ غَيْرُ حَمِيدَةِ
وما حَلَّ بِي مِنْ مِحْنَةٍ فهْوَ مِنْحَةٌ ... وقَدْ سَلِمَتْ مِنْ حَلِّ عَقْدِ عَزِيمَتِي
وكُلُّ أذًى في الحُبِّ مِنْكِ إذَا بَدَا ... جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِي مَكَانَ شَكِيَّتِي
نَعَمْ وتَبَارِيحُ الصَّبَابَةِ إنْ عَدَتْ ... عَلَيَّ مِنَ النَّعْمَاءِ في الحُبِّ عُدَّتِ
ومِنْكِ شَقَائِي بَلْ بَلائِيَ مِنَّةٌ ... وفِيكِ لِبَاسُ البُؤْسِ أسْبَغُ نِعْمَةِ
أرَانِي ما أوْلَيْتُهُ خَيْرَ قِنْيَةٍ ... قَدِيمُ وَلائِي فِيكِ مِنْ شَرِّ فِتْيَةِ
فَلاحٍ وَوَاشٍ ذاكَ يُهْدِي لِعِزَّةٍ ... ضَلالاً وذا بِي ظَلَّ يَهْذِي لِغِرَّةِ
أُخالِفُ ذا في لَوْمِهِ عَنْ تُقًى كَمَا ... أُخالِفُ ذا في لُؤْمِهِ عَنْ تَقِيَّةِ
وما رَدَّ وَجْهِي عَنْ سَبِيلِكِ هَوْلُ ما ... لَقِيتُ ولا ضَرَّاءُ في ذَاكَ مَسَّتِ
ولا حِلْمَ لِي في حَمْلِ ما فِيكِ نالَنِي ... يُؤَدِّي لِحَمْدِي أوْ لِمَدْحِ مَوَدَّتِي

قَضَى حُسْنُكِ الدَّاعِي إلَيْكِ احْتِمَالَ ما … قَصَصْتُ وأقْصَى بَعْدَمَا بَعْدَ قِصَّتِي
ومـا هُـو إلاَّ أنْ ظَهَرْتِ لِنَاظِرِي … بأكْمَلِ أوْصافٍ على الحُسْنِ أرْبَتِ
فَحَلَّيْتِ لِي البَلْوَى فَخَلَّيْتِ بَيْنَهَا … وبَيْنِي فكانَتْ مِنْكِ أجْمَلَ حِلْيَةِ
ومَنْ يَتَحرَّشْ بالجَمَالِ إلى الرَّدَى … رَأى نَفْسَهُ مِنْ أنْفَسِ العَيْشِ رُدَّتِ
ونَفْسٌ تَرَى في الحُبِّ أنْ لا تَرَى عناً … مَتَى ما تَصَدَّتْ للصَّبَابَةِ صُدَّتِ
وما ظَفِرَتْ بالوُدِّ رُوحُ مُرَاحَةٌ … وَلا بالولا نَفْسٌ صَفَا العَيْشِ وَدَّتِ
وأيْنَ الصَّفَا هَيْهَاتَ مِنْ عَيْشِ عاشِقٍ … وجَنَّةُ عَدْنٍ بالمَكارِهِ حُفَّتِ
وَلِي نَفْسُ حُرٌّ لَوْ بَذَلْتِ لها على … تَسلِّيكِ ما فَوْقَ المُنَى ما تَسَلَّتِ
ولَوْ أُبْعِدَتْ بالصَّدِّ والهَجْرِ والقِلى … وقَطْعِ الرَّجا عَنْ خُلَّتِي ما تَخَلَّتِ
وعَنْ مَذْهَبِي في الحُبِّ ما لِي مَذْهَبٌ … وإنْ مِلْتُ يَوْماً عنهُ فارَقْتُ مِلَّتِي
ولَوْ خَطَرَتْ لِي في سِوَاكِ إرَادَةٌ … على خاطِرِي سَهْواً قَضَيْتُ بِرِدَّتِي
لَكِ الحُكْمُ في أمْرِي فما شِئْتِ فاصْنَعِي … فَلَمْ تَكُ إلاَّ فِيكِ لا عَنْكِ رَغْبَتِي
ومُحْكَمِ عَهْدٍ لَمْ يُخامِرْهُ بَيْنَنَا … تَخَيُّلُ نَسْخٍ وهوَ خَيْرُ ألِيَّةِ
وأخْذِكِ مِيثَاقَ الوَلاَ حَيْثُ لَمْ أبِنْ … بِمَظْهَرِ لَبْسِ النَّفْسِ في فَيْءِ طِينَتِي
وسابِقِ عَهْدٍ لَمْ يَحُلْ مُذْ عَهِدْتُهُ … ولاحِقِ عَقْدٍ جَلَّ عَنْ حَلِّ فَتْرَةِ
ومَطْلَعِ أنْوَارٍ بِطَلْعَتِكِ الَّتي … لِبَهْجَتِها كُلُّ البُدُورِ اسْتَسَرَّتِ
وَوَصْفِ كَمالٍ فِيكِ أحْسَنُ صُورَةٍ … وأقْوَمُها في الخَلْقِ مِنْهُ اسْتَمَدَّتِ
ونَعْتِ جَلالٍ مِنْكِ يَعْذُبُ دُونَهُ … عَذَابِي وتَحْلُو عِنْدَهُ لِيَ قَتْلَتِي
وسِرِّ جَمَالٍ عَنْكِ كُلُّ مَلاحَةٍ … بِهِ ظَهَرَتْ في العَالَمِينَ وتَمَّتِ
وحُسْنٍ بِهِ تُسْبَى النُّهَى دَلَّنِي على … هَوًى حَسُنَتْ فِيهِ لِعِزِّكِ ذِلَّتِي
ومَعْنًى وَرَاءَ الحُسْنِ فِيكِ شَهِدْتُهُ … بِهِ دَقَّ عَنْ إدْرَاكِ عَيْنِ بَصِيرَتِي
لأنْتِ مُنَى قَلْبِي وغايَةُ بُغْيَتِي … وأقْصَى مُرَادِي واخْتِيارِي وخِيرَتِي
خَلَعْتُ عِذَارِي واعْتِذَارِيَ لابِسَ الْـ … ـخَلاعَةِ مَسْرُوراً بِخَلْعِي وخِلْعَتِي

وخَلْعُ عِذَارِي فِيكَ فَرْضي وإنْ أبَى اقْـ ـتِرَابِيَ قَوْمِي والخَلاعَةُ سُنَّتِي
ولَيْسُوا بِقَوْمِي ما اسْتَعَابُوا تَهَتُّكِي فأبْدَوْا قِلًى واسْتَحْسَنُوا فِيكَ جَفْوَتِي
وأهْلِي في دِينِ الهَوَى أهْلُهُ وقَدْ رَضُوا لِي عارِي واسْتَطابُوا فَضِيحَتِي
فَمَنْ شاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكِ ولا أذًى إذا رَضِيَتْ عنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي
وإنْ فَتَنَ النُّسَّاكَ بَعْضُ مَحَاسِنٍ لَدَيْكِ فَكُلٌّ مِنْكِ مَوْضِعُ فِتْنَتِي
وما اخْتَرْتُ حتَّى اخْتَرْتُ حُبِّيكِ مَذْهَباً فَوَاحِيرَتِي إنْ لَمْ تَكُنْ فِيكِ خِيرَتِي
فقالَتْ هَوَى غيْرِي قَصَدْتَ ودُونَهُ اقْـ ـتَصَدْتَ عَمِيّاً عَنْ سَوَاءِ مَحَجَّتِي
وغَرَّكَ حتَّى قُلْتَ ما قُلْتَ لابِساً بِهِ شَيْنَ مَيْنٍ لَبْسُ نَفْسٍ تَمَنَّتِ
وفي أنْفَسِ الأوْطارِ أمْسَيْتَ طامِعاً بِنَفْسٍ تَعَدَّتْ طَوْرَهَا فَتَعَدَّتِ
وكَيْفَ بِحُبِّي وهوَ أحْسَنُ خُلَّةٍ تَفُوزُ بِدَعْوَى وهيَ أقْبَحُ خَلَّةِ
وأيْنَ السُّهَى مِنْ أكْمَهٍ عَنْ مُرَادِهِ سَهَا عَمَهاً لٰكِنْ أمانِيكَ غَرَّتِ
فَقُمْتَ مَقَاماً حُطَّ قَدْرُكَ دُونَهُ على قَدَمٍ عَنْ حَظِّها ما تَخَطَّتِ
ورُمْتَ مَرَاماً دُونَهُ كَمْ تَطَاوَلَتْ بِأعْنَاقِهَا قَوْمٌ إلَيْهِ فَجُذَّتِ
أتَيْتَ بُيُوتاً لَمْ تُنَلْ مِنْ ظُهُورِها وأبْوَابُها عَنْ قَرْعِ مِثْلِكَ سُدَّتِ
وبينَ يَدَيْ نَجْوَاكَ قَدَّمْتَ زُخْرُفاً تَرُومُ بِهِ عِزّاً مَرَامِيهِ عَزَّتِ
وجِئْتَ بِوَجْهٍ أبْيَضٍ غَيْرَ مُسْقِطٍ لِجَاهِكَ في دَارَيْكَ خاطِبَ صَفْوَتِي
ولَوْ كُنْتَ بِي مِنْ نُقْطَةِ البَاءِ خَفْضَةً رُفِعْتَ إلَى ما لَمْ تَنَلْهُ بِحِيلَةِ
بِحَيْثُ تَرَى أنْ لا تَرَى ما عَدَدْتَهُ وأنَّ الَّذِي أعْدَدْتَهُ غَيْرُ عُدَّةِ
ونَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى ولٰكِنَّها الأهْوَاءُ عَمَّتْ فأعْمَتِ
وقَدْ آنَ أنْ أُبْدِي هَوَاكَ ومَنْ بِهِ ضَنَاكَ بِمَا يَنْفِي ادِّعاكَ مَحَبَّتِي
حَلِيفُ غَرَامٍ أنْتَ لٰكِنْ بِنَفْسِهِ وإبْقَاكَ وَصْفاً مِنْكَ بَعْضُ أدِلَّتِي
فَلَمْ تَهْوَنِي ما لَمْ تَكُنْ فِيَّ فانِياً ولَمْ تَفْنَ ما لا تُجْتَلَى فِيكَ صُورَتِي
فَدَعْ عَنْكَ دَعْوَى الحُبِّ وادْعُ لِغَيْرِهِ فُؤَادَكَ وادْفَعْ عَنْكَ غَيَّكَ بالَّتِي

وجانِبْ جَنابَ الوَصْلِ هَيْهاتَ لَمْ يَكُنْ ... وها أنْتَ حَيٌّ إنْ تَكُنْ صادِقاً مُتِ

هُوَ الحُبُّ إنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأْرَباً ... مِنَ الحُبِّ فاخْتَرْ ذَاكَ أوْ خَلِّ خُلَّتِي

فَقُلْتُ لها رُوحِي لَدَيْكِ وقَبْضُها ... إلَيْكِ ومَنْ لي أنْ تَكُونَ بِقَبْضَتِي

وما أنا بالشَّانِي الوَفَاةَ على الهَوَى ... وشَأْنِي الوَفَا تَأْبَى سِوَاهُ سَجِيَّتِي

وماذا عَسَى عَنِّي يُقالُ سِوَى قَضَى ... فلانٌ هَوَى مَنْ لِي بِذَا وهوَ بُغْيَتِي

أجَلْ أجَلِي أرْضَى انْقِضاهُ صَبَابَةً ... ولا وَصْلَ إنْ صَحَّتْ لِحُبِّكِ نِسْبَتِي

وإن لَمْ أفُزْ حَقّاً إلَيْكِ بِنِسْبَةٍ ... لِعِزَّتِها حَسْبِي افْتِخاراً بِتُهْمَةِ

ودُونَ اتِّهَامِي إنْ قَضَيْتُ أسًى فَمَا ... أسَأْتُ بِنَفْسٍ بالشَّهادَةِ سُرَّتِ

وَلِي مِنْكِ كافٍ إنْ هَدَرْتِ دَمِي ولَمْ ... أُعَدُّ شَهِيداً عِلْمُ دَاعِي مَنِيَّتِي

ولَمْ تَسْوَ رُوحِي في وِصالِكِ بَذْلَها ... لَدَيَّ لِبَوْنٍ بَيْنَ صَوْنٍ وبَذْلَةِ

وإنِّي إلى التَّهْدِيدِ بالمَوْتِ رَاكِنٌ ... ومِنْ هَوْلِهِ أرْكانُ غَيْرِيَ هُدَّتِ

وَلَمْ تَعْسِفِي بالقَتْلِ نَفْسِيَ بَلْ لها ... بِهِ تُسْعِفِي إنْ أنْتِ أتْلَفْتِ مُهْجَتِي

فإنْ صَحَّ هذا القَالُ مِنْكِ رَفَعْتِنِي ... وأعْلَيْتِ مِقْدَارِي وأغْلَيْتِ قِيمَتِي

وها أنا مُسْتَدْعٍ قَضاكِ وما بِهِ ... رِضَاكِ وَلا أخْتارُ تأخِيرَ مُدَّتِي

وعِيدُكِ لِي وَعْدٌ وإنْجَازُهُ مُنَى ... وَلِيٌّ بِغَيْرِ البُعْدِ إنْ يُرْمَ يَثْبُتِ

وقَدْ صِرْتُ أرْجُو ما يُخَافُ فَأَسْعِدِي ... بِهِ رُوحَ مَيْتٍ لِلحَيَاةِ اسْتَعَدَّتِ

وبِي مَنْ بها نافَسْتُ بالرُّوحِ سالِكاً ... سَبِيلَ الأُلَى قَبْلِي أبَوْا غَيْرَ شِرْعَتِي

بِكُلِّ قَبِيلٍ كَمْ قَتِيلٍ بها قَضَى ... أسًى لَمْ يَفُزْ يَوْماً إليها بِنَظْرَةِ

وكَمْ في الوَرَى مِثْلِي أماتَتْ صَبَابَةً ... ولَوْ نَظَرَتْ عَطْفاً إليهِ لأَحْيَتِ

إذا ما أحَلَّتْ في هَوَاها دَمِي فَفِي ... ذُرَى العِزِّ والعَلْيَاءِ قَدْرِي أحَلَّتِ

لَعَمْرِي وإنْ أتْلَفْتُ عُمْرِي بِحُبِّها ... رَبِحْتُ وإنْ أبْلَتْ حَشَايَ أبَلَّتِ

ذَلَلْتُ لها في الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي ... وأدْنى مَنَالٍ عِنْدَهُمْ فَوْقَ هِمَّتِي

وأخْمَلَنِي وَهْناً خُضُوعِي لَهُم فَلَمْ ... يَرَوْنِي هَوَاناً بِي مَحَلاًّ لِخِدْمَتِي

ومِنْ دَرَجاتِ العِزِّ أمْسَيْتُ مُخْلِداً … إلَى دَرَكاتِ الذُّلِّ مِنْ بَعْدِ نَخْوَتِي
فلا بابَ لي يُغْشَى ولا جاهُ يُرْتَجَى … ولا جارَ لِي يُحْمَى لِفَقْدِ حَمِيَّتِي
كأنْ لَم أكُنْ فِيهِمْ خَطِيراً ولَمْ أزَلْ … لَدَيْهِمْ حَقِيراً فِي رَخاءٍ وشِدَّةِ
فلَوْ قِيلَ مَنْ تَهْوَى وصَرَّحْتُ باسْمِهَا … لَقِيلَ كَنَى أوْ مَسَّهُ طَيْفُ جِنَّةِ
ولَوْ عَزَّ فِيها الذُّلُّ ما لَذَّ لِي الهَوَى … ولَمْ تَكُ لوْلا الحُبُّ في الذلِّ عِزَّتِي
فَحَالِي بِهَا حَالٍ بِعَقْلِ مُدلَّهٍ … وصِحَّةِ مَجْهُودٍ وعِزِّ مَذَلَّةِ
أسَرَّتْ تَمَنِّي حُبِّهَا النَّفْسُ حَيْثُ لا … رَقِيبَ حِجاً سِرّاً لِسِرِّي وخَصَّتِ
فأشْفَقْتُ مِنْ سَيْرِ الحَدِيثِ بِسائِرِي … فَتُعْرِبُ عَنْ سِرِّي عِبارَةُ عَبْرَتِي
يُغالِطُ بَعْضِي عَنْهُ بَعْضِي صِيانَةً … ومَيْنِيَ في إخفائِهِ صِدْقُ لَهْجَتِي
ولَمَّا أبَتْ إظْهَارَهُ لِجَوَانِحِي … بَدِيهَةُ فِكْرِي صُنْتُهُ عَنْ رَوِيَّتِي
وبالَغْتُ في كِتْمَانِهِ فَنَسِيتُهُ … وأُنْسِيتُ كَتْمِي ما إليهِ أسَرَّتِ
فإنْ أجْنِ مِنْ غَرْسِ المُنَى ثَمَرَ العَنَا … فلِلَّهِ نَفْسٌ في مُنَاها تَعنَّتِ
وأحْلَى أمانِي الحُبِّ للنَّفْس ما قَضَتْ … عَنَاها بِهِ مَنْ أذْكَرَتْهَا وأنْسَتِ
أقامَتْ لها مِنِّي علَيَّ مُرَاقِباً … خَوَاطِرَ قَلْبِي بالهَوَى إنْ ألَمَّتِ
فإنْ طَرَقَتْ سِرّاً مِنَ الوَهْمِ خاطِرِي … بلا حاظِرٍ أطْرَقْتُ إجْلالَ هَيْبَةِ
ويُطْرَفُ طَرْفِي إنْ هَمَمْتُ بِنَظْرَةٍ … وإنْ بُسِطَتْ كَفِّي إلى البَسْطِ كُفَّتِ
فَفِي كُلِّ عِضْوٍ فِيَّ إقْدامُ رَغْبَةٍ … ومِنْ هَيْبَةِ الإعْظامِ إحْجَامُ رَهْبَةِ
لِفِيَّ وسَمْعِي فِيَّ آثارُ زَحْمَةٍ … عَلَيْها بَدَتْ عِنْدِي كإيثارِ رَحْمَةِ
لِسَانِي إنْ أبْدَى إذا ما تَلاَ اسْمَها … لَهُ وَصْفُهُ سَمْعِي وما صَمَّ يَصْمُتِ
وأُذْنِيَ إنْ أهْدَى لِسَانِي ذِكْرَها … لِقَلْبِي ولَمْ يَسْتَعْبِدِ الصَّمْتَ صُمَّتِ
أغارُ علَيها أنْ أهِيمَ بِحُبِّها … وأعْرِفُ مِقْدَارِي فَأُنْكِرُ غِيرَتِي
فَتُخْتَلَسُ الرُّوحُ ارْتِياحاً لها ومَا … أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ تَوَهُّمِ مُنْيَةِ
يَرَاها على بُعْدٍ عَنِ العَيْنِ مِسْمَعِي … بِطَيْفِ مَلاَمٍ زائِرٍ حِينَ يَقْظَتِي

فَيَغْبِطُ طَرْفِي مِسْمَعِي عِنْدَ ذِكْرِها ... وتَحْسِدُ ما أَفْنَتْهُ مِنِّي بَقِيَّتِي
أَمَمْتُ أَمامِي في الحَقِيقَةِ فالوَرَى ... وَرائي وكانَتْ حَيْثُ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي
يَرَاها إمامي في صَلاتِي ناظِرِي ... ويَشْهَدُنِي قَلْبِي أمامَ أَئِمَّتِي
ولا غَرْوَ إنْ صَلَّى الإمامُ إليَّ أنْ ... تَوَتْ في فُؤَادِي وَهِيَ قِبْلَةُ قِبْلَتِي
وكُلُّ الجِهَاتِ السِّتِّ نَحْوِي تَوَجَّهَتْ ... بِما تَمَّ مِنْ نُسْكٍ وَحَجٍّ وعُمْرَةِ
لَهَا صلَوَاتِي بالمَقَامِ أُقِيمُهَا ... وَأَشْهَدُ فِيها أنَّها لِيَ صَلَّتِ
كِلانَا مُصَلٍّ وَاحِدٌ ساجِدٌ إلى ... حَقِيقَتِهِ بالجَمْعِ في كُلِّ سَجْدَةِ
وما كان لِي صَلَّى سِوَايَ ولَمْ تَكُنْ ... صَلاتِي لِغَيْرِي في أدَا كُلِّ رَكْعَةِ
إلى كَمْ أُوَاخِي السِّتْرَ ها قَدْ هَتَكْتُهُ ... وحَلُّ أُوَاخِي الحُجْبِ في عَقْدِ بَيْعَتِي
مُنِحْتُ وَلاها يَوْمَ لا يَوْمَ قَبْلَ أنْ ... بَدَتْ عِنْدَ أخْذِ العَهْدِ في أوَّلِيَّتِي
فَنِلْتُ وَلاَهَا لا بِسَمْعٍ وناظِرٍ ... ولا باكْتِسَابٍ واجْتِلابِ جِبِلَّةِ
وهِمْتُ بها في عالَمِ الأمْرِ حَيْثُ لا ... ظُهُورٌ وكانَتْ نَشْوَتِي قَبْلَ نَشْأَتِي
فأَفْنَى الهَوَى ما لَمْ يَكُنْ ثَمَّ باقِياً ... هُنَا مِنْ صِفَاتٍ بَيْنَنَا فاضْمَحَلَّتِ
فأَلْفَيْتُ ما أَلْقَيْتُ عَنِّيَ صادِراً ... إلَيَّ ومِنِّي وارِداً بِمَزِيدَتِي
وشاهَدْتُ نَفْسِي بالصِّفَاتِ الَّتي بها ... تَحَجَّبْتِ عَنِّي في شُهُودِي وحِجْبَتِي
وإنِّي الَّتِي أحْبَبْتُها لا مَحَالَةً ... وكانَتْ لها نَفْسِي عَلَيَّ مُحِيلَتِي
فهَامَتْ بها مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِ وَهْيَ في ... شُهُودِي بِنَفْسِ الأمْرِ غَيْرُ جَهُولَةِ
وقد آنَ لِي تَفْصيلُ ما قُلْتُ مُجْمَلاً ... وإجْمَالُ ما فَصَّلْتُ بَسْطاً لِبَسْطَتِي
أفَادَ اتِّخاذِي حُبَّهَا لاتِّحادِنا ... نَوَادِرَ عَنْ عادِ المُحِبِّينَ شَذَّتِ
يَشِي لي بِيَ الوَاشِي إليها وَلاَئِمِي ... عليْهَا بِهَا يُبْدِي لَدَيْهَا نَصِيحَتِي
فأُوسِعُها شُكْراً وما أسْلَفَتْ قِلى ... وتَمْنَحُنِي بِرّاً لِصِدْقِ المَحَبَّةِ
تَقَرَّبْتُ بالنَّفْسِ احْتِساباً لها ولَمْ ... أكُنْ راجِياً عَنْهَا ثَوَاباً فأدْنَتِ
وقَدَّمْتُ مَا لِي في مآلِيَ عاجِلاً ... وما إنْ عَساها أنْ تكُونَ مُنِيلَتِي

وخَلَّفْتُ خَلْفِي رُؤْيَتِي ذَاكَ مُخْلِصاً   ولَسْتُ بِرَاضٍ أنْ تَكُونَ مَطِيَّتِي
وَيَمَّمنَا بالفَقْرِ لٰكِنْ بِوَصْفِهِ   غَنِيْتُ فأَلْقَيْتُ افْتِقاري وثَرْوَتِي
فأَثْنَيْتَ لِي إِلْقَاءُ فَقْرِيَ والغِنَى   فَضِيلَةَ قَصْدِي فاطَّرَحْتُ فَضِيلَتِي
فَلاحَ فَلاحِي في اطِّرَاحِي فأَصْبَحَتْ   ثَوَابِيَ لا شَيْئاً سِواها مُثِيبَتِي
وظِلْتُ لَهَا لا بِي إِلَيها أَدُلُّ مَنْ   بِهِ ضَلَّ عَنْ سُبْلِ الهُدَى وَهْيَ دلَّتِ
فَخَلٌّ لها خِلِّي مُرَادَكَ مُعْطِياً   قِيَادَكَ مِنْ نَفْسٍ بِهَا مُطْمَئِنَّةِ
وأَمْس خَلِيا مِنْ حُظُوظِكَ واسْمُ عَنْ   حَضِيضِكَ واثْبُتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَنْبُتِ
وسَدِّد و قارِب واعْتَصِمْ واسْتَقِمْ لها   مُجِيباً إليها عَنْ إنابَةِ مُخْبِتِ
وعُدْ مِنْ قَرِيبٍ واسْتَجِب واجْتَنِبْ غَداً   أُشَمِّرُ عَنْ ساقِ اجْتِهَادٍ بِنَهْضَةِ
وكُنْ صارِماً كالوقْتِ فالمَقْتُ في عَسَى   وإِيَّاكَ عَلاًّ فَهْيَ أخْطَرُ عِلَّةِ
وقُمْ في رِضاها واسْعَ غَيْرَ مُحَاوِلٍ   نَشاطاً ولا تُخْلِدْ لِعَجْزٍ مُفَوِّتِ
وسِرْ زَمِناً وانْهَضْ كَسِيراً فَحَظُّكَ الْـ   بَطالَةُ ما أَخَّرْتَ عَزْماً لِصِحَّةِ
وأَقْدِمْ وقَدِّمْ ما قَعَدْتَ لَهُ مَعَ الْـ   خَوَالِفِ واخْرُجْ عَنْ قُيُودِ التَّلَفُّتِ
وجُذَّ بِسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فانْ تَجُدْ   تَجِدْ نَفَساً فالنَّفْس إنْ جُدْتَ جَدَّتِ
وأَقْبِلْ إليها وانْحُها مُفْلِساً فَقَدْ   وَصَيْتَ لِنُصْحِي إنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
فَلَمْ يَدْنُ مِنْها مُوسِرٌ باجْتِهادِهِ   وعنها بِهِ لَمْ يَنْأَ مُؤْثِرُ عُسْرَةِ
بِذَاكَ جَرَى شَرْطُ الهَوَى بَيْنَ أهْلِهِ   وطائِفَةٌ بالعَهْدِ أَوْفَتْ فَوُفِّتِ
مَتَى عَصَفَتْ رِيحُ الوَلاَ قَصَفَتْ أخا   غَنَاءٍ ولَوْ بالفَقْرِ هَبَّتْ لَرَبَّتِ
وأَغْنَى يَمِينٍ باليَسَارِ جَزَاؤُها   مُدَى القَطْعِ ما لِلْوَصْلِ في الحُبِّ مُدَّتِ
وأَخْلِصْ لها واخْلُصْ بها عَنْ رُعُونَة افْـ   تِقارِكَ مِنْ أَعْمَالِ بِرٍّ تَزَكَّتِ
وعَادِ دوَاعِي القِيلِ والقَالِ وانْجُ مِنْ   عَوَادِي دَعَاوٍ صِدْقُهَا قَصْدُ سُمْعَةِ
فَأَلْسُنُ مَنْ يُدْعَى بِأَلْسَنِ عارِفٍ   وقَدْ عَبَرَتْ كُلَّ العِبَارَاتِ كَلَّتِ
وما عَنْهُ لَمْ تُفْصِحْ فإِنَّكَ أهْلُهُ   وأَنْتَ غَرِيبٌ عَنْهُ إنْ قُلْتَ فاصْمُتِ

وفي الصَّمْتِ سَمْتٌ عِنْدَهُ جاهُ مُسْكَةٍ ... غَدَا عَبْدَهُ مَنْ ظَنَّهُ خَيْرَ مُسْكِتِ
فَكُنْ بَصَراً وانْظُرْ وسَمْعاً وعِهْ وكُنْ ... لِساناً وقُلْ فالجَمْعُ أهْدَى طَرِيقَةِ
ولا تَتَّبِعْ مَنْ سَوَّلَتْ نَفْسُهُ لَهُ ... فَصَارَتْ لَهُ أمَّارَةً واسْتَمَرَّتِ
وَدَعْ ما عَدَاها واعْدُ نَفْسَكَ فهيْ مِنْ ... عِدَاها وَعُذْ مِنْها بِأحْصَنِ جُنَّةِ
فَنَفْسِيَ كانَتْ قَبْلُ لَوَّامَةً متَى ... أُطِعْهَا عَصَتْ أوْ أعْصِ كانَتْ مُطِيعَتِي
فأوْرَدْتُهَا ما المَوْتُ أيْسَرُ بَعْضِهِ ... وأتْعَبْتُها كَيْمَا تَكُونَ مُرِيحَتِي
فَعَادَتْ ومَهْمَا حُمِّلَتْهُ تحَمَّلَتْـ ... ـهُ مِنِّي وإنْ خَفَّفْتُ عَنْهَا تَأذَّتِ
وكَلَّفْتُها لا بَلْ كَفَلْتُ قِيامَهَا ... بِتَكْلِيفِها حتَّى كَلِفْتُ بِكُلْفَتِي
وأذْهَبْتُ في تَهْذِيبِها كُلَّ لِذَّةٍ ... بِإبْعَادِها عَنْ عادِهَا فاطْمأنَّتِ
ولَمْ يَبْقَ هَوْلٌ دُونَهَا ما رَكِبْتُهُ ... وأشْهَدُ نَفْسِي فِيهِ غَيْرَ زَكِيَّةِ
وكُلُّ مَقَامٍ عَنْ سُلُوكٍ قَطَعْتُهُ ... عُبُودِيَّةً حَقَّقْتُهَا بِعُبُودَةِ
وكُنْتُ بِهَا صَبّاً فَلَمَّا تَرَكْتُ ما ... أُرِيدُ أرَادَتْنِي لَهَا وأحَبَّتِ
فَصِرْتُ حَبِيباً بَلْ مُحِبّاً لِنَفْسِهِ ... ولَيْسَ كَقَوْلٍ مَرَّ نَفْسِي حَبِيبَتِي
خَرَجْتُ بِهَا عَنِّي إليهَا فلَمْ أعُدْ ... إلَيَّ وَمِثْلِي لا يَقُولُ بِرَجْعَةِ
وأفْرَدْتُ نَفْسِي عَنْ خُرُوجِي تَكَرُّماً ... فَلَمْ أرْضَها مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِصُحْبَتِي
وغُيِّبْتُ عَنْ إفْرادِ نَفْسِي بِحَيْثُ لا ... يُزَاحِمُني إبْدَاءُ وَصفٍ بِحَضْرَتِي
وها أنا أُبْدِي في اتِّحَادِيَ مَبْدَئِي ... وأُنْهِي انْتِهائِي في تَوَاضُعِ رِفْعَتِي
جَلَتْ في تَجَلِّيها الوُجُودَ لِنَاظِرِي ... فَفِي كُلِّ مَرْئِيٍّ أرَاها بِرُؤْيَةِ
وأُشْهِدْتُ غَيْبِي إذْ بَدَتْ فَوَجَدْتُنِي ... هُنَالِكَ إيَّاهَا بِجَلْوَةِ خَلْوَتِي
وطاحَ وجُودِي في شُهُودِي وبِنْتُ عَنْ ... وُجُودِ شُهُودِي ماحِياً غَيْرَ مُثْبِتِ
وعانَقْتُ ما شاهَدْتُ في مَحْوِ شاهِدِي ... بِمَشْهَدِهِ للصَّحْوِ مِنْ بَعْدِ سَكْرَتِي
فَفي الصَّحْوِ بَعْدَ المَحْوِ لَمْ أكُ غَيْرَهَا ... وذاتِي بِذَاتِي إذْ تَحَلَّتْ تَجَلَّتِ
فَوَصْفِيَ إذْ لَمْ تُدْعَ بِاثْنَيْنِ وَصْفُهَا ... وهَيْئَتُها إذْ وَاحِدٌ نَحْنُ هَيْئَتِي

فإنْ دُعِيَتْ كُنْتُ المُجيبَ وإنْ أكُنْ مُنادًى أجابَتْ مَنْ دَعانِي وَلَبَّتِ
وإنْ نَطَقَتْ كُنْتُ المُنَاجِي كَذاكَ إنْ قَصَصْتُ حَدِيثاً إنَّما هِيَ قَصَّتِ
فقَدْ رُفِعَتْ تَاءُ المُخَاطَبِ بَيْنَنَا وفي رَفْعِها عَنْ فُرْقَةِ الفَرْقِ رِفْعَتِي
فإنْ لَمْ يُجَوِّزْ رُؤْيَةَ اثْنَيْنِ وَاحِداً حِجَاكَ ولَمْ يُثْبِتْ لِبُعْدِ تَثَبُّتِ
سأجْلُو إشارَاتٍ عَلَيْكَ خَفِيَّةً بِهَا كَعِبارَاتٍ لَدَيْكَ جَلِيَّةِ
وأعْرِبُ عَنْهَا مُغْرِباً حَيْثُ لاتَ حَيْـ ـان لَبْسٍ بِتِبْيَانِي سَمَاعٍ ورُؤْيَةِ
وأُثْبِتُ بالبُرْهانِ قَوْلِيَ ضارِباً مِثَالَ مُحِقٍّ والحقيقَةُ عُمْدَتِي
بِمَتْبُوعَةٍ يُنْبِيكَ في الصَّرْعِ غَيْرُها على فَمِهَا في مَسِّها حَيْثُ جُنَّتِ
ومِنْ لُغَةٍ تَبْدُو بِغَيْرِ لِسانِهَا عَلَيْهِ بَرَاهِينُ الأدِلَّةِ صَحَّتِ
وفي العِلْمِ حَقّاً أنَّ مُبْدِي غَرِيبِ ما سَمِعْتَ سِوَاها وهيَ في الحِسِّ أبْدَتِ
فَلَوْ واحِداً أمْسَيْتَ أصْبَحْتَ واجِداً مُنَازَلَةً ما قُلْتُهُ عَنْ حَقِيقَةِ
ولٰكِنْ على الشِّرْكِ الخَفِيِّ عَكَفْتَ لَوْ عَرَفْتَ بِنَفْسٍ عَنْ هُدى الحَقِّ ضَلَّتِ
وفي حُبِّهِ مَنْ عَزَّ تَوْحِيدُ حِبِّهِ فَبِالشِّرْكِ يَصْلَى مِنْهُ نارَ قَطِيعَةِ
وما شأنَ هذا الشَّأْنَ مِنْكَ سِوَى السِّوَى ودَعْوَاهُ حَقّاً عَنْكَ إنْ تُمْحَ تَثْبُتِ
كذَا كُنْتُ حِيناً قَبْلَ أنْ يُكْشَفَ الغِطَا مِنَ اللَّبْسِ لا أنْفَكُّ عَنْ ثَنَوِيَّةِ
أرُوحُ بِفَقْدٍ بالشُّهُودِ مُؤَلِّفِي وأغْدُو بِوَجْدٍ بالوُجُودِ مُشَتِّتِي
يُفَرِّقُنِي لُبِّي الْتِزَاماً بِمَحْضَرِي ويَجْمَعُنِي سَلْبِي اصْطِلاحاً بِغَيْبَتِي
إخالُ حَضِيضِي الصَّحْوَ والسُّكْرَ مَعْرَجِي إلَيها ومَحْوِي مُنْتَهَى قابِ سِدْرَتِي
فلَمَّا جَلَوْتُ الغَيْنَ عنِّي اجْتَلَيْتُنِي مُفِيقاً ومِنِّي العَيْنُ بالعَيْنِ قَرَّتِ
ومِنْ فاقَتِي سُكْراً غَنِيتُ إفاقَةً لَدَى فَرْقِيَ الثَّانِي فَجَمْعِي كَوَحْدَتِي
فجاهِدْ تُشاهِدْ فِيكَ مِنْكَ وَرَاءَ ما وَصَفْتُ سُكُوناً عَنْ وُجُودِ سَكِينَةِ
فَمِنْ بَعْدِما جاهَدْتُ شاهَدْتُ مَشْهَدِي وهادِيَّ لي إيَّايَ بَلْ بِيَ قُدْوَتِي
وبِي مَوْقِفِي لا بَلْ إلَيَّ تَوَجُّهِي كَذاكَ صَلاتِي لي ومِنِّي كَعْبَتِي

فلا تَكُ مَفْتُوناً بِحُسْنِكَ مُعْجِباً بِنَفْسِكَ مَوْقُوفاً على لَبْسِ غِرَّةِ
وفارِقْ ضَلالَ الفَرْقِ فالجَمْعُ مُنْتِجٌ هُدَى فِرْقَةٍ بالاتِّحادِ تَحَدَّتِ
وصَرِّحْ بإطْلاقِ الجَمَالِ ولا تَقُلْ بتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ
فَكُلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌ لَهُ بَلْ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةِ
بِهَا قَيْسُ لُبْنَى هامَ بَلْ كُلُّ عاشِقٍ كَمَجْنُونِ لَيْلَى أوْ كُثَيِّرِ عَزَّةِ
فكُلٌّ صَبَا مِنْهُمْ إلى وَصْفِ لَبْسِها بِصُورةِ حُسْنٍ لاحَ في حُسْنِ صورَةِ
وما ذاكَ إلاَّ أنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ فَظَنُّوا سِوَاها وَهيَ فِيها تَجَلَّتِ
بَدَتْ باحْتِجابٍ واخْتَفَتْ بِمَظَاهِرٍ على صِبَغِ التَّلْوِينِ في كُلِّ بَرْزَةِ
فَفِي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لآدَمٍ بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ
فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُونَ بِهَا أباً ويَظْهَرَ بالزَّوْجَيْنِ حُكْمُ البُنُوَّةِ
وكانَ ابْتِدَاء حُبِّ المَظَاهِرِ بَعْضَها لِبَعْضٍ ولا ضِدٌّ يُصَدُّ بِبِغْضَةِ
وما بَرِحَتْ تَبْدُو وتَخْفَى لِعِلَّةٍ على حَسَبِ الأوْقاتِ في كُلِّ حِقْبَةِ
وتَظْهَرُ لِلعُشَّاقِ في كُلِّ مَظْهَرٍ مِنَ اللَّبْسِ في أشْكالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ
فَفِي مَرَّةٍ لُبْنَى وأُخْرَى بُثَيْنَةً وَآوِنَةً تُدْعَى بِعَزَّةَ عَزَّتِ
وَلَسْنَ سِوَاها لا ولا كُنَّ غيْرَها وما إنْ لها في حُسْنِهَا منْ شَرِيكَةِ
كذَاكَ بِحُكْمِ الاتِّحَادِ بِحُسْنِها كما لي بَدَتْ في غَيْرِها وتَزَيَّتِ
بَدَوْتُ لها في كُلِّ صَبٍّ مُتَيَّمٍ بأيِّ بَدِيعٍ حُسْنُهُ وبِأيَّةِ
ولَيْسُوا بِغَيْرِي في الهَوَى لِتَقَدُّمٍ عَلَيَّ لِسَبْقٍ في اللَّيَالِي القَدِيمَةِ
وما القَوْمُ غَيْرِي في هَوَاها وإنَّما ظَهَرْتُ لهُمْ لِلَّبْسِ في كُلِّ هَيْئَةِ
فَفِي مَرَّةٍ قَيْساً وأُخْرَى كُثَيِّراً وَآوِنَةً أبْدُو جَمِيلَ بُثَيْنَةِ
تَجَلَّيْتُ فيهِمْ ظاهِراً واحْتَجَبْتُ با طِناً بِهِم فاعْجَبْ لِكَشْفٍ بِسُتْرَةِ
وهُنَّ وَهُمْ لا وَهْنَ وَهْمٍ مَظاهِرٌ لنا بِتَجَلِّينا بِحُبٍّ ونَضْرَةِ
فكُلُّ فَتًى حُبٍّ أنا هُوَ وَهيَ حِـ ـبُّ كلِّ فَتًى والكُلُّ أسْمَاءُ لُبْسَةِ

أسامِ بها كُنْتُ المُسَمَّى حَقِيقَةً ... وكُنْتُ لِيَ البادِي بِنَفْسٍ تَخَفَّتِ
وما زِلْتُ إيَّاها وإيَّايَ لَمْ تَزَلْ ... ولا فَرْقَ بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتِ
ولَيْسَ معي في المُلْكِ شَيْءٌ سِوَايَ والْـ ... ـمَعِيَّةُ لَمْ تَخْطُرْ على أَلْمَعِيَّةِ
وهَذِي يَدِي لا أنَّ نَفْسِي تَخَوَّفَتْ ... سِوَايَ ولا غَيْرِي لِخَيْرِي تَرَجَّتِ
ولا ذُلَّ إخْمَالٍ لِذِكْرِي تَوَقَّعَتْ ... ولا عِزَّ إقْبالٍ لِشُكْرِي تَوَخَّتِ
ولكِنْ لِصَدِّ الضِّدِّ عَنْ طَعْنِهِ على ... عُلاَ أوْلِيَاءِ المُنْجِدِينَ بِنَجْدَتِي
رَجَعْتُ لأعْمَالِ العِبَادَةِ عَادَةً ... وأعْدَدْتُ أحْوَالَ الإرَادَةِ عُدَّتِي
وعُدْتُ بِنُسْكِي بَعْدَ هَتكي وعُدْتُ مِنْ ... خَلاعَةِ بَسْطِي لانْقِبَاضٍ بِعِفَّةِ
وصمتُ نهاري رَغْبَةً في مَثُوبَةٍ ... وأحْيَيْتُ لَيْلِي رَهْبَةً مِنْ عُقُوبَةِ
وعَمَّرْتُ أوْقَاتِي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ ... وصَمْتٍ لِسَمْتٍ واعْتِكافٍ لِحُرْمَةِ
وبِنْتُ عَنِ الأوْطانِ هِجْرَانَ قاطِعٍ ... مُوَاصَلَةَ الإخْوَانِ واخْتَرْتُ عُزْلَتِي
ودَقَّقْتُ فِكْرِي في الحَلالِ تَوَرُّعاً ... ورَاعَيْتُ في إصلاحِ قُوْتِي قُوَّتِي
وأنْفَقْتُ مِنْ يُسْرِ القَنَاعَةِ رَاضِياً ... مِنَ العَيْشِ في الدُّنْيا بأيْسَرِ بُلْغَةِ
وهَذَّبْتُ نفسي بالرِّيَاضَةِ ذَاهِباً ... إلى كَشْفِ ما حُجْبُ العَوَائِدِ غَطَّتِ
وجَرَّدْتُ في التَّجْرِيدِ عَزْمِي تَزَهُّداً ... وآثَرْتُ في نُسْكِي اسْتِجَابَةَ دَعْوَتِي
مَتَى حِلْتُ عَنْ قَوْلِي أنا هِيَ أو أقُلْ ... وحاشا لِمِثْلِي أنَّها فِيَّ حَلَّتِ
ولَسْتُ على غَيْبٍ أُحِيلُكَ لا ولا ... على مُسْتَحِيلٍ مُوجِبٍ سَلْبَ حِيلَةِ
وكَيْفَ وباسْمِ الحَقِّ ظَلَّ تَحَقُّقِي ... تَكُونُ أرَاجِيفُ الضَّلالِ مُخِيفَتِي
وهَا دِحْيَةٌ وَافَى الأمِينَ نَبِيَّنَا ... بِصُورَتِهِ في بَدْءِ وَحْيِ النُّبُوءَةِ
أجِبْرِيلُ قُلْ لِي كانَ دِحْيَةَ إذْ بَدَا ... لِمُهْدِي الهُدَى في هَيْئَةٍ بَشَرِيَّةِ
وفي عِلْمِهِ عَنْ حاضِرِيهِ مَزِيَّةٌ ... بِمَاهِيَّةِ المَرْئِيِّ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
يَرَى مَلَكاً يُوحِي إلَيْهِ وغَيْرُهُ ... يَرَى رَجُلاً يُدْعَى لَدَيْهِ بِصُحْبَةِ
ولِي مِنْ أتَمِّ الرُّؤْيَتَيْنِ إشَارَةٌ ... تُنَزِّهُ عَنْ رَأْيِ الحُلُولِ عَقِيدَتِي

وفي الذِّكْرِ ذِكْرُ اللَّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ — ولَمْ أعْدُ عَنْ حُكْمِي كِتابٍ وسُنَّةِ
مَنَحْتُكَ عِلْماً إنْ تُرِدْ كَشْفَهُ فَرِدْ — سَبِيلي واشْرَعْ في اتِّبَاعِ شَرِيعَتِي
فَمَنْبَعُ صَدِّي مِنْ شَرَابٍ نَقِيعُهُ — لَدَيَّ فَدَعْنِي مِنْ سَرَابٍ بَقِيعَةِ
ودُونَكَ بَحْراً خُضْتُهُ وَقَفَ الأُلَى — بِساحِلِهِ صَوْناً لِمَوْضِعِ حُرْمَتِي
وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إشارَةٌ — لِكَفِّ يَدٍ صُدَّتْ لَهُ إذْ تَصَدَّتِ
وما نَالَ شَيْئاً مِنْهُ غَيْرِي سِوَى فَتًى — على قَدَمِي في القَبْضِ والبَسْطِ ما فَتِي
فلا تَعْشُ عَنْ آثارِ سَيْرِي واخْشَ غَيْـ — ـنَ إيْثَارِ غَيْرِي واغْشَ عَيْنَ طَرِيقَتِي
فُؤَادِي ولاَها صاحِبي الفُؤَادِ في — ولايَةِ أمْرِي داخِلٌ تَحْتَ إمْرَتِي
ومُلْكُ مَعالي العِشْقِ مُلْكِي وجُنْدِيَ الْـ — ـمَعانِيَ وَكُلُّ العاشِقِينَ رَعِيَّتِي
فَتَى الحُبِّ ها قَدْ بِنْتُ عَنْهُ بِحُكْمِ مَنْ — يَرَاهُ حِجاباً فالهَوَى دُونَ رُتْبَتِي
وجاوَزْتُ حَدَّ العِشْقِ فالحُبُّ كالقِلَى — وعَنْ شَأْوِ مِعْراجِ اتِّحادِي رِحْلَتِي
فَطِبْ بِالهَوَى نَفْساً فَقَدْ سُدْتَ أنْفُسَ الْـ — ـعِبادِ مِنَ العُبَّادِ في كُلِّ أُمَّةِ
وفُزْ بالعُلَى وافْخَرْ على ناسِكٍ عَلاَ — بِظاهِرِ أعْمَالٍ ونَفْسٍ تَزَكَّتِ
وجُزْ مُثْقَلاً لَوْ خَفَّ طَفَّ مُوَكَّلاً — بِمَنْقُولِ أحْكامٍ ومَعْقُولِ حِكْمَةِ
وحُزْ بالوَلاَ مِيرَاثَ أرْفَعِ عارِفٍ — غَدَا هَمُّهُ إيثَارَ تَأْثِيرِ هِمَّةِ
وَتِهْ ساحِباً بالسُّحْبِ أذْيالَ عاشِقٍ — بِوَصْلٍ على أعْلَى المَجَرَّةِ جُرَّتِ
وجُلْ في فُنُونِ الاتِّحَادِ ولا تَحِدْ — إلى فِئَةٍ في غَيْرِهِ العُمْرَ أفْنَتِ
فَوَاحِدُهُ الجَمُّ الغَفِيرُ ومَنْ غَدَا — هُ شِرْذِمَةٌ حُجَّتْ بأبْلَغِ حُجَّةِ
فَمُتَّ بِمَعْنَاهُ وعِشْ فِيهِ أوْ فَمُتْ — مُعَنَّاهُ واتْبَعْ أمَّةً فِيهِ أمَّتِ
فأنْتَ بِهَذَا المَجْدِ أجْدَرُ مِنْ أخِي اجْـ — ـتِهادٍ مُجِدٍّ عَنْ رَجاءٍ وخِيفَةِ
وغَيْرُ عَجِيبٍ هَزُّ عِطْفَيْكَ دُونَهُ — بِأهْنَا وأنْهَى لَذَّةٍ ومَسَرَّةِ
وأوْصافُ مَنْ تُعْزَى إلَيْهِ كَمِ اصْطَفَتْ — مِنَ النَّاسِ مَنْسِيّاً وأسْمَاهُ أسْمَتِ
وأنْتَ على ما أنْتَ عَنِّي نازِحٌ — ولَيْسَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى بِقَرِينَةِ

فَطُورُكَ قَدْ بُلِّغْتَهُ وبَلَغْتَ فَوْ ... قَ طَوْرِكَ حَيْثُ النَّفْسُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ
وحَدُّكَ هذا عِنْدَهُ قِفْ فَعَنْهُ لَوْ ... تَقَدَّمْتَ شيئاً لاحْتَرَقْتَ بِجَذْوَةِ
وقَدْرِي بِحَيْثُ المَرْءُ يُغْبَطُ دُونَهُ ... سُمُوّاً ولٰكِنْ فَوْقَ قَدْرِكَ غِبْطَتِي
وكُلُّ الوَرَى أبْنَاءُ آدَمَ غيرَ أنِّي ... حُزْتُ صَحْوَ الجَمْعِ مِنْ بينِ إخْوَتِي
فَسَمْعِي كَلِيميٌّ وقلبي مُنَبَّأٌ ... بأحْمَدَ رُؤيا مُقْلَةٍ أحْمَدِيَّةِ
ورُوحِي لِلأرْواحِ رُوحٌ وكُلُّ ما ... تَرَى حَسَناً في الكَوْنِ مِنْ فَيْضِ طِينَتِي
فَذَرْ لِي ما قَبْلَ الظُّهُورِ عَرَفْتُهُ ... خُصُوصاً وبي لَمْ تَدْرِ في الذَّرِّ رُفْقَتِي
ولا تُسْمِنِي فيها مُرِيداً فمَن دُعِي ... مُراداً لها جَذْباً فَقِيرٌ لِعِصْمَتِي
وألْغِ الكُنَى عَنِّي وَلا تَلْغُ ألكَناً ... بِهَا فهيَ مِنْ آثارِ صِيغَةِ صَنْعَتِي
وعَنْ لَقَبِي بالعارِفِ ارْجِعْ فإنْ تَرَ الـ ... ـتَّنابُزَ بالألْقابِ في الذِّكْرِ تُمْقَتِ
فأصْغَرُ أتْباعِي على عَيْنِ قَلْبِهِ ... عَرَائِسُ أبْكارِ المعارِفِ زُفَّتِ
جَنَى ثَمَرَ العِرْفانِ مِنْ فَرْعِ فِطْنَةٍ ... زَكا باتِّبَاعِي وهو مِنْ أصْلِ فِطْرَتِي
فإنْ سِيلَ عَنْ مَعْنًى أتَى بِغَرائِبٍ ... عَنِ الفَهْمِ جلَّتْ بَلْ عَنِ الوَهْمِ دَقَّتِ
ولا تَدْعُنِي فيها بِنَعْتٍ مُقَرَّبٍ ... أرَاهُ بِحُكْمِ الجَمْعِ فَرْقَ جَرِيرَةِ
فَوَصْلِيَ قَطْعِي واقْتِرابِي تَباعُدِي ... وَوُدِّيَ صَدِّي وانْتِهائِي بَدَاءَتِي
وفِي مَنْ بها وَرَّيْتُ عَنِّي ولَمْ أرِدْ ... سِوَايَ خَلَعْتُ اسْمِي ورَسْمِي وكُنْيَتِي
فَسِرْتُ إلى ما دُونَهُ وقَفَ الأُلَى ... وضَلَّتْ عُقُولٌ بالعَوائِدِ ضَلَّتِ
فلا وَصْفَ لِي والوَصْفُ رَسْمٌ كَذَاكَ الاسْـ ... ـمُ وَسْمٌ فإنْ تَكْنِي فَكَنِّ أو انْعَتِ
ومِنْ أنا إيَّاها إلى حَيْثُ لا إلَى ... عَرَجْتُ وعَطَّرْتُ الوُجُودَ بِرَجْعَتِي
وعَنْ أنا إيَّايَ لِباطِنِ حِكْمَةٍ ... وظاهِرِ أحْكامٍ أُقِيمَتْ لِدَعْوَتِي
فغَايَةُ مَجْذُوبِي إليها ومُنْتَهَى ... مُرَادِيهِ ما أسْلَفْتُهُ قَبْلَ تَوْبَتِي
ومِنِّيَ أوْجُ السَّابِقِينَ بِزَعْمِهِمْ ... حَضِيضُ ثَرَى آثارِ مَوْضِعِ وَطْأتِي
وآخِرُ ما بَعْدَ الإشارَةِ حَيْثُ لا ... تَرَقِّي ارْتِفاعٍ وضْعُ أوَّلِ خَطْوَتِي

فَمَا عالِمٌ إلاَّ بِفَضْلِيَ عالِمٌ ... ولا ناطِقٌ في الكَوْنِ إلاَّ بِمِدْحَتِي

ولا غَرْوَ أنْ سُدْتُ الأُلَى سَبَقُوا وقَدْ ... تَمَسَّكْتُ مِنْ طه بأوْثَقِ عُرْوَةِ

عليها مَجَازِيٌّ سَلامِي فإنَّمَا ... حَقِيقَتُهُ مِنِّي إليَّ تَحِيَّتِي

وأطْيَبُ ما فيها وَجَدْتُ بِمُبْتَدَا ... غَرَامِي وقَدْ أبْدَى بِهَا كُلُّ نَذْرَةِ

ظُهُورِي وقَدْ أخْفَيْتُ حالِيَ مُنْشِداً ... بِهَا طَرَباً والحَالُ غَيْرُ خَفِيَّةِ

بَدَتْ فَرَأَيْتُ الحَزْمَ في نَقْضِ تَوْبَتِي ... وقامَ بها عِندَ النُّهَى عُذْرُ مِحْنَتِي

فَمِنْها أمانِي مِنْ ضَنَى جَسَدِي بِهَا ... أمانِيُّ آمالٍ سَخَتْ ثُمَّ شَحَّتِ

وفيها تَلافِي الجِسْمِ بالسُّقْمِ صِحَّةٌ ... لهُ وتَلافُ النَّفْسِ نَفْسُ الفُتُوَّةِ

ومَوْتِي بها وَجْداً حَيَاةٌ هَنِيئَةٌ ... وإنْ لمْ أمُتْ في الحُبِّ عِشْتُ بِغُصَّةِ

فَيَا مُهْجَتِي ذُوبِي جَوًى وصَبَابَةً ... ويا لَوْعَتِي كوني كَذَاكَ مُذِيبَتِي

ويا نارَ أحْشائِي أقِيمِي مِنَ الجَوَى ... حَنَايَا ضُلُوعِي فَهِيَ غَيْرُ قَوِيمَةِ

ويا حُسْنَ صَبْرِي في رِضَى مَنْ أُحِبُّهَا ... تَحَمَّلْ وكُنْ للدَّهْرِ بِي غيرَ مُشْمِتِ

ويا جَلَدِي في جَنْبِ طاعَةِ حُبِّهَا ... تَحَمَّلْ عَدَاكَ الكَلُّ كُلَّ عَظِيمَةِ

ويا جَسَدِي المُضْنَى تَسَلَّ عَنِ الشِّفَا ... ويا كَبِدِي مَنْ لِي بأنْ تَتَفَتَّتِي

ويا سَقَمِي لا تُبْقِ لِي رَمَقاً فقدْ ... أبَيْتُ لِبُقْيَا العِزِّ ذُلَّ البَقِيَّةِ

ويا صِحَّتِي ما كانَ مِنْ صُحْبَتِي انْقَضَى ... وَوَصْلُكِ في الأحْشَاءِ مَيْتاً كَهَجْرَةِ

ويا كُلَّ ما أبْقَى الضَّنَى مِنِّي ارْتَحِلْ ... فَمَا لَكَ مَأْوًى في عِظَامٍ رَمِيمَةِ

ويا ما عَسَى مِنِّي أناجِي تَوَهُّماً ... بِيَاءِ النِّدَاءِ أونِسْتُ مِنْكَ بِوَحْشَةِ

وكُلُّ الذي تَرْضَاهُ والمَوْتُ دونَهُ ... بِهِ أنا رَاضٍ والصَّبَابَةُ أرْضَتِ

ونَفْسِيَ لَمْ تَجْزَعْ بإتْلافِهَا أسًى ... ولَوْ جَزِعَتْ كانَتْ بِغَيْرِي تَأَسَّتِ

وَفي كُلِّ حَيٍّ كُلُّ حَيٍّ كَمَيِّتٍ ... بِهَا عِنْدَهُ قَتْلُ الهَوَى خَيْرُ مَوْتَةِ

تَجَمَّعَتِ الأهْوَاءُ فيها فما تَرَى ... بها غَيْرَ صَبٍّ لا يَرَى غَيْرَ صَبْوَةِ

إذ أسْفَرَتْ في يَوْمِ عِيدٍ تَزَاحَمَتْ ... على حُسْنِهَا أبْصَارُ كُلِّ قَبِيلَةِ

فأرْوَاحُهُمْ تَصْبُو لِمَعْنَى جَمَالِها ... وأحْدَاقُهُمْ مِنْ حُسْنِها في حَدِيقَةِ
وعِنْدِي عِيدِي كُلَّ يَوْمٍ أرَى بِهِ ... جَمَالَ مُحَيَّاها بِعَيْنٍ قَرِيرَةِ
وكُلُّ اللَّيالِي لَيْلَةُ القَدْرِ إنْ دَنَتْ ... كما كُلُّ أيَّامِ اللِّقَا يَوْمُ جُمْعَةِ
وسَعْيِي لها حَجٌّ بِهِ كُلُّ وَقْفَةٍ ... على بابِها قد عادَلَتْ كُلَّ وَقْفَةِ
وأيُّ بِلادِ اللَّهِ حَلَّتْ بِها فَمَا ... أرَاها وفي عَيْنِي حَلَّتْ غَيْرَ مَكَّةِ
وأيُّ مكانٍ ضَمَّهَا حَرَمٌ كذا ... أرَى كُلَّ دارٍ أوْطَنَتْ دارَ هِجْرَةِ
وما سَكَنَتْهُ فهوَ بَيتٌ مُقَدَّسٌ ... بِقُرَّةِ عَيْنِي فيهِ أحْشائِي قَرَّتِ
ومَسْجِدِي الأقْصَى مَسَاحِبُ بُرْدِها ... وَطِيبِي ثَرَى أرْضٍ عليها تَمَشَّتِ
مَوَاطِنُ أفْرَاحِي ومَرْبَى مآرِبِي ... وأطْوَارُ أوْطارِي ومأمَنُ خِيفَتِي
مَغَانٍ بها لَمْ يَدْخُلِ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... ولا كادَنَا صَرْفُ الزَّمانِ بِفُرْقَةِ
ولا سَعَتِ الأيَّامُ في شَتِّ شَمْلِنَا ... ولا حَكَمَتْ فِينَا اللَّيالِي بِجَفْوَةِ
ولا صَبَّحَتْنَا النَّائِبَاتُ بِنَبْوَةٍ ... ولا حَدَّثَتْنَا الحادِثاتُ بِنَكْبَةِ
ولا شَنَّعَ الوَاشِي بِصَدٍّ وَهِجْرَةٍ ... ولا أرْجَفَ اللاَّحِي بِبَيْنٍ وسَلْوَةِ
ولا اسْتَيْقَظَتْ عَيْنُ الرَّقِيبِ ولَمْ تَزَلْ ... عَلَيَّ لها في الحُبِّ عَيْنِي رَقِيبَتِي
ولا اخْتُصَّ وقْتٌ دُونَ وقْتٍ بِطِيبَةٍ ... بِها كُلُّ أوْقاتِي مَوَاسِمُ لَذَّةِ
نَهارِي أصِيلٌ كُلُّهُ إنْ تَنَسَّمَتْ ... أوائِلُهُ مِنها بِرَدِّ تَحِيَّتِي
ولَيْلِي فيها كُلُّهُ سَحَرٌ إذَا ... سَرَى لِي مِنها فيه عَرْفُ نُسَيْمَةِ
وإنْ طَرَقَتْ لَيْلاً فَشَهْرِي كُلُّهُ ... بها لَيْلَةُ القَدْرِ ابْتِهاجاً بِزَوْرَةِ
وإنْ قَرُبَتْ دَارِي فَعَامِيَ كُلُّهُ ... رَبِيعُ اعْتِدَالٍ في رِياضٍ أرِيضَةِ
وإنْ رَضِيَتْ عَنِّي فَعُمْرِيَ كُلهُ ... زَمانُ الصِّبا طِيباً وعَصْرُ الشَّبِيبَةِ
لَئِنْ جَمَعَتْ شَمْلَ المحاسِنِ صُورَةً ... شَهِدْتُ بِها كُلَّ المَعَانِي الدَّقِيقَةِ
فَقَدْ جَمَعَتْ أحْشايَ كُلَّ صَبَابَةٍ ... بِها وَجَوًى يُنْبِيكَ عَنْ كُلِّ صَبْوَةِ
ولِمْ لا أُباهِي كُلَّ مَنْ يَدَّعِي الهَوَى ... بِها وأُناهِي في افْتِخَارِي بِحُظْوَةِ

وقدْ نِلْتُ منها فوقَ ما كُنتُ راجِياً وما لَمْ أكُنْ أمَّلْتُ مِنْ قُرْبِ قُرْبَتِي
وأرْغَمَ أنْفَ البَيْنِ لُطْفُ اشْتِمالِهَا عَلَيَّ بِمَا يُرْبِي على كُلِّ مُنْيَةِ
بِهَا مِثْلَ ما أمْسَيْتُ أصْبَحْتُ مُغْرَماً وما أصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ الحُسْنِ أمْسَتِ
فلَوْ مَنَحَتْ كُلَّ الوَرَى بَعْضَ حُسْنِها خَلاَ يُوسُفٍ ما فاتَهُمْ بِمَزِيَّةِ
صَرَفْتُ لها كُلِّي على يَدِ حُسْنِها فَضاعَفَ لِي إحْسانُها كُلَّ وُصْلَةِ
يُشاهِدُ مِنِّي حُسْنَها كُلُّ ذَرَّةٍ بِهَا كُلُّ طَرْفٍ جالَ في كُلِّ طَرْفَةِ
ويُثْنِي عليها فِيَّ كُلُّ لَطِيفَةٍ بِكُلِّ لِسانٍ طالَ في كُلِّ لَفْظَةِ
وأنْشَقُ رَيَّاها بِكُلِّ دَقِيقَةٍ بِها كُلُّ أنْفٍ ناشِقٍ كُلَّ هَبَّةِ
ويَسْمَعُ مِنِّي لَفْظَهَا كُلُّ بِضْعَةٍ بها كُلُّ سَمْعٍ سامِعٍ مُتَنَصِّتِ
ويلْثُمُ مِنِّي كُلُّ جُزْءٍ لِثَامَهَا بِكُلِّ فَمٍ في لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ
فلَوْ بَسَطَتْ جِسْمِي رَأتْ كُلَّ جَوْهَرٍ بِهِ كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ كُلُّ مَحَبَّةِ
وأغْرَبُ ما فِيهَا اسْتَجَدْتُ وجادَ لِي بِهِ الفَتْحُ كَشْفاً مُذْهِباً كُلَّ رِيبَةِ
شُهُودِي بِعَيْنِ الجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفٍ وَلِيَّ ائْتِلافٍ صَدُّهُ كالمَوَدَّةِ
أحَبَّنِي اللاَّحِي وغارَ فَلاَمَنِي وهَامَ بِها الوَاشِي فجَارَ بِرِقْبَةِ
فشُكْرِي لِهَذا حاصِلٌ حَيْثُ بِرُّها لِذَا واصِلٌ والكُلُّ آثارُ نِعْمَتِي
وغَيْرِي على الأغْيَارِ يُثْنِي ولِلسِّوَى سِوَايَ يُثَنِّي مِنْهُ عِطْفاً لِعَطْفَتِي
وشُكْرِيَ لِيَ والبِرُّ مِنِّي واصِلٌ إلَيَّ ونَفْسِي باتِّحَادِي اسْتَبَدَّتِ
وثَمَّ أُمُورٌ تَمَّ لِي كَشْفُ سِتْرِها بِصَحْوٍ مُفِيقٍ عَنْ سِوَايَ تَغَطَّتِ
وَعَنِّيَ بالتَّلْوِيحِ يَفْهَمُ ذائِقٌ غَنِيٌّ عَنِ التَّصْرِيحِ لِلْمُتَعَنِّتِ
بِهَا لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبِحْ دَمَهُ وَفي الْـ إشارَةِ مَعْنًى ما العِبارَةُ حَدَّتِ
ومَبْدَأُ إبْدَاهَا اللَّذانِ تَسَبَّبَا إلَى فُرْقَتِي والجَمْعُ يَأبَى تَشَتُّتِي
هُمَا مَعَنَا في باطِنِ الجَمْعِ واحِدٌ وأرْبَعَةٌ في ظاهِرِ الفَرْقِ عُدَّتِ
وإنِّي وإيَّاها لَذَاتٌ ومَنْ وَشَى بِها وَثَنَى عنها صِفاتٌ تَبَدَّتِ

فَذَا مُظْهِرٌ لِلرُّوحِ هادٍ لأُفْقِهَا ... شُهُوداً بَدَا في صِيغَةٍ مَعْنَوِيَّةِ
وذَا مُظْهِرٌ لِلنَّفْسِ حادٍ لِرِفْقِهَا ... وُجُوداً غَدَا في صِيغَةٍ صُوَرِيَّةِ
ومَنْ عَرَفَ الأَشْكَالَ مِثْلِي لَمْ يَشُبْـ ... ـهُ شِرْكُ هُدًى في رَفْعِ إِشْكالِ شُبْهَةِ
فذَاتِيَ بِاللَّذَّاتِ خَصَّتْ عَوَالِمِي ... بِمَجْمُوعِهَا إِمْدَادَ جَمْعٍ وعَمَّتِ
وجادَتْ ولا اسْتِعْدَادَ كَسْبٍ بِفَيْضِهَا ... وقَبْلَ التَّهَيِّي لِلقَبُولِ اسْتَعَدَّتِ
فبالنَّفْسِ أَشْباحُ الوُجُودِ تَنَعَّمَتْ ... وبالرُّوحِ أَرْوَاحُ الشُّهُودِ تَهَنَّتِ
وحَالُ شُهُودِي بَيْنَ ساعٍ لأُفْقِهِ ... ولاَحٍ مُرَاعٍ رِفْقَهُ بالنَّصِيحَةِ
شَهِيدٌ بِحَالِي في السَّمَاعِ لِجَاذِبِي ... قَضَاءُ مَقَرِّي أَوْ مَمَرُّ قَضِيَّتِي
ويُثْبِتُ نَفْيَ الالْتِبَاسِ تَطَابُقُ الْـ ... ـمِثَالَيْنِ بالخَمْسِ الحَوَاسِ المُبِينَةِ
وبَيْنَ يَدَيْ مَرْمَايَ دُونَكَ سِرُّ ما ... تَلَقَّتْهُ مِنْهَا النَّفْسُ سِرّاً فَأَلْقَتِ
إِذَا لاحَ مَعْنَى الحُسْنِ في أَيِّ صُورَةٍ ... ونَاحَ مُعَنَّى الحُزْنِ في أَيِّ سُورَةِ
يُشَاهِدُهَا فِكْرِي بِطَرْفِ تَخَيُّلِي ... ويَسْمَعُهَا ذِكْرِي بِمَسْمَعِ فِطْنَتِي
ويُحْضِرُهَا لِلنَّفْسِ وَهْمِي تَصَوُّراً ... فَيَحْسَبُهَا في الحِسِّ فَهْمِي نَدِيمَتِي
فأَعْجَبُ مِنْ سُكْرِي بِغَيْرِ مُدَامَةٍ ... وأَطْرَبُ في سِرِّي ومِنِّي طَرْبَتِي
فَيَرْقُصُ قَلْبِي وارْتِعَاشُ مَفَاصِلِي ... يُصَفِّقُ كالشَّادِي ورُوحِي قَيْنَتِي
وما بَرِحَتْ نَفْسِي تَقَوَّتُ بالمُنَى ... وتَمْحُو القُوَى بالضَّعْفِ حَتَّى تَقَوَّتِ
هُنَاكَ وَجَدْتُ الكَائِنَاتِ تَحَالَفَتْ ... على أَنَّهَا والعَوْنُ مِنِّي مُعِينَتِي
لِيَجْمَعَ شَمْلِي كُلُّ جارِحَةٍ بِهَا ... ويَشْمَلَ جَمْعِي كُلُّ مَنْبِتِ شَعْرَةِ
ويَخْلَعَ فِينَا بَيْنَنَا لُبْسَ بَيْنِنَا ... على أَنَّنِي لَمْ أُلْفِهِ غَيْرَ أُلْفَةِ
تَنَبَّهْ لِنَقْلِ الحِسِّ لِلنَّفْسِ رَاغِباً ... عَنِ الدَّرْسِ ما أَبْدَتْ بِوَحْيِ البَدِيهَةِ
لِرُوحِي يُهْدِي ذِكْرُهَا الرَّوْحَ كُلَّمَا ... سَرَتْ سَحَراً مِنْهَا شَمَالٌ وهَبَّتِ
ويَلْتَذُّ إِنْ هاجَتْهُ سَمْعِيَ بالضُّحَى ... على وَرَقٍ وُرْقٌ شَدَتْ وتَغَنَّتِ
ويَنْعَمُ طَرْفِي إِنْ رَوَتْهُ عَشِيَّةً ... لإِنْسَانِهِ عَنْهَا بُرُوقٌ وأَهْدَتِ

ويَمْنَحُهُ ذَوْقِي ولَمْسِي أكْؤُسَ الـ ـشَّرَابِ إذَا لَيْلاً عَلَيَّ أُدِيرَتِ
ويُوْحِيهِ قَلْبِي للجَوَانِحِ باطِناً بِظاهِرِ ما رسْلُ الجَوَارِحِ أدَّتِ
ويُحْضِرُنِي في الجَمْعِ مَنْ باسْمِها شَدَا فأشْهَدُها عِنْدَ السَّماعِ بِجُمْلَتِي
فَيَنْحُو سَمَاءَ النَّفْخِ رُوحِي ومَظْهَرِي الـ ـمُسَوَّى بِها يَحْنُو لأتْرابِ تُرْبَتِي
فَمِنِّيَ مَجْذُوبٌ إليها وجاذِبٌ إلَيْهِ ونَزْعُ النَّزْعِ في كُلِّ جَذْبَةِ
وما ذاكَ إلاَّ أنَّ نَفْسِي تَذَكَّرَتْ حَقِيقَتَها مِنْ نَفْسِها حِينَ أوْحَتِ
فَحَنَّتْ لِتَجْرِيدِ الخِطابِ بِبَرْزَخِ الـ ـتُّرَابِ وكُلٌّ آخِذٌ بأزِمَّتِي
ويُنْبِيكَ عَنْ شَأْنِي الوَلِيدُ وإنْ نَشَا بَلِيداً بإلْهَامٍ كَوَحْيٍ وفِطْنَةِ
إذا أنَّ مِنْ شَدِّ القِمَاطِ وحَنَّ في نَشاطٍ إلى تَفْرِيجِ إفْرَاطِ كُرْبَةِ
يُنَاغَى فَيُلْغِي كُلَّ كَلٍّ أصابَهُ ويُصْغِي لِمَنْ ناغاهُ كالمُتَنَصِّتِ
ويُنْسِيهِ مُرَّ الخَطْبِ حُلْوُ خِطابِهِ ويُذْكِرُهُ نَجْوَى عُهُودٍ قَدِيمَةِ
ويُعْرِبُ عَنْ حالِ السَّماعِ بِحَالِهِ فيُثْبِتُ للرَّقْصِ انْتِفَاءَ النَّقِيصَةِ
إذَا هامَ شَوْقاً بالمُنَاغِي وهَمَّ أنْ يَطِيرَ إلى أوْطانِهِ الأوَّلِيَّةِ
يُسَكَّنُ بالتَّحْرِيكِ وهوَ بِمَهْدِهِ إذا ما لَهُ أيْدِي مُرَبِّيهِ هَزَّتِ
وجَدْتُ بوَجْدٍ آخِذِي عِنْدَ ذِكْرِها بِتَحْبِيرِ تالٍ أوْ بِألْحَانِ صَيِّتِ
كما يَجِدُ المَكْرُوبُ في نَزْعِ نَفْسِهِ إذَا ما لَهُ رُسْلُ المَنَايا تَوَفَّتِ
فَوَاجِدُ كَرْبٍ في سِيَاقٍ لِفُرْقَةٍ كَمَكْرُوبِ وَجْدٍ لاشْتِيَاقٍ لِرُفْقَةِ
فَذَا نَفْسُهُ رَقَّتْ إلى ما بَدَتْ بِهِ ورُوحِي تَرَقَّتْ للمَبَادِي العَلِيَّةِ
وبابُ تَخَطِّيَّ اتِّصالِي بِحَيْثُ لا حِجابَ وِصَالٍ عَنْهُ رُوحِي تَرَقَّتِ
على أثَرِي مَنْ كانَ يُؤْثِرُ قَصْدَهُ كَمِثْلِيَ فَلْيَرْكَبْ لَهُ صِدْقَ عَزْمَةِ
وكَمْ لُجَّةٍ قَدْ خُضْتُ قَبْلَ وُلُوجِهِ فَقِيرُ الغِنَى ما بُلَّ مِنْها بِنُغْبَةِ
بِمِرْآةِ قَوْلِي إنْ عَزَمْتَ أُرِيكَهُ فَأصْغِ لِمَا أُلْقِي بِسَمْعِ بَصِيرَةِ
لَفَظْتُ مِنَ الأقْوَالِ لَفْظِيَ عِبْرَةً وحَظِّي مِنَ الأفْعَالِ في كُلِّ فَعْلَةِ

ولَحْظِي على الأعْمَالِ حُسْنَ ثَوَابِها وحِفْظِيَ للأحْوَالِ مِنْ شَيْنِ رِيبَةِ
وَوَعْظِي بِصِدْقِ القَصْدِ إلْقَاءَ مُخْلِصٍ ولَفْظِي اعْتِبارَ اللَّفْظِ في كُلِّ قِسْمَةِ
وقَلْبِي بَيْتٌ فيهِ أسْكُنُ دُونَهُ ظُهُورُ صِفاتِي عَنْهُ مِنْ حُجُبِيَّتِي
ومِنْها يَمِينِي فِيَّ رُكْنٌ مُقَبَّلٌ ومِنْ قِبْلَتِي لِلْحُكْمِ في فِيَّ قُبْلَتِي
وَحَوْلِيَ بِالمَعْنَى طَوافِي حَقِيقَةً وسَعْيِي لِوَجْهِي مِنْ صَفَائِي لِمرْوَتِي
وفي حَرَمٍ مِنْ باطِنِي أمْنُ ظاهِرِي ومِنْ حَوْلِهِ يُخْشَى تَخَطُّفُ جِيرَتِي
ونَفْسِي بِصَوْمِي عَنْ سِوَايَ تَفَرُّداً زَكَتْ وبِفَضْلِ الفَيْضِ عَنِّي زكَّتِ
وشَفْعُ وُجُودِي في شُهُودِي ظَلَّ في اتِّـ ـحَادِيَ وِتْراً في تَيَقُّظِ غَفْوَتِي
وإسْراءُ سِرِّي عَنْ خُصُوصِ حَقِيقَةٍ إلَيَّ كَسَيْرِي في عُمُومِ الشَّرِيعَةِ
ولَمْ ألْهُ باللاَّهُوتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي ولَمْ أنْسَ بالنَّاسُوتِ مَظْهَرَ حِكْمَتِي
فَعَنِّي على النَّفْسِ العُقُودُ تَحَكَّمَتْ ومِنِّي على الحِسِّ الحُدُودُ أُقِيمَتِ
وقدْ جاءَنِي مِنِّي رَسُولٌ عليهِ ما عَنِتُّ عَزِيزٌ بي حَرِيصٌ لِرَأفَةِ
فَحُكْمِي مِنْ نَفْسِي عليها قَضَيْتُهُ ولَمَّا تَوَلَّتْ أمْرَها ما تَوَلَّتِ
ومِنْ عَهْدِ عَهْدِي قَبْلَ عَصْرِ عَناصِرِي إلَى دَارِ بَعْثٍ قَبْلَ إنْذَارِ بَعْثَةِ
إلَيَّ رَسُولاً كُنْتُ مِنِّيَ مُرْسَلاً وذَاتِي بِآياتِي علَيَّ اسْتَدَلَّتِ
ولمَّا نَقَلْتُ النَّفْسَ مِنْ مِلْكِ أرْضِها بِحُكْمِ الشِّرَا منها إلى مُلْكِ جَنَّةِ
وقدْ جاهَدَتْ واسْتُشْهِدَتْ في سَبِيلِها وفازَتْ بِبُشْرَى بَيْعِها حِينَ أوْفَتِ
سَمَتْ بي لِجَمْعِي عَنْ خُلُودِ سَمائِهَا ولَمْ أرْضَ إخْلادِي لأرْضِ خَلِيفَتِي
ولا فَلَكٌ إلاَّ ومِنْ نُورِ باطِنِي بِهِ مَلَكٌ يُهْدِي الهُدَى بِمَشِيئَتِي
ولا قُطْرَ إلاَّ حَلَّ مِنْ فَيْضِ ظاهِرِي بِهِ قَطْرَةٌ عنها السَّحائِبُ سَحَّتِ
ومِنْ مَطْلِعِي النُّورُ البَسِيطُ كَلَمْعَةٍ ومِنْ مَشْرَعِي البَحْرُ المُحِيطُ كَقَطْرَةِ
فَكُلِّي لِكُلِّي طالِبٌ مُتَوَجِّهٌ وبَعْضِي لِبَعْضِي جاذِبٌ بالأعِنَّةِ
ومَنْ كانَ فَوْقَ التَّحْتِ والفَوْقُ تَحْتَهُ إلى وَجْهِهِ الهادِي عَنَتْ كُلُّ وِجْهَةِ

فَتَحْتُ الثَّرَى فَوْقُ الأثِيرِ لِرتْقِ ما   فَتَقْتُ وفَتْقُ الرَّتْقِ ظاهِرُ سُنَّتِي
ولا شُبْهَةٌ والجَمْعُ عَيْنُ تَيَقُّنٍ   ولا جِهَةٌ والأَيْنُ بَيْنَ تَشَتُّتِي
ولا عِدَّةٌ والعَدُّ كالحَدِّ قاطِعٌ   ولا مُدَّةٌ والحَدُّ شِرْكُ مُوَقِّتِ
ولا نَدٌّ في الدَّارَيْنِ يَقْضِي بِنَقْضِ ما   بَنَيْتُ ويَمْضِي أمْرُهُ حُكْمَ إمْرَتِي
ولا ضِدَّ في الكَوْنَيْنِ والخَلْقُ ما تَرَى   بِهِمْ لِلتَّساوِي مِنْ تَفاوُتِ خِلْقَتِي
ومِنِّي بَدَا لِي ما عَلَيَّ لَبِسْتُهُ   وعَنِّي البَوادِي بِي إلَيَّ أُعِيدَتِ
وفِيَّ شَهِدْتُ السَّاجِدِينَ لِمَظْهَرِي   فَحَقَّقْتُ أنِّي كُنْتُ آدَمَ سَجْدَتِي
وعَايَنْتُ رُوحانِيَّةَ الأرَضِينَ في   مَلائِكِ عِلِّيِّينَ أكْفاءَ سَجْدَتِي
ومِنْ أُفُقِيَ الدَّانِي اجْتَدَى رِفْقِيَ الهُدَى   ومِنْ فَرْقِيَ الثَّانِي بَدَا جَمْعُ وَحْدَتِي
وفي صَعْقِ دَكِّ الحِسِّ خَرَّتْ إفاقَةً   لِيَ النَّفْسُ قَبْلَ التَّوْبَةِ المُوسَوِيَّةِ
فلا أيْنَ بَعْدَ العَيْنِ والسُّكْرُ مِنْهُ قَدْ   أفَقْتُ وعَيْنُ الغَيْنِ بالصَّحْوِ أصْحَتِ
وآخِرُ مَحْوٍ جاءَ خَتْمِيَ بَعْدَهُ   كَأَوَّلِ صَحْوٍ لارْتِسامٍ بِعِدَّةِ
وكَيْفَ دُخُولِي تَحْتَ مِلْكِي كأوْلِيا   ءِ مُلْكِي وأتْباعِي وحِزْبِي وشِيعَتِي
ومأخُوذُ مَحْوِ الطَّمْسِ مَحْقاً وَزَنْتُهُ   بِمَحْذُوذِ صَحْوِ الحِسِّ فَرْقاً بِكِفَّةِ
فَنُقْطَةُ غَيْنِ الغَيْنِ عَنْ صَحْوِيَ انْمَحَتْ   ويَقْظَةُ عَيْنِ العَيْنِ مَحْوِيَ ألْغَتِ
وما فاقِدٌ بالصَّحْوِ في المَحْوِ واجِدٌ   لِتَلْوِينِهِ أهْلاً لِتَمْكِينِ زُلْفَةِ
تَساوَى النَّشاوَى والصُّحاةُ لِنَعْتِهِمْ   بِرَسْمِ حُضُورٍ أوْ بِوَسْمِ حَظِيرَةِ
ولَيْسُوا بِقَوْمِي مَنْ عَلَيْهِمْ تَعاقَبَتْ   صِفاتُ التِباسٍ أوْ سِماتُ بَقِيَّةِ
ومَنْ لَمْ يَرِثْ عَنِّي الكَمالَ فَنَاقِصٌ   على عَقِبَيْهِ ناكِصٌ في العُقُوبَةِ
وما فِيَّ ما يُفْضِي لِلَبْسٍ بَقِيَّةٍ   ولا فَيْءَ لِي يَقْضِي عَلَيَّ بِفَيْئَةِ
وماذا عَسَى يَلْقَى جَنَانٌ وما بِهِ   يَفُوهُ لِسانٌ بَيْنَ وَحْيٍ وصِيغَةِ
تَعانَقَتِ الأطْرافُ عِندي وانْطَوَى   بِساطُ السِّوَى عَدْلاً بِحُكْمِ السَّوِيَّةِ
وعادَ وُجُودِي في فَنَا ثَنَوِيَّةِ الـ   ـوُجُود شُهُوداً في بَقا أحَدِيَّةِ

فما فَوْقَ طَوْرِ العَقْلِ أوَّلُ فَيْضَةٍ   كما تَحْتَ طُوْرِ النَّقْلِ آخِرُ قَبْضَةِ

لِذَلِكَ عَنْ تَفْصِيلِهِ وهوَ أهْلُهُ   نَهَانَا على ذِي النُّونِ خَيْرُ البَرِيَّةِ

أشَرْتُ بِمَا تُعْطي العِبارَةُ والذي   تَغَطَّى فَقَدْ أوْضَحْتُهُ بِلَطِيفَةِ

ولَيسَ ألَسْتُ الأمْسَ غَيْراً لِمَنْ غَدَا   وجُنْحِي غَدَا صُبْحِي ويَوْمِي لَيْلَتِي

وسِرُّ بَلَى لِلَّهِ مِرْآةُ كَشْفِهَا   وإثْبَاتُ مَعْنَى الجَمْعِ نَفْيُ المَعِيَّةِ

فلا ظُلَمٌ تَغْشَى ولا ظُلْمَ يُخْتَشَى   ونِعْمَةُ نُورِي أطْفَأتْ نارَ نِقْمَتِي

ولا وَقْتَ إلاَّ حَيْثُ لا وَقْتَ حاسِبٌ   وُجُودَ وُجُودِي مِنْ حِسَابِ الأهِلَّةِ

ومَسْجُونُ حَصْرِ العَصْرِ لَمْ يَرَ ما وَرَا   ءَ سِجْنِهِ في الجَنَّةِ الأبَدِيَّةِ

فَبِي دَارَتِ الأفلاكُ فاعْجَبِ لِقُطْبِها الْـ   ـمُحِيطِ بِها والقُطْبُ مَرْكَزُ نُقْطَةِ

ولا قُطْبَ قَبْلِي عَنْ ثَلاثٍ خلَفْتُهُ   وقُطْبِيَّةُ الأوْتادِ عَنْ بَدَلِيَّةِ

فلا تَعْدُ خَطِّي المُسْتَقِيمَ فإنَّ في الـ   ـزَّوَايا خَبَايا فانْتَهِزْ خيرَ فُرْصَةِ

فَعَنِّي بَدَا في الذرِّ فيَّ الوَلا وَلِي   لِبَانُ ثُدِيِّ الجَمْعِ مِنِّي دَرَّتِ

وأعْجَبُ ما فِيها شَهِدْتُ فَرَاعَنِي   ومِنْ نَفْثِ رُوحِ القُدْسِ في الرَّوْعِ رَوْعَتِي

وقدْ أشْهَدَتْنِي حُسْنَها فَشُدِهْتُ عَنْ   حِجَايَ ولَمْ أُثْبِتْ حِلايَ لِدَهْشَتِي

ذَهَلْتُ بِهَا عنِّي بِحَيْثُ ظَنَنْتُنِي   سِوَايَ ولَمْ أقْصِدْ سَوَاءَ مَظِنَّتِي

ودَلَّهَنِي فِيهَا ذُهُولي فلَمْ أفِقْ   عَلَيَّ ولَمْ أقْفُ الْتِمَاسِي بِظِنَّتِي

فأصْبَحْتُ فيها والِهاً لاهِياً بِها   ومَنْ وَلَّهَتْ شُغْلاً بِها عَنْهُ ألْهَتِ

وعَنْ شُغُلِي عَنِّي شُغِلْتُ فَلَوْ بِها   قَضَيْتُ رَدَى ما كُنْتُ أدْرِي بِنُقْلَتِي

ومِنْ مُلَحِ الوَجْدِ المُدَلِّهِ في الهَوَى الْـ   ـمُوَلِّهِ عَقْلِي سَبْيُ سَلْبِ كَغَفْلَتِي

أُسائِلُهَا عَنِّي إذا ما لَقِيتُهَا   ومِنْ حَيْثُ أهْدَتْ لِي هُدَايَ أضَلَّتِ

وأطْلُبُهَا مِنِّي وعِنْدِي لَمْ تَزَلْ   عَجِبْتُ لها بِي كَيْف عَنِّي اسْتَجَنَّتِ

وما زِلْتُ في نَفْسِي بِهَا مُتَرَدِّداً   لِنَشْوَةِ حِسِّي والمَحَاسِنُ خَمْرَتِي

أُسافِرُ عَنْ عِلْمِ اليَقِينِ لِعَيْنِهِ   إلَى حَقِّهِ حَيْثُ الحَقِيقَةُ رِحْلَتِي

وأنْشُدُنِي عنِّي لأُرْشِدَنِي على ... لِسَانِي إلى مُسْتَرْشِدِي عِنْدَ نَشْدَتِي
وأسْألُنِي رَفْعِي الحِجَابَ بِكَشْفِيَ الـ ... ـنِّقَابَ وبِي كانَتْ إلَيَّ وَسِيلَتِي
وأنْظُرُ في مِرْآةِ حُسْنِيَ كَيْ أرَى ... جَمَالَ وُجُودِي في شُهُودِيَ طَلْعَتِي
فإنْ فُهْتُ بِاسْمِي أصْغِ نَحْوِي تَشَوُّقاً ... إلَى مُسْمِعِي ذِكْرِي بِنُطْقِي وأنْصِتِ
وأُلْصِقُ بالأحْشاءِ كَفِّي عَسَايَ أنْ ... أُعانِقَهَا في وَضْعِهَا عِنْدَ ضَمَّتِي
وأهْفُو لأنْفاسِي لَعَلِّيَ واجِدِي ... بِهَا مُسْتَجِيزاً أنَّهَا بِيَ مَرَّتِ
إلى أنْ بَدَا مِنِّي لِعَيْنِيَ بارِقٌ ... وبانَ سَنَا فَجْرِي وبانَتْ دُجُنَّتِي
هُنَاكَ إلى ما أحْجَمَ العَقْلُ دُونَهُ ... وصَلْتُ وَبِي مِنِّي اتِّصَالِي وَوُصْلَتِي
فَأسْفَرْتُ بِشْراً إذْ بلَغْتُ إلَيَّ عَنْ ... يَقِينٍ يَقِينِي شَدَّ رَحْلٍ لِسَفْرَتِي
وأرْشَدْتُنِي إذْ كُنْتُ عَنِّي ناشِدِي ... إلَيَّ ونَفْسِي بِي عَلَيَّ دَلِيلَتِي
وأسْتَارُ لَبْسِ الحِسِّ لَمّا كَشَفْتُها ... وكانَتْ لها أسْرَارُ حُكْمِيَ أرْخَتِ
رَفَعْتُ حِجابَ النَّفْسِ عَنْها بِكَشْفِيَ الـ ... ـنِّقَابِ فكانَتْ عَنْ سُؤَالِي مُجِيبَتِي
وكُنْتُ جِلاَ مِرْآةِ ذَاتِيَ مِنْ صَدَا ... صِفَاتِي ومِنِّي أُحْدِقَتْ بأشِعَّةِ
وأشْهَدْتُنِي إيَّايَ إذْ لا سِوَايَ في ... شُهُودِيَ مَوْجُودٌ فَيَقْضِي بِزَحْمَةِ
وأسْمَعُنِي في ذِكْرِي اسْمِيَ ذَاكِرِي ... ونَفْسِي بِنَفْيِ الحِسِّ أصْغَتْ وأسْمَتِ
وعانَقْتُنِي لا بِالْتِزَامِ جَوَارِحِي الْـ ... ـجَوَانِحَ لَكِنِّي اعْتَنَقْتُ هُوِيَّتِي
وأوْجَدْتُنِي رُوحِي وَرَوْحُ تَنَفُّسِي ... يُعَطِّرُ أنْفاسَ العَبِيرِ المُفَتَّتِ
وعَنْ شِرْكِ وَصْفِ الحِسِّ كُلِّي مُنَزَّهٌ ... وَفِيَّ وقَدْ وَحَّدْتُ ذَاتِيَ نُزْهَتِي
ومَدْحُ صِفَاتِي بِي يُوَفِّقُ مادِحِي ... لِحَمْدِي ومَدْحِي بالصِّفاتِ مَذَمَّتِي
فشَاهِدُ وَصْفِي بي جَلِيسِي وشاهِدِي ... بِهِ لاحْتِجَابِي لَنْ يَحِلَّ بِحِلَّتِي
وبِي ذِكْرُ أسْمَائِي تَيَقُّظُ رُؤْيَةٍ ... وذِكْرِي بِهَا رُؤْيا تَوَسُّنِ هَجْعَتِي
كَذَاكَ بِفِعْلِي عارِفِي بِيَ جاهِلٌ ... وعارِفُهُ بِي عارِفٌ بالحَقِيقَةِ
فخُذْ عِلْمَ أعْلامِ الصِّفاتِ بِظاهِرِ الـ ... ـمَعَالِمِ مِنْ نَفْسٍ بِذَاكَ عَلِيمَةِ

وفَهْمُ أَسَامِي الذَّاتِ عنها بباطِنِ الـ   ـعَوَالِمِ مِنْ رُوحٍ بِذَاكَ مُشِيرَةِ
ظُهُورُ صِفاتِي عَنْ أسامِي جَوَارِحِي   مَجَازاً بِهَا لِلحُكْمِ نَفْسِي تَسَمَّتِ
رُقُومُ عُلُومٍ في سُتُورِ هياكِلٍ   على ما وَرَاءَ الحِسِّ في النَّفْسِ وَرَّتِ
وأسماءُ ذَاتِي عَنْ صِفاتِ جَوَانِحِي   جَوَازاً لأسْرَارٍ بِهَا الرُّوحُ سُرَّتِ
رُمُوزُ كُنُوزٍ عَنْ مَعَانِي إشَارَةٍ   بِمَكْنُونِ ما تُخْفِي السَّرَائِرُ حُفَّتِ
وآثارُها في العَالَمِينَ بِعِلْمِهَا   وعَنْهَا بِهَا الأكْوَانُ غَيْرُ غَنِيَّةِ
وجُودُ اقْتِنَا ذِكْرٍ بأيْدٍ تَحَكُّمٍ   شُهُودُ اجْتِنَا شُكْرٍ بِأَيْدٍ عَمِيمَةِ
مَظَاهِرُ لِي فيها بَدَوْتُ ولَمْ أكُنْ   عَلَيَّ بِخافٍ قَبْلَ مَوْطِنِ بَرْزَتِي
فَلَفْظٌ وكُلِّي بِي لِسانٌ مُحَدِّثٌ   ولَحْظٌ وكُلِّي فِيَّ عَيْنٌ لِعَبْرَتِي
وسَمْعٌ وكُلِّي بالنَّدَى أسْمَعُ النِّدَا   وكُلِّيَ في رَدِّ الرَّدَى يَدُ قُوَّةِ
مَعَانِي صِفاتٍ ما وَرَاءَ اللَّبْسِ أُثْبِتَتْ   وأسْمَاءُ ذَاتٍ ما رَوَى الحِسُّ بَثَّتِ
فَتَصْرِفُهَا مِنْ حافِظِ العَهْدِ أوَّلاً   بِنَفْسٍ عليها بالوَلاءِ حَفِيظَةِ
شَوَادِي مُبَاهَاةٍ هَوَادِي تَنَبُّهٍ   بَوَادِي فُكَاهَاتٍ غَوَادِي رَجِيَّةِ
وتَوْقِيفُها مِنْ مَوْثِقِ العَهْدِ آخِراً   بِنَفْسٍ على عِزِّ الإبَاءِ أبِيَّةِ
جَوَاهِرُ أنْبَاءٍ زَوَاهِرُ وُصْلَةٍ   طَوَاهِرُ أبْنَاءٍ قَوَاهِرُ صَوْلَةِ
وتَعْرِفُها مِنْ قاصِدِ الحَزْمِ ظاهِراً   سَجِيَّةُ نَفْسٍ بالوُجُودِ سَخِيَّةِ
مَثَانِي مُنَاجَاةٍ مَعَانِي نَبَاهَةٍ   مَغَانِي مُحَاجَاةٍ مَبَانِي قَضِيَّةِ
وتَشْرِيفُها مِنْ صادِقِ العَزْمِ باطِناً   إنَابَةُ نَفْسٍ بالشُّهُودِ رَضِيَّةِ
نَجَائِبُ آياتٍ غَرَائِبُ نُزْهَةٍ   رَغَائِبُ غاياتٍ كَتائِبُ نَجْدَةِ
فَلِلَّبْسِ مِنها بالتَّعَلُّقِ في مَقَا   مِ الإسلامِ عَنْ أحْكامِهِ الحِكَمِيَّةِ
عَقَائِقُ إحْكامٍ دَقَائِقُ حِكْمَةٍ   حَقَائِقُ أحْكامٍ رَقَائِقُ بَسْطَةِ
ولِلْحِسِّ منها بالتَّحَقُّقِ في مَقَا   مِ الإيمانِ عَنْ أعْلامِهِ العَمَلِيَّةِ
صَوَامِعُ أذْكارٍ لَوَامِعُ فِكْرَةٍ   جَوَامِعُ آثارٍ قَوَامِعُ عِزَّةِ

وللنَّفسِ مِنْهَا بالتَّخَلُّقِ في مَقَا م الإحْسانِ عَنْ أنبائِهِ النَّبَويَّةِ
لَطَائِفُ أخبَارِ وطَائِفُ مِنْحَةٍ صَحَائِفُ أخبارِ خَلائِفُ حِسْبَةِ
وللجَمْعِ مِنْ مَبْدَإ كأنَّك وانْتَهى فإنْ لَمْ تَكُنْ عَنْ آيَةِ النَّظَرِيَّةِ
غُيُوثُ انْفِعَالاتٍ بُعُوثُ تَنَزُّهٍ حُدُوثُ اتِّصَالاتِ لُيُوثُ كَتِيبَةِ
فَمَرْجِعُها لِلْحِسِّ في عالَمِ الشَّهَا دَةِ المُجْتَدِي ما النَّفْسُ مِنِّي أحَسَّتِ
فُصُولُ عِبَارَات وُصُولُ تَحِيَّةٍ حُصُولُ إشارَاتِ أُصُولُ عَطِيَّةِ
ومَطْلِعُهَا في عالَمِ الغَيْبِ ما وَجدْ تُ مِنْ نِعَمٍ مِنِّي عَلَيَّ اسْتَجَدَّتِ
بَشائِرُ إقْرَارٍ بَصَائرُ عِبْرَةٍ سَرَائِرُ آثارٍ ذَخائِرُ دَعْوَةِ
ومَوْضِعُهَا في عالَمِ المَلَكُوتِ ما خُصِصْتُ مِنَ الإسْرَا بِهِ دُونَ أُسْرَتِي
مَدَارِسُ تَنْزِيلٍ مَحَارِسُ غِبْطَةٍ مَغَارِسُ تَأْويلٍ فَوارِسُ مِنْعَةِ
ومَوْقِعُها في عالَمِ الجَبَرُوتِ مِنْ مَشارِقِ فَتْحٍ لِلْبَصَائِرِ مُبْهِتِ
أرَائِكُ تَوْحِيدٍ مَدَارِكُ زُلْفَةٍ مَسَالِكُ تَمْجِيدٍ مَلائكُ نُصْرَةِ
ومَنْبَعُها بالفَيْضِ في كُلِّ عالَمٍ لِفَاقَةِ نَفْسٍ بالإفاقَةِ أثْرَتِ
فَوَائِدُ إلْهَامٍ رَوائِدُ نِعْمَةٍ عَوَائِدُ إنْعَامٍ مَوَائِدُ نِعْمَةِ
ويَجْرِي بِمَا تُعْطِي الطَّرِيقَةُ سائِرِي على نَهْجِ ما مِنِّي الحَقِيقَةُ أعْطَتِ
ولمَا شَعَبْتُ الصَّدْعَ والتَأَمَتْ فُطُو رُ شَمْلٍ بِفَرْقِ الوَصْفِ غَيْرِ مُشَتَّتِ
ولَمْ يَبْقَ ما بَيْنِي وبَيْنَ تَوَثُّقِي بِإِينَاسِ وُدِّي ما يُؤَدِّي لِوَحْشَةِ
تَحَقَّقْتُ أنَّا في الحَقِيقَةِ واحِدٌ وأثْبَتَ صَحْوُ الجَمْعِ مَحْوَ التَّشَتُّتِ
وكُلِّي لِسانٌ ناظِرٌ مِسْمَعٌ يَدٌ لِنُطْقٍ وإدْرَاكٍ وسَمْعٍ وبَطْشَةِ
فَعَيْنِيَ ناجَتْ واللِّسَانُ مُشاهِدٌ ويَنْطِقُ مِنِّي السَّمْعُ واليَدُ أصْغَتِ
وسَمْعِيَ عَيْنٌ تَجْتَلِي كُلَّ ما بَدَا وعَيْنِيَ سَمْعٌ إنْ شَدَا القَوْمُ تُنْصِتِ
ومِنِّي عَنْ أيْدٍ لِسانِي يَدٌ كما يَدِي لِي لِسانٌ في خِطابِي وخُطْبَتِي
كَذاكَ يَدِي عَيْنٌ تَرَى كُلَّ ما بَدَا وعَيْنِي يَدٌ مَبْسُوطَةٌ عِنْدَ بَسْطَتِي

وسَمْعِي لِسَانٌ في مُخَاطَبَتِي كَذَا … لِسَانِيَ في إصْغَائِهِ سَمْعُ مُنْصِتِ
ولِلشَّمِّ أحْكامُ اطِّرَادِ القِيَاسِ في اتِّحَـ … ـادِ صِفَاتِي أوْ بِعَكْسِ القَضِيَّةِ
وما فِيَّ عِضْوٌ خُصَّ مِنْ دُونِ غَيْرِهِ … بِتَعْيِينِ وَصْفٍ مِثْلَ عَيْنِ البَصِيرَةِ
ومِنِّي عَلَى أفْرَادِهَا كُلُّ ذَرَّةٍ … جَوَامِعَ أفْعَالِ الجَوَارِحِ أحْصَتِ
يُنَاجِي ويُصْغِي عَنْ شُهُودٍ مُصَرِّفٍ … بِمَجْمُوعِهِ في الحَالِ عَنْ يَدِ قُدْرَةِ
فَأتْلُو عُلُومَ العَالِمِينَ بِلَفْظَةٍ … وأجْلُو عَلَيَّ العَالَمِينَ بِلَحْظَةِ
وأسْمَعُ أصْوَاتَ الدُّعاةِ وسَائِرَ الـ … ـلُّغَاتِ بِوَقْتٍ دُونَ مِقْدَارِ لَمْحَةِ
وأُحْضِرُ ما قَدْ عَزَّ لِلبُعْدِ حَمْلُهُ … ولَمْ يَرْتَدِدْ طَرْفِي إلَيَّ بِغَمْضَةِ
وأنْشَقُ أرْوَاحَ الجِنَانِ وعَرْفَ ما … يُصَافِحُ أذْيالَ الرِّياحِ بِنَسْمَةِ
وأسْتَعْرِضُ الآفَاقَ نَحْوِي بِخَطْرَةٍ … وأخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِخَطْوَةِ
وأشْبَاحُ مَنْ لَمْ تَبْقَ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ … لِجَمْعِيَ كالأرْوَاحِ حَفَّتْ فَخَفَّتِ
فَمَنْ قَالَ أوْ مَنْ طالَ أوْ صالَ إنَّمَا … يَمُتُّ بِإمْدَادِي لَهُ بِرَقِيقَةِ
وما سارَ فَوْقَ المَاءِ أوْ طارَ في الهَوَا … أو اقْتَحَمَ النِّيرَانَ إلاَّ بِهِمَّتِي
وعَنِّيَ مَنْ أمْدَدْتُهُ بِرَقِيقَةٍ … تَصَرَّفَ عَنْ مَجْمُوعِهِ في دَقِيقَةِ
وفي سَاعَةٍ أوْ دُونِ ذَلِكَ مَنْ تَلاَ … بِمَجْمُوعِهِ جَمْعِي تَلاَ ألْفَ خَتْمَةِ
ومِنِّيَ لَوْ قامَتْ بِمَيْتٍ لَطِيفَةٌ … لَرُدَّتْ إلَيْهِ نَفْسُهُ وأُعِيدَتِ
هِيَ النَّفْسُ إنْ ألْقَتْ هَوَاها تَضَاعَفَتْ … قُوَاهَا وأعْطَتْ فِعْلَهَا كُلَّ ذَرَّةِ
ونَاهِيكَ جَمْعاً لا بِفَرْقِ مَسَاحَتِي … مَكَانٍ مَقِيسٍ أوْ زمانٍ مُوَقَّتِ
بِذَاكَ عَلاَ الطُّوفانَ نُوحٌ وقَدْ نَجَا … بِهِ مَنْ نَجَا مِنْ قَوْمِهِ في السَّفِينَةِ
وغَاضَ لَهُ ما فاضَ عَنْهُ اسْتِجَادَةً … وجَدَّ إلَى الجُودِي بِهَا واسْتَقَرَّتِ
وسارَتْ ومَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ … سُلَيْمَانُ بالجَيْشَيْنِ فَوْقَ البَسِيطَةِ
وقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَا … لَهُ عَرْشُ بَلْقِيسٍ بِغَيْرِ مَشَقَّةِ
وأخْمَدَ إبْرَاهِيمُ نارَ عَدُوِّهِ … وعَنْ نُورِهِ عادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ

ولَمَّا دَعَا الأَطْيَارَ مِنْ كُلِّ شاهِقٍ ... وقَدْ ذُبِحَتْ جاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ
ومِنْ يَدِهِ مُوسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ ... مِنَ السِّحْرِ أهْوَالاً على النَّفْسِ شَقَّتِ
ومِنْ حَجَرٍ أجْرَى عُيُوناً بِضَرْبَةٍ ... بِهَا دِيَماً سَقَّتْ ولِلْبَحْرِ شَقَّتِ
ويُوسُفُ إذْ ألْقَى البَشِيرُ قَمِيصَهُ ... على وَجْهِ يَعْقُوبٍ إليهِ بأوْبَةِ
رَآهُ بِعَيْنٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى ... عَلَيْهِ بِهَا شَوْقاً إلَيْهِ فَكُفَّتِ
وفي آلِ إسْرَائِيلَ مائدةٌ مِنَ السَّمَاءِ ... لِعِيسَى أُنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتِ
ومِنْ أكْمَهٍ أبْرا وَمِنْ وَضَحٍ عَدَا ... شَفَى وأعادَ الطِّينَ طَيْراً بِنَفْخَةِ
وسِرُّ انْفِعالاتِ الظَّواهِرِ باطِناً ... عَنِ الأذْنِ ما ألْقَتْ بِأُذْنِكَ صِيغَتِي
وجَاءَ بأسْرَارِ الجَمِيعِ مُفِيضُهَا ... عَلَيْنَا لَهُمْ خَتْماً على حِينِ فَتْرَةِ
وما مِنْهُمُ إلاَّ وقَدْ كانَ دَاعِياً ... بِهِ قَوْمَهُ لِلْحَقِّ عَنْ تَبَعِيَّةِ
فعَالِمُنَا مِنْهُمْ نَبِيٌّ ومَنْ دَعَا ... إلى الحَقِّ مِنَّا قامَ بالرُّسُلِيَّةِ
وعارِفُنَا في وَقْتِنَا الأحْمَدِيُّ مَنْ ... أُولِي العَزْمِ مِنْهُمْ آخِذٌ بالعَزِيمةِ
وما كان مِنْهُمْ مُعْجِزاً صارَ بَعْدَهُ ... كَرَامَةَ صِدِّيقٍ لَهُ أوْ خَلِيفَةِ
بِعِتْرَتِهِ اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُّسْلِ الوَرَى ... وأصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ الأئِمَّةِ
كَرَاماتُهُمْ مِنْ بَعْضِ ما خَصَّهُمْ بِهِ ... بما خَصَّهُمْ مِنْ إرْثِ كُلِّ فَضِيلَةِ
فَمِنْ نُصْرَةِ الدِّينِ الحَنِيفِيِّ بَعْدَهُ ... قِتَالُ أبي بَكْرٍ لآلِ حَنِيفَةِ
وسَارِيَةٌ ألْجَاهُ لِلْجَبَلِ النِّدا ... ءُ مِنْ عُمَرٍ والدَّارُ غَيْرُ قَرِيبَةِ
ولَمْ يَشْتَغِلْ عُثْمانُ عَنْ وِرْدِهِ وقَدْ ... أدَارَ عَلَيْهِ القَوْمُ كأسَ المَنِيَّةِ
وأوْضَحَ بالتَّأْوِيلِ ما كانَ مُشْكِلاً ... عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نالَهُ بالوَصِيَّةِ
وسَائِرُهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ مَنْ اقْتَدَى ... بأيِّهِمِ مِنْهُ اهْتَدَى بالنَّصِيحَةِ
ولِلأوْلِياءِ المُؤْمِنِينَ بِهِ ولَمْ ... يَرَوْهُ اجْتِنَا قُرْبٍ لِقُرْبِ الأُخُوَّةِ
وقُرْبُهُمُ مَعْنًى لَهُ كاشْتِياقِهِ ... لَهُمْ صُورَةً فاعْجَبْ لِحَضْرَةِ غَيْبَةِ
وأهْلٌ تَلَقَّى الرُّوحَ باسْمِي دَعَوْا إلى ... سَبِيلِي وحَجُّوا المُلْحِدِينَ بِحُجَّتِي

وكُلُّهُمُ عَنْ سَبْقِ مَعْنَايَ دَائِرٌ بِدَائِرَتي أوْ وَارِدٌ مِنْ شَرِيعَتي
وإنّي وإنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً فَلِي فِيهِ مَعْنًى شاهِدٌ بِأُبُوَّتي
ونَفْسِي على حُجْرِ التَّجَلّي بِرُشْدِها تَجَلَّتْ وَفي حِجْرِ التَّجَلّي تَرَبَّتِ
وفي المَهْدِ حِزْبِي الأنْبِياءُ وَفي عَنَا صِرِي لَوْحِيَ المَحْفُوظُ والفَتْحُ سُورَتي
وقَبْلَ فِصَالِي دُونَ تَكْلِيفِ ظاهِرِي خَتَمْتُ بِشَرْعِي المُوضِحِي كُلَّ شِرْعَةِ
فَهُمْ وَالأُلَى قالوا بِقَوْلِهِم على صِرَاطِيَ لَمْ يَعْدُوا مَوَاطِىءَ مِشْيَتي
فَيُمْنُ الدُّعَاةِ السَّابِقِينَ إليَّ في يَمِيني ويُسْرُ اللاَّحِقِينَ بِيَسْرَتي
ولا تَحْسِبَنَّ الأمْرَ عَنّي خارِجاً فَمَا سادَ إلاَّ داخِلٌ في عُبُودَتي
ولَوْلايَ لَمْ يُوجَدْ وُجُودٌ ولَمْ يَكُنْ شُهُودٌ ولَمْ تُعْهَدْ عُهُودٌ بِذِمَّةِ
فلا حَيَّ إلاَّ عَنْ حَياتِي حَياتُهُ وطَوْعُ مُرَادِي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيدَةِ
ولا قائِلٌ إلاَّ بِلَفْظِي مُحَدِّثٌ ولا ناظِرٌ إلاَّ بِناظِرِ مُقْلَتي
ولا مُنْصِتٌ إلاَّ بِسَمْعِيَ سامِعٌ ولا باطِشٌ إلاَّ بأزْلِي وشِدَّتي
ولا ناطِقٌ غَيْرِي ولا ناظِرٌ ولا سَمِيعٌ سِوَائِي مِنْ جَمِيعِ الخَلِيقَةِ
وفي عالَمِ التَّرْكِيبِ في كُلِّ صُورَةٍ ظَهَرْتُ بِمَعْنًى عَنْهُ بالحُسْنِ زِينَتي
وفي كُلِّ مَعْنًى لَمْ تُبِنْهُ مَظَاهِرِي تَصَوَّرْتُ لا في صُورَةٍ هَيْكَلِيَّةِ
وفِيمَا تَرَاهُ الرُّوحُ كَشْفَ فِرَاسَةٍ خَفِيتُ عَنِ المَعْنَى المُعَنَّى بِدِقَّةِ
وفي رَحَمُوتِ البَسْطِ كُلِّيَ رَغْبَةٌ بِهَا انْبَسَطَتْ آمالُ أهْلِ بَسِيطَتي
وفي رَهَبُوتِ القَبْضِ كُلِّي هَيْبَةٌ فَفِيما أجَلْتُ العَيْنَ مِنّي أجَلَّتِ
وفي الجَمْعِ بالوَصْفَيْنِ كُلِّيَ قُرْبَةٌ فَحَيَّ عَلَى قُرْبَى خِلالِي الجَمِيلَةِ
وفي مُنْتَهَى في لَمْ أزَلْ بِيَ وَاجِداً جَلالَ شُهُودِي عَنْ كَمالِ سَجِيَّتي
وفي حَيْثُ لا في لَمْ أزَلْ فِيَّ شاهِداً جَمَالَ وُجُودِي لا بِناظِرِ مُقْلَتي
فإنْ كُنْتَ مِنّي فانْحُ جَمْعِيَ وامْحُ فَرْ قَ صَدْعِي ولا تَجْنَحْ لِجِنْحِ الطَّبِيعَةِ
فَدُونَكَهَا آياتِ إلْهَامِ حِكْمَةٍ لأوْهامِ حَدْسِ الحِسِّ عَنْكَ مُزِيلَةِ

ومِنْ قائِلٍ بالنَّسْخِ والمَسْخُ وَاقِعٌ ... بِهِ ابْرَأْ وكُنْ عَمَّا يَرَاهُ بِعُزْلَةِ
ودَعْهُ ودَعْوَى الفَسْخِ والرَّسْخُ لائِقٌ ... بِهِ أَبَداً لَوْ صَحَّ فِي كُلِّ دَوْرَةِ
وضَرْبِي لَكَ الأمْثَالَ مِنِّي مِنَّةٌ ... عَلَيْكَ بِشَأْنِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةِ
تَأَمَّلْ مَقَاماتِ السَّرُوجِيِّ واعْتَبِرْ ... بِتَلْوِينِهِ تَحْمَدْ قَبُولَ مَشُورَتِي
وتَدْرِ الْتِبَاسَ النَّفْسِ بالحِسِّ باطِناً ... بِمَظْهَرِها في كُلِّ شَكْلٍ وصُورَةِ
وفِي قَوْلِهِ إنْ مانَ فالحَقُّ ضارِبٌ ... بِهِ مَثَلاً والنَّفْسُ غَيْرُ مُجِدَّةِ
فَكُنْ فَطِناً وانْظُرْ بِحِسِّكَ مُنْصِفاً ... لِنَفْسِكَ في أفْعَالِكَ الأثَرِيَّةِ
وشاهِدْ إذَا اسْتَجْلَيْتَ نَفْسَكَ ما تَرَى ... بِغَيْرِ مِراءٍ في المَرَائِي الصَّقِيلَةِ
أغَيْرُكَ فِيهَا لاحَ أمْ أنْتَ ناظِرٌ ... إلَيْكَ بِها عِنْدَ انْعِكاسِ الأشِعَّةِ
وأصْغِ لِرَجْعِ الصَّوْتِ عِنْدَ انْقِطاعِهِ ... إلَيْكَ بأكْنَافِ القُصُورِ المَشِيدَةِ
أهَلْ كانَ مَنْ ناجاكَ ثَمَّ سِوَاكَ أمْ ... سَمِعْتَ خِطاباً عَنْ صَدَاكَ المُصَوِّتِ
وقُلْ لِيَ مَنْ ألْقَى إلَيْكَ عُلُومَهُ ... وقَدْ رَكَدَتْ مِنْكَ الحَوَاسُ بِغَفْوَةِ
وما كُنْتَ تَدْرِي قَبْلَ يَوْمِكَ ما جَرَى ... بِأمْسِكَ أوْ ما سَوْفَ يَجْرِي بِغُدْوَةِ
فأصْبَحْتَ ذَا عِلْمٍ بأخْبَارِ مَنْ مَضَى ... وأسْرارِ مَنْ يَأْتِي مُدِلاًّ بِخِبْرَةِ
أتَحْسَبُ ما جَارَاكَ في سِنَةِ الكَرَى ... سِوَاكَ بأنْوَاعِ العُلُومِ الجَلِيلَةِ
وما هِيَ إلاَّ النَّفْسُ عِنْدَ اشْتِغَالِهَا ... بِعَالَمِهَا عَنْ مَظْهَرِ البَشَرِيَّةِ
تَجَلَّتْ لها بالغَيْبِ في شَكْلِ عالِمٍ ... هَدَاهَا إلَى فَهْمِ المَعَانِي الغَرِيبَةِ
وقَدْ طُبِعَتْ فِيهَا العُلُومُ وأُعْلِنَتْ ... بِأسْمَائِها قِدْماً بِوَحْيِ الأُبُوَّةِ
وبالعِلْمِ مِنْ فَوْقِ السِّوَى ما تَنَعَّمَتْ ... ولَكِنْ بِمَا أمْلَتْ عليها تَمَلَّتِ
ولَوْ أنَّهَا قَبْلَ المَنَامِ تَجَرَّدَتْ ... لَشَاهَدْتَهَا مِثْلِي بِعَيْنٍ صَحِيحَةِ
وتَجْرِيدُها العَادِيُّ أثْبَتَ أوَّلاً ... تَجَرُّدَها الثَّانِي المَعَادِي فأثْبِتِ
ولا تَكُ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ دُرُوسُهُ ... بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ واسْتَقَرَّتِ
فَثَمَّ وَرَاءَ النَّقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ ... مَدَارِكِ غاياتِ العُقُولِ السَّلِيمَةِ

تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي وعَنِّي أخَذْتُهُ ... ونَفْسِيَ كانَتْ مِنْ عَطَائِي مُمِدَّتِي
ولا تَكُ باللاَّهِي عَنِ اللَّهْوِ جُمْلَةً ... فَهَزْلُ المَلاهِي جِدُّ نَفْسٍ مُجِدَّةِ
وإيّاكَ والإعْرَاضَ عَنْ كُلِّ صُورَةٍ ... مُمَوَّهَةٍ أوْ حالَةٍ مُسْتَحِيلَةِ
فَطَيْفُ خيالِ الظِّلِّ يُهْدِي إلَيْكَ في ... كَرَى اللَّهْوِ ما عَنْهُ السَّتائِرُ شُقَّتِ
تَرَى صُورَةَ الأشْياءِ تُجْلَى عَلَيْكَ مِنْ ... وَرَاءِ حِجابِ اللَّبْسِ في كُلِّ خِلْعَةِ
تَجَمَّعَتِ الأضْدَادُ فِيها لِحِكْمَةٍ ... فأشْكالُهَا تَبْدُو على كُلِّ هَيْئَةِ
صَوَامِتُ تُبْدِي النُّطْقَ وَهيَ سَوَاكِنٌ ... تُحَرِّكُ تُهْدِي النُّورَ غَيْرَ ضَوِيّةِ
وتَضْحَكُ إعْجاباً كأجْذَلِ فارِحٍ ... وتَبْكِي انْتِحَاباً مِثْلَ ثَكْلَى حَزِينَةِ
وتَنْدُبُ إنْ أنَّتْ على سَلْبِ نِعْمَةٍ ... وتَطْرَبُ إنْ غَنَّتْ على طِيبِ نَغْمَةِ
تَرَى الطَّيْرَ في الأغْصانِ يُطْرِبُ سَجْعُهَا ... بِتَغْرِيدِ ألْحَانٍ لَدَيْكَ شَجِيّةِ
وتَعْجَبُ مِنْ أصْوَاتِهَا بِلُغَاتِهَا ... وقَدْ أعْرَبَتْ عَنْ ألْسُنٍ أعْجَمِيّةِ
وفي البَرِّ تَسْرِي العِيسُ تَخْتَرِقُ الفَلاَ ... وفي البَحْرِ تَجْرِي الفُلْكُ في وَسْطِ لُجّةِ
وتَنْظُرُ لِلجَيْشَيْنِ في البَرِّ مَرَّةً ... وفي البَحْرِ أخْرَى في جُمُوعٍ كَثِيرَةِ
لِبَاسُهُمُ نَسْجُ الحَدِيدِ لِبَأْسِهِمْ ... وهُمْ في حِمَى حَدَّيْ ظُبًى وأسِنّةِ
فأجْنَادُ جَيْشِ البَرِّ ما بَيْنَ فارِسٍ ... على فَرَسٍ أوْ رَاجِلٍ رَبِّ رِجْلَةِ
وأكْنادُ جَيْشِ البَحْرِ ما بَيْنَ رَاكِبٍ ... مَطَا مَرْكَبٍ أوْ صاعِدٍ مِثْلَ صَعْدَةِ
فَمِنْ ضارِبٍ بالبِيضِ فَتْكاً وطاعِنٍ ... بِسُمْرِ القَنَا العَسّالَةِ السَّمْهَرِيّةِ
ومِنْ مُغْرَقٍ في النّارِ رَشْقاً بِأسْهُمٍ ... ومِنْ مُحْرَقٍ بالمَاءِ زَرْقاً بِشُعْلَةِ
تَرَى ذَا مُغِيراً باذِلاً نَفْسَهُ وَذَا ... يُوَلِّي كَسِيراً تَحْتَ ذُلِّ الهَزِيمَةِ
وتَشْهَدُ رَمْيَ المَنْجَنِيقِ ونَصْبَهُ ... لِهَدْمِ الصَّيَاصِي والحُصُونِ المَنِيعَةِ
وتَلْحَظُ أشْباحاً تَرَاءَى بأنْفُسٍ ... مُجَرَّدَةٍ في أرْضِهَا مُسْتَجِنّةِ
تُبايِنُ أُنْسَ الإنْسِ صُورَةُ لَبْسِهَا ... لِوَحْشَتِهَا والجِنُّ غَيْرُ أنِيسَةِ
وتَطْرَحُ في النَّهْرِ الشِّبَاكَ فَتُخْرِجُ الـ ... ـسِّمَاكَ يَدُ الصَّيَّادِ مِنْهَا بِسُرْعَةِ

وَيَخْتَالُ بالأشْرَاكِ نَاصِبُهَا على ... وُقُوعِ خِماصِ الطَّيْرِ فيها بِحَبَّةِ
وَيَكْسِرُ سُفْنَ اليَمِّ ضارِي دَوَابِهِ ... وتَظْفَرُ آسادُ الشَّرَى بالفَرِيسَةِ
ويَصْطَادُ بَعْضُ الطَّيْرِ بَعْضاً مِنَ الفَضَا ... ويَقْنِصُ بَعضُ الوَحْشِ بَعْضاً بِقَفْرَةِ
وتَلْمَحُ منْهَا ما تَخَطَّيْتُ ذِكْرَهُ ... ولَمْ أعْتَمِدْ إلاَّ علَى خَيْرِ مُلْحَةِ
وفي الزَّمَنِ الفَرْدِ اعْتَبِرْ تَلْقَ كُلَّ ما ... بَدَا لَكَ لا في مُدَّةٍ مُسْتَطِيلَةِ
وكُلُّ الذي شاهَدْتُهُ فِعْلُ وَاحِدٍ ... بِمُفْرَدِهِ لٰكِنْ بِحَجْبِ الأكِنَّةِ
إذَا ما أزَال السِّتْرَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ ... ولَمْ يَبْقَ بالأشْكَالِ إشْكَالُ رِيبَةِ
وحَقَّقْتَ عِنْدَ الكَشْفِ أنَّ بِنُورِهِ اهْـ ... ـتَدَيْتَ إلَى أفْعَالِهِ بالدُّجُنَّةِ
كَذَا كُنْتُ ما بَيْنِي وبَيْنِيَ مُسْبِلاً ... حِجَابَ الْتِباسِ النَّفْسِ في نُورِ ظُلْمَةِ
لأظْهَرَ بالتَّدْرِيجِ للحِسِّ مُؤْنِساً ... لَهَا في ابْتِدَاعِي دُفْعَةً بَعْدَ دُفْعَةِ
قَرَنْتُ بِجِدِّي لَهْوَ ذَاكَ مُقَرِّباً ... لِفَهْمِكَ غايَاتِ المَرَامِي البَعِيدَةِ
ويَجْمَعُنَا في المَظْهَرَيْنِ تَشَابُهٌ ... ولَيْسَتْ لِحَالِي حالُهُ بِشَبِيهَةِ
فأشْكالُهُ كانَتْ مَظَاهِرَ فِعْلِهِ ... بِسِتْرٍ تلاشَتْ إذْ تَجَلَّى وَوَلَّتِ
وكانَتْ لَهُ بالفِعْلِ نَفْسِي شَبِيهَةً ... وحِسِّيَ كالإشْكَالِ واللَّبْسُ سُتْرَتِي
فلَمَّا رَفَعْتُ السِّتْرَ عَنِّي كَرفْعِهِ ... بِحَيْثُ بَدَتْ لي النَّفْسُ مِنْ غَيْرِ حُجَّةِ
وقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الشُّهُودِ فأشْرَقَ الْـ ... ـوُجُودُ وحَلَّتْ بي عُقُودُ أخِيَّةِ
قَتَلْتُ غُلامَ النَّفْسِ بَيْنَ إقَامَتِي الْـ ... ـجِدَارَ لأحْكامِي وخَرْقِ سَفِينَتِي
وَعُدْتُ بإمْدَادِي على كُلِّ عالِمِ ... على حَسَبِ الأفْعَالِ في كُلِّ مُدَّةِ
ولَوْلاَ احْتِجَابِي بالصِّفَاتِ لأحْرقَتْ ... مظاهِرُ ذَاتِي مِنْ ثَنَاءِ سَجِيَّتِي
وألْسِنَةُ الأكْوَانِ إنْ كُنْتَ وَاعِياً ... شُهُودٌ بِتَوْحِيدِي بِحَالٍ فَصِيحَةِ
وجَاءَ حَدِيثٌ في اتِّحَادِيَ ثابِتٌ ... رِوَايَتُهُ في النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ
يُشِيرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ ... إلَيْهِ بِنَفْلٍ أوْ أدَاءِ فَرِيضَةِ
ومَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإشَارَةِ ظاهِرٌ ... بِكُنْتُ لَهُ سَمْعاً كَنُورِ الظَّهِيرَةِ

تَسَبَّبْتُ في التَّوْحِيدِ حتّى وَجَدْتُهُ ... وواسِطَةُ الأسْبابِ إحْدَى أدِلَّتِي
وَوَحَّدْتُ في الأسْبابِ حتّى فَقَدْتُها ... ورَابِطَةُ التَّوْحِيدِ أجْدَى وَسِيلَةِ
وجَرَّدْتُ نَفْسِي عنهُما فَتَجَرَّدَتْ ... ولَمْ تَكُ يَوْماً قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةِ
وغُصْتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا على انْـ ... ـفِرَادِيَ فاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةِ
لأسْمَعَ أفْعَالِي بِسَمْعِ بَصِيرَةٍ ... وأشْهَدَ أقْوَالِي بِعَيْنِ سَمِيعَةِ
فإنْ ناحَ في الأيْكِ الهَزَارُ وغَرَّدَتْ ... جَواباً لهُ الأطْيَارُ في كُلِّ دَوْحَةِ
وأطْرَبَ بالمِزْمَارِ مُصْلِحُهُ على ... مُنَاسَبَةِ الأوْتَارِ مِنْ يَدِ قَيْنَةِ
وغَنَّتْ مِنَ الأشْعَارِ ما رَقَّ فارْتَقَتْ ... لِسِدْرَتِهَا الأسْرَارُ في كُلِّ شَدْوَةِ
تَنَزَّهْتُ في آثارِ صُنْعِي مُنَزَّهاً ... عَنِ الشِّرْكِ بالأغْيَارِ جَمْعِي وأُلْفَتِي
فَبِي مَجْلِسُ الأذْكارِ سَمْعُ مَطَالِعٍ ... وَلِي حانَةُ الخَمَّارِ عَيْنُ طَلِيعَةِ
وما عَقَدَ الزُّنَّارَ حُكْماً سِوَى يَدِي ... وإنْ حُلَّ بالإقْرارِ بِي فَهيَ حَلَّتِ
وإنْ نارَ بالتَّنْزِيلِ مِحْرَابُ مَسْجِدٍ ... فَمَا بارَ بالإنْجِيلِ هَيْكَلُ بِيْعَةِ
وأسْفَارُ تَوْرَاةِ الكَلِيمِ لِقَوْمِهِ ... يُنَاجِي بِهَا الأحْبَارُ في كُلِّ لَيْلَةِ
وإنْ خَرَّ للأحْجَارِ في البُدِّ عاكِفٌ ... فَلاَ وَجْهَ للإنْكارِ بالعَصَبِيَّةِ
فَقَدْ عَبَدَ الدِّينَارَ مَعْنًى مُنَزَّهٌ ... عَنِ العَارِ بالإشْرَاكِ بالوَثَنِيَّةِ
وقَدْ بَلَغَ الإنْذَار عَنِّي مَنْ بَغَى ... وقامَتْ بِيَ الأعْذَارُ في كُلِّ فِرْقَةِ
وما زَاغَتِ الأبْصارُ مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ ... وما زَاغَتِ الأفْكارُ في كُلِّ نِحْلَةِ
وما اخْتَارَ مَنْ للشَّمْسِ عَنْ غِرَّةٍ صَبَا ... وإشْرَاقُهَا مِنْ نُورِ إسْفارِ غُرَّتِي
وإنْ عَبَدَ النَّارَ المَجُوسُ وما انْطَفَتْ ... كما جاءَ في الأخْبارِ في ألْفِ حِجَّةِ
فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي وإنْ كانَ قَصْدُهُمْ ... سِوَايَ وإنْ لَمْ يُظْهِرُوا عَقْدَ نِيَّةِ
رَأَوْا ضَوْءَ نُورِي مَرَّةً فَتَوَهَّمُو ... هُ ناراً فَضَلُّوا في الهُدَى بالأشِعَّةِ
ولَوْلاَ حِجَابُ الكَوْنِ قُلْتُ وإنَّمَا ... قِيامِي بأحْكامِ المَظاهِرِ مُسْكِتِي
فلا عَبَثٌ والخَلْقُ لَمْ يُخْلَقُوا سُدى ... وإنْ لَمْ تَكُنْ أفْعَالُهُمْ بالسَّدِيدَةِ

علی سِمَةِ الأسْمَاءِ تَجْرِي أُمُورُهُمْ ... وحِكْمَةُ وَصْفِ الذَّاتِ لِلْحُكْمِ أجْرَتِ
يُصَرِّفُهُمْ في القَبْضَتَيْنِ وَلا وَلا ... فَقَبْضَةُ تَنْعِيمٍ وقَبْضَةُ شِقْوَةِ
ألاَ هَكَذَا فَلْتَعْرِفِ النَّفْسُ أوْ فَلاَ ... وَيُتْلَ بِهَا الفُرْقَانُ كُلَّ صَبِيحَةِ
وعِرْفانُها مِنْ نَفْسِها وهِيَ الَّتِي ... على الحِسِّ ما أمْلَتْ مِنِّيَ أمْلَتِ
ولَوْ أنَّنِي وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ وانْسَلَخْـ ... ـتُ مِنْ آيِ جَمْعِي مُشْرِكاً بِيَ صَنْعَتِي
ولَسْتُ مَلُوماً أنْ أبُثَّ مَوَاهِبِي ... وأمْنَحَ أتْبَاعِي جَزِيلَ عَطِيَّتِي
وَلِي مِنْ مُفِيضِ الجَمْعِ عِنْدَ سَلاَمِهِ ... عَلَيَّ بِأَوْ أدْنَى إشَارَةُ نِسْبَةِ
ومِنْ نُورِهِ مِشْكَاةُ ذَاتِي أشْرَقَتْ ... عَلَيَّ فَنَارَتْ بِي عَشَائِي كَضَحْوَتِي
فأُشْهِدْتُنِي كَوْنِي هُنَاكَ فَكُنْتُهُ ... وشَاهَدْتُهُ إيَّايَ والنُّورُ بَهْجَتِي
فَبِي قُدِّسَ الوَادِي وفِيهِ خَلَعْتُ خَلْـ ... ـعَ نَعْلِي على النَّادِي وَجُدْتُ بِخِلْعَتِي
وآنَسْتُ أنْوَارِي فَكُنْتُ لَهَا هُدًى ... وناهِيكَ مِنْ نَفْسٍ عليها مُضِيئَةِ
وأسَّسْتُ أطْوَارِي فَنَاجَيْتُنِي بها ... وقَضَّيْتُ أوْطارِي وَذَاتِي كَلِيمَتِي
وبَدْرِيَ لَمْ يَأْفُلْ وشَمْسِيَ لَمْ تَغِبْ ... وَبِي تَهْتَدِي كُلُّ الدَّرَارِي المُنِيرَةِ
وأنْجُمُ أفْلاكِي جَرَتْ عَنْ تَصَرُّفِي ... بِمِلْكِي وأمْلاكِي لِمُلْكِيَ خَرَّتِ
وفي عالَمِ التَّذْكارِ لِلنَّفْسِ عِلْمُهَا الـ ... ـمُقَدَّمُ تَسْتَهْدِيهِ مِنِّيَ فِتْيَتِي
فَحَيِّ عَلَى جَمْعِي القَدِيمِ الَّذِي بِهِ ... وجَدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أطْفَالَ صِبْيَةِ
ومِنْ فَضْلِ ما أسْأَرْتُ شُرْبُ مُعَاصِرِي ... ومَنْ كانَ قَبْلِي فالفَضائِلُ فَضْلَتِي

* * *

تائية الشيخ الأكبر

محيي الدين بن عربي(*)

[٥٦٠ - ٦٣٨ هـ/ ١١٦٤م - ١٢٤٢م]

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزَّهت لما أن حضرت بحضرتي ... ووحدت في ذاك المقام بنظرتي

وفي كثرتي شاهدت وحدتي التي ... تعالت وجلَّت أن تُقاس بوحدتي

فهانَ عليَّ الأمر من بعد عسرة ... ولاح لي البرهان في عين شبهة

ولم يخف عني ما أروم ظهوره ... ولم يبق لي شيء أراه بفكرتي

تجلَّى لي النور الأعم بكنهه ... فشاهدت ذاك النور في كل صورة

ومن حلَّ بالبيت المعظَّم قَدره ... فقبلته صارت إلى كل وجهة

فشاهدت ما لا وصف يثبت عنده ... فحرت وحَارت عند ذلك حيرتي

أنانيتي فيها بذي كل مشهد ... وكل مقام قد حوته هويتي

---

* هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي، والملقب بالشيخ الأكبر.
فيلسوف الصوفية من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى أشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي واستقر في دمشق ومات فيها.
يقول الذهبي عنه: قدوة القائلين بوحدة الوجود.
له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها: الفتوحات المكية في التصوف وعلم النفس، عشر مجلدات، وهو من أشهر كتبه، والتجليات الإلٰهية، والعبادلة، وترجمان الأشواق، والتدبيرات الإلٰهية في إصلاح المملكة الإنسانية، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدب، وديوان شعر أكثره من التصوف، وفصوص الحكم، وغيرها الكثير الكثير.

شهدت أنا فيّ وهو في حضرة العما ... فكان شهودي مؤذناً لي بكثرة
فشاهَدتني حياً عليماً بما بدا ... مريداً قديراً كل شيء بقدرتي
سميعاً بصيراً قاهراً متكلِّماً ... أحكم أحكامي على حكم حكمتي
قد أحضرت الأسماء فانظر لسرّها ... ففيها تبدي كل وصف لعزَّتي
ومن حضرة الأفعال تبدو عجائباً ... وهذا مقام فيه فرض أوليتي
كمالٌ ويتلوه جلالٌ وبعده ... جمالٌ فكل الكون فاز بخُلعتي
فتنبسط الآمال دون نهايةٍ ... ويهتزُّ غصن الكون أيَّةُ هزَّةِ
جلالي جمال خُصَّ كان إليهما ... تَؤوبُ بك الأرواح فافطن لأوبةِ
تحدَّث بما تبغيه فالأمر واسع ... ولَسْتَ ترى حَضْراً لأيسر لمحة
وعرشي به الرحمٰن في الأفق استوى ... تجلَّى إلى هذا المقام برحمتي
سماءُ الدُنيا فيها التجلِّي لرَّبنا ... فقدسَتِ الأسماءُ سرّي وجلَّت
تكاملت الأفلاك تسعاً لحكمة ... وربٌّ تجلَّى عند الكمالِ بتسعة
وسبع سماوات لهنَّ كواكباً ... عليٌّ نسبة منهن سبعاً لسبعة
وفي ثامن الأفلاك أنجُمُك التي ... بما توسم الأرواح رسماً لمقلتي
وتاسعها لا رسم فيها يُرى هوى ... فإن له في اليوم إتمام دورة
فأولها خصَّت ببدر له سنى ... كما خصَّت الوسطى بشمس منيرة
تفَطَّن بهذا ولتكن عاملاً به ... فما حضرة إلاَّ بسرك خُصَّت
وأشْهُدَني ناراً تحرق من دني ... إليَّ وبيَّن لي فأظهر عزَّتي
فأنزل غيثاً مستطاباً نزوله ... لدفع الظمأ عن من شكى حر غُلّة
فيجعل مني كل حبي فلا ترى ... حياة لغيري فاعجبوا لقضيتي
وارجع أرضاً ساتر القبائح ... وموطىء أقدام فأظهر ذلّتي
فاخلط ماءً بالتراب مخمَّراً ... أخمِّره حيناً فيدعى خميرتي
أطوره أطوار بلطائف ... أسوِّيه حتى يستعد لنفختي

فيقبل سراً لم يكن قابلاً له — وأنفخ فيه الروح من بعد مدتي
وقد شُرِّفَتْ أرجاؤه وجهاته — وقد صار موصوفاً بكل غريبة
فأظهر إنساناً يسمَّى بآدم — وأُسْكِنَ في الجنَّات أرفع جنَّة
وأعطي من الآمال فضلاً ونعمةً — تجلُّ وتسموا أن تقاس بنعمة
ومُكِّنْتُ من معنى الخلافة فانثنى — حسودي وقد أرداه تمكين مكنتي
وأوْدِعَت الأسماءَ عندي وَحُقَّ لي — بأن أتسمى عند ذا بالخليفة
وحمَّلَني العز المطاع وديعةً — فضيِّعت للأمر العزيز وديعتي
وأخرج من ظهري بِيُمناهُ ما حوى — من القسم اللاذي نُبِيْنَ لِيُمنَتِي
وأخرج باليسرى من القسم الذي — جرى سابق التقدير يَعْزَى ليسرتي
وقال مقالاً لا أبالي بحادثٍ — فهذا إلى ناري وهذا لجنَّتي
وأخرجهم كالذّر ثم أقرَّهم — وأودع سرّ الحق في كل ذرة
واطْلِبَ مني سجدة لي وإنما — أقربني مني بإيقاع سجدتي
وامنعني فضل السجود فانثنى — طريداً بعيداً وهي أول زلَّتي
واخرجني منها كما حكم الهوى — لأرضي أرويها دموع خطيئتي
إلى أن أجبت بالدمع مني سايلاً — كفاك ثواباً قد منحتك توبتي
وأبرزت حوائجكم إرادتي — ليحصل تأنيساً وتذهب وحشتي
فأعطيتها بعض الصفات فشرفت — بأن رجعت مستودعاً نشر عطيتي
وأظهر مني العالم الأنس كله — إلى الفعل من بعد الظهور بقوتي
وأظهر نوحاً وهو داعٍ لقومه — إلى الحق لكن لم يجيبوا لدعوتي
ونُبِّئْتُ بالطوفان قبل وقوعه — فبادرت من حيني لِنَحْتِ سفينتي
فأما مقامي فيهم طالب الهدى — فألفٌ سوى خمسين تحقيق دعوتي
وأودعت فيها اثنين من كل ما بدى — ففاضت مياه الكون فيها بكثرة
فقال: اركبوا فيها فباسمي مسيرها — فكانت بعون الله أثمن سفرتي

وصرت ثموداً ثم أُرْسِلْتُ نحو مَن   أبىٰ أن يرى ينقاد نحو النصيحة

فأرسلت الريح العقيم عليهم   فصاروا بها صرعى كأعجاز نخلة

فأعقبهم ذاك العلو هلاكهم   ولم يبق منهم في الورى من بقية

فحازوا ولكن كل أمرٍ مُدَمْدَمٍ   وفزت أنا منهم بعقبى حميدة

وفازوا بخسران مبين وأُتْبِعُوا   بما فعلوه لعنةً بعد لعنة

ومن بعد هذا الأمر طُوِّرْتُ صالحاً   بناقته أدعو لكل فضيلة

فما سمعوا قولي ولا عملوا به   فكان هلاك القوم طرّاً برجفة

وطورت إبراهيم في النجم ناظراً   فأدركت علم الكون دون رؤيتي

وحاججت قومي في الإله على هدى   فكل امرء منهم قهرت بحجتي

أتيت إلى أصنامهم فكسرتها   فما تركوا جَذّاً لهم في عقوبتي

وحاججت في ربي كفوراً به لأن   أنال غنًى حتى أدعي كل قدرتي

فأعجمته بالشمس في حركاتها   فعوقب في ذاك المقام ببهتة

وفي قصة الطير التي قد رأيتها   بعينِ يقيني فانتبهت لبعثتي

وطورت لوطاً وهو داعٍ لقومه   إلى الرشد فانقادوا لكلٍّ رذيلة

فصرت مع الأضياف لم أعدُ أثرهم   أجد السرى معهم بقية ليلة

فأمطرهم سحقاً لهم بحجارةٍ   وما هي عن أمثالهم ببعيدة

فصيرت أعلاهم أسافلهم كما   لهم من بقايا فاستجيبوا بشدة

وطورت من حيني شعيباً بعدالة   فقلت إلى قومي خذوا بنصيحتي

عليكم بعدل الله في كل حالةٍ   ألا إنه أثنى وأسمى وسيلتي

فحاروا وما أصغوا إلى قول قائل   فماتوا جميعاً واستنَمُّوا بصحبتي

وطورت موسى مظهراً لعجائبٍ   فأودعت في التابوت أعظم ذرأت

إلى أن أتينا ماء مدين نستقي   تجيء إليه أمة بعد أمة

فكان انتظام الشمل منه فعاد لي   شعيب صديق وهي أول رتبة

إلى ليلةٍ أمَّلْتُ إنجازَ وعدِهِ ... فكانت بما قد كان أسعد ليلة
فآنست نوراً عند جانب طوره ... فَرُفِّعْتُ مقداراً مُضافاً لرفعة
وفي جانب الطور المقدَّس من طوى ... طويت بساطاً ينتمي لطبيعتي
وخلعي النعلين فيه إشارة ... إلى ترك ما أبديه من ثنوية
أُمِرْتُ بإلقاء عصاي لأنني ... أراها قد صيّرتها نفسي عمدتي
فألقيتها حتى تجلّى خفيها ... فأدركتها إدراك أعظم حية
فنوديت: خذها لا تخف من ظهورها ... فترجع عن قَهْرٍ لأول سيرة
مددت يدي نحو الجناح وقد حوى ... عصاي فكانت آية بعد آية
وقيل لي: اذهب نحو فرعون إنه ... طغى فعسى ينقاد يوماً لخشية
طلبت أخي هارون كيما يُعينني ... وأُعْطِيْتُهُ ذا قوة في مَعُونَتي
فقلت له ما قد أُمرت بقوله ... بألطف قول فاستخفَّ بدعوتي
فما انقاد نحو الحق بل قال ساحرٌ ... أتانا جهاراً بالأمور المخيفة
ليُخْرِجنا من أرضنا بِفِعَالِه ... فهل موعد منه إلى يوم زينة
سعى جهله في جمعِهِ كل ساحرٍ ... وأرسل رُسلاً نحو كل مدينة
وجَمَّعَ جَمْعاً منهم وتآلفوا ... فكل امرئٍ منهم يجيء بحيلة
فألقوا حبالاً مع عصي أثوابها ... وصارت كحيَّات لناظر مقلة
وذلك تخييل وليس بثابتٍ ... ولكنَّ نفسي أظهرت بعض خِيفة
فألقيت من جيبي عصاي فأسرعت ... لإعدام ما جاؤوا به أيُّ سرعة
فخرُّوا جميعاً عند ذلك سُجَّداً ... وصاروا لنا في الحين خير عشيرتي
فصرنا جميعاً نبتغي وجه ربنا ... فأرسل عنا إذ رآنا بقلَّة
فلما ترائينا رأينا جميعهم ... فقلت لأصحابي وأهل مودَّتي:
مع الربَّ حتى قد تعالى ثناؤه ... عسى الرب يهدينا لخير طريقتي
أُمِرْتُ بضرب البحر إذ ذاك بالعصا ... فصيّرته في الحين رهواً بضربتي

فسرنا وساروا خلفنا فإذا بهم وقد غرق الجمهور في وسط لجَّت
فكم تركوا من نعمة بديارهم وبدِّلت النعماء عليهم بنقمة
ومن بعد هذا كان ميعاد ربنا تركت أخي هارون فيهم خليفتي
وجئت لميقات وكلَّمني به ربوبيَّة فيه لسمعي تجلَّت
فأدركت ذاك القَوْل دون تكيُّف فأدركته عنه بأذن سميعة
فعادَتْ لذاك القول عيني فشاقها جمال فرامت أن تفوز بنظرتي
فخاطبني منه بِلَنْ ولو أنَّني سكنت تجلَّى لي بكل لطيفة
وقال لي: انظر نحو ذا الجبل الذي له قوَّة يدَّعي لمنع وشدَّتي
وعلَّق لي الرؤيا بشرط ثبوته فصيَّره دكّاً لأكبر دكَّتي
تجلَّى بأوصاف الجلال فعندها صَعَقْتُ ودامت عند ذلك صعقتي
فعند ذهابَ الصعقِ فِقْتُ مُسبِّحاً وجددت إيماناً بنفسٍ منيبة
وأُعْطِيْتُ ألواحاً بعلم مفَصل وموعظة أكرم بها من عطيتي
وقيل لي: إلزِمْ شُكر ما قد وهبْتَهُ إليك وذي الألواح خذها بقوَّتي
رجعت إلى قومي على غضب لما أتوه من الأحوال في طول غيبتي
فألقيت بالألواح حتى تكسَّرت وجئْتُ إلى هارون بالغضبيتي
مددت يدي في رأسه وجررته فقال: ولا تأخذ برأسي ولحيتي
أتيت على تفريقهم فتركتهم على حالهم فاسأل تنبأ بقصتي
فصيَّرْتُ عِجْلَ السامريّ محرقاً ونسفْتُهُ في اليمِّ أعظم نسفتي
ومن بعد ذا قد صِرت عن ذاك معرضاً إلى مجمع البحرين حققت وجهتي
لكي أدرك البحرين كيف تجمَّعت ففي ذلك المعنى أعاين بغيتي
فكان ذهاب الحوت فيه دلالةٌ على رؤيتي من حاز علم الحقيقة
فقلت له: إني أصيُّرُك صاحباً إليك عسى عِلمٌ أنال بصحبتي
فسار بنا حتى ركبنا سفينة فحاول للتقدير خرق سفينتي

فقلت له: هذا جزاءٌ لفعل غم ... لقد جئت أمراً في جزاء الصنيعة

فسرنا فلاقينا غلاماً مُراهِقاً ... فقتله في الحين أعظم قتلةِ

فقلت: فما هذا الفِعال بجائز ... أتوقع لخداماً بنفسٍ زكية

فسرنا وجئنا قرية نبتغي القِرا ... فلم يمنحونا القوم أيسر منحة

وجدنا جداراً للسقوط أقامه ... فقلت له: لو شئت كان بأجرة

فقال: دنا وقت الفراق وقصَّ ما ... جرى بيننا واختار إذ ذاك فرقتي

ومن بعد ذا طورت عيسى بن مريم ... وأيدني منه بروح سنيَّةِ

فأخلق من طين كهيئة طائر ... وانفخ فيه الروح من قدسيَّة

وجئت بالخيل وإبراء أكمهٍ ... وإرشاد ملهوف وإحياء ميِّت

وقد يدَّعي قوم بأني إلٰههم ... على أنني عيَّنْتُ ذا بشريعتي

وقد قال قوم من يهود بأنني ... قتيل لهم بل ذاك أكبر فريةِ

وما ذاك منهم عن يقين وإنما ... يمارون في ذا القول أكبر مرية

وخصصت في ذاك المقام وحق لي ... بمائدةٍ جاءت بكل طريقة

وجاء الحواريون نحوي وبادروا ... ظهرتُ بأوصاف لهم عيسوية

فآدم مخصوص بتخصيص ربه ... على صورة الرحمٰن ذاك خليفتي

وفي المهد أبديت العجائب مثل ما ... ظهرت بها عند استواء كهولة

وطُوِّرَت في طور النبي محمد ... فنلت كمالاتي وتمَّت فضيلتي

وكل كمال في العوالم حزت ... فكنت إذاً ختماً لكل نبوَّتي

وفي ليلةِ الإسراءِ نِلت عجائباً ... تجلَّ عن الاحصاءِ أسرار ليلتي

فكنت كقابٍ بل دنوي زائدٌ ... عليه فغشاني بأنوار سُدرتي

ووصف لي خمسين من صلواته ... فأمَّلتُ نقصاناً لها نحو خمسة

وكان الذي يسعى معي في ذهابها ... ونقصانها في صورة موسوية

فأعطيتُ مجموع الأمور لأجل ذا ... وسعت جميع العالمين برحمة

وأعطاني لواءَ الحمد والكل تحته وخصصت وحدي بينهم بالوسيلة
فإن كان بالتقديم آدم قد حوى مقاماً له قد حاز حكم الأبوة
فما حاز بالتحقيق إذ أنت قسته إلى حالتي إلاَّ مقام النبوَّة
فلا نيل للتحقيق إلا بمشهدي ولا مِنْحَ إلاَّ مِن بقيَّةِ منحة
فكل نبي في القيامة يتقي ولكنني أبغي سعادة أُمتي
لكل نبي دعوة مستجابة وإني لهذا اليوم ادخرت دعوتي
فمن لم يصدِّقني فليس بمؤمن وليس له نهج لتبديل شقوتي
ومن حصَّل الإيمان بي فهو فائز وإن كان ذا شرب بأطيب عيشة
فشرعي أتى لا شرع ينسخ حكمه وإن كان شرعي ناسخ كل شرعتي
وجئت بآيات يدوم بقاؤها وآية كل الرُّسل ليست كآية
ومن دَبَّر القرآن ثم صغى له فكان بنفس للهوى مستعدة
ولاحت له أسراره فاقتدى بها فما آية إلاَّ أتت بهدية
وما وقع التشريك فيه وما أتى يخص فريداً صورة دون صورة
وفي الحيوان الكل أبرزُ ظاهراً من الفيل حتى انتهي للبعوضة
وفي الحيوان الماء أظهرُ هكذا وفي حيوان الماء كلُّ عجيبة
أصير هزاراً تارة فيهزني سرور بذاتٍ قد هَوِيْتُ شريفة
فأصبوا إلى معنى الجمال ولفظه فأقصد بالتطريب أطرب دوحة
فأشجع بالألحان من طربي بها وأقصد في التأليف أطرب نغمة
وإن كان في الألحان عندي عجمةٌ فقد يقصر الإعراب عن مثل عجمة
وأظهرُ قمريّاً بشجع مُغايرٍ يميل إلى ضربٍ من الحزن شجعة
كذاك تراني لا أزال مولهاً أنظم شجعي في بقاع خليتي
ففي هذه الأطوار أبدو برقةٍ وأظهر في طور البُزاةِ بقسوة
وأبدو نباتاً قد حويت منافعاً حويت على ما فيه إبراء علتي

ومني الغد المستطاب لطاعمٍ   ومني فنون الفعل في حفظ صحتي
أصير ثماراً عاليات فروعها   أصير إلى الأطيار شبه الأسِرَّة
أجيءُ بإنعامٍ عزيزٌ وقوعها   ومني يرى في الكون كل حديقتي
وأرجع طوراً كرمة أحتوي على   عجائب لم توجد ففاخر بكرمتي
فأخْرِجُ منها خمرة ذات قوَّة   ولكنها ليست تُقاس بخمرتي
فألعب بالعقل الرصين فلا ترى   له أثراً ما دمت أشهر فعلتي
ولكن خمرِي لا يقيدها المنى   فإياك تدعوها بوصفِ دَمِيْمَةِ
فكل ضياءٍ مشرق من ضيائها   وقد أذهبت في الكون كل قديمة
فلولا سناها كان كونك مظلماً   وكنت بلا ريب مخالف ظلمتي
ومهما رأيناها رأينا سرورنا   فرؤيتها مقرونة بالمسرَّة
وكم منن أهدت وكم حائر هدت   وكم مُنح أهدت إلينا جزيلة
ومن نشرها صار النسيم معطرّاً   يجر ذيول التيه فوق المجرة
فيا نسمة بالله هبِّي لأنني   يطول اشتياقي لانتشاق نسمتي
سرت فأسرت في سراها سرائراً   وذلك سرَّتْ كل نفس نفيسة
فما ناطق في الكون إلا بذكرها   إذا كنت سمَّاعاً بأذن سميعةِ
بأسمائها كل الملائك سبَّحوا   وباسمٍ لها حور الجنان تغنَّتِ
فكل مصلٍّ باسمها في صلاته   يصلِّي ويرجوها لكل مهمةِ
ومهمى دعى فهي التي في دعائه   يؤمل منها المنح في كل دعوةِ
ووجهته ليست تكون لغيرها   وإنَّا نراها الآن أشرف وجهةِ
فما قائم راجٍ سواها قيامه   يؤوب له إلاَّ بأسعد قومةِ
وكل طعام طيب فهو طعمها   تترك للأذواق في كل طعمة
وما لمست في الكون كفّاً للامس   سواها فلا يحجبك عنها بلمسةِ
وما مُدركٍ في الكون إلا جمالها   وما مُدرِكٌ إلاَّ جمال بثينَة

وليس جميل من بثينة غيرها فلا تنتسب يوماً إلى الثنوية
فيا معشر العشّاق موتوا صبابةً ففي مثل هذا منيتي بمنيَّتي
وكل زمان لا أريد تهتُّكاً فذاك زمان جاءني بكبيرة
ومن نظر العشاق بالنقد إنما رأى حالهم لكن بعين سقيمة
وجملة ما يبدو من الكون كله فما هو منها غير أيسر لمحةِ
ومَنْ مَاتَ فيها وهو يعرفُ قدرَهَا فذاكَ امرؤٌ قد حازَ كلَّ غنيمةِ
وكلٌّ مشوقٍ لَوْ دَعتْهُ لِمَوتِهِ أجابَ لِمَا قالتْ بِنَفس مطيعة
فإن نَظَرَتْ يوماً إلى ميِّت غدا يتيه على الموتى بروح شريفة
وإن نظرت يوماً لنفس شقيَّة تفاض بأوصاف عليها سعيدة
وإن نظرت يوماً فقيراً رأيته وقد حاز بالتوفيق أعظم ثروة
وإن نظرت يوماً إلى متألم تبدَّلت الآلام لكن بلذَّةِ
وإن نظرت يوماً إلى جاهل بها يعود بنفس بالعلوم عليمة
وإن نظرت نفساً تُضاف لِقَسوةٍ فتدعى بلا ريب بوصْفِ الرحيمة
وإن نظرت يوماً سقيماً فإنه يعود أخا علم ونفس رحيمة
وإن نظرت يوماً بخيلاً رأيته يجود بما يحوي بنفس سخيةِ
وإن نظرت يوماً جباناً فعند ذا يصير بنفس في الوغا ذات نجدة
وإن نظرت يوماً ذليلاً سمت به إرادتُهُ في الجُبن نحو الأعزَّة
وإن نظرت يوماً وضيعاً فقدره يرفع في الأكوان أيّة رُفعةِ
فمن نال منها لمحة أي لمحة يحق له أن لا يُقاس بقيمةِ
فكيف يكون الحال فيمن أحبها وكل زمان يرتَّقي في المحبَّة
وقد صار فيها عاشقاً طول دهره فليس له عنها انصراف كطرفة
فكيف يكون الحال إن هو كانها ولم يبق معها غَيراً بعين الحقيقة
فيا معشر الخُلَّاع جدُّوا وسارعوا إلى قهوة ليست تُقاس بقهوة

فرفض التواني فرض عين على الفتى … إلى سكرة تُعْزَى لأشرف سكرةِ
فليس لها وقت يجددها المنى … ولكنه عنها انتشا كل نُشأةِ
فدونكها فانهج لها فهي التي … تمالت على كل الأمور بنسبة
فكل إناءٍ في الوجود إناؤها … فإياك يوماً أن تميل لمزجةِ
فكل سعيد في الورى يطول دهره … يصير بِجَدٍ نحو تحصيل نشأتي
فدرها جهاراً يا نديم فإنني … أرى أشرف الحالات في الشرب هتكتي
فما لي وحقي في مال مآربٍ … أحرم في هذا المقام سكينتي
فخلع عُذاري في الخلاعة مذهبي … ولا مذهب عنه أرى في شريعتي
وكل فخاري فهو من بعض سرّها … وما حزته إلا بكثرة شهرتي
فيا حيرتي مَنْحا وِصَالِكِ إنّني … إليك مشوق لا فارق منحتي
أخاطبها في قالب الغير غيرة … لأحجب توحيدي بأستار غيرتي
ولكنها لا تحجب الأمر عن فتى … يعاين بالتحقيق كل طريقتي
فامنحه سر الوجود لأنني … أحدثه عني بصفو المودّة
فدع عنك هذا القول طُرّاً فإنما … جرى بلساني قوله عند سكرتي
أجدد إيماناً وأرجع مسلماً … وأقرب للربّ الغفور بتوبتي
عسى ما جرى أن لا يؤاخذني به … ويصفح عن ذنبي ويغفر زلّتي
إلٰهي ذنوبي قد تعاظم قدرها … وأنت الذي تُرجى لكل عظيمة
فكن ساتِراً لي قُبْح ما قد فعلته … ولا تخزني يوم انتشار صيحتي
فيا مدمعي جُد وانهطل وانسكب ودم … وإياك يوماً أن تقول بممنعتي
ويا كبدي ذوبا أسىً وتحرَّقا … فما حرُّ نيران الجحيم كزفرتي
ويا حزني كن لي حزيناً مواصلاً … ويا فرحي من نهج القطيعة
ويا حزني جيِّش جيوش تفكري … عليَّ فأني قد بذلتك مهجتي
ويا حزني إن لم يكن حزني له … ويا ضيعة للعمر مني وضيعتي

فيا نوم جفني خله وسهاده حرام عليه أن يلين بهجعتي
فقد طلَّقت عيني المنام وما نوت بتطليقها للنوم عوداً برجعتي
ويا جملة الأيام إن طال عودها إذا حققت إلاَّ كلمح برقة
تولَّت بلذاتي التي قد فعلتها فيا ليتها بالذنب عني تولَّت
فتذهب أيام الفتى بمراده كما ذهبت عنه بكل كريهة
ومن أعوز الأشياء للمرء توكه معارفه فليعتز لهم بعزمة
وكل الذي قد كان للنفس مؤنساً يصير يراه موحشاً أي وحشة
ويأنَسُ بالأذكار طول نهاره ويشرع بالإشراع في أخذ خلوةِ
ويأخذ في تقليله لطعامه فجوع الفتى رأس إلى كل حكمةِ
فمفتاح قفل القلب في الجوع فاعلمن فإن دوام الجوع أبهج حميةِ
وإن ملت للأكل الكثير فأنت قد رضيت خلوداً منك للأرضية
وللنفس نهج كامِلٌ لكمالها كذاك لها نحو الصفات الذميمة
فعدّ عن الطبع الذميم لأنه محل لإظهار الأمور الذميمة
فطبعك مطبوع على النقص كله كذلك لا يدعوك إلا لشهوةِ
وصعب على الإنسان تبديل طبعه وهل يذهب الإنسان ما في الجبلةِ؟
ولكن بتأييد الإله لِعَبْدِهِ يهوّن عليه الأمر بعد صعوبةِ
وقلِّل من النوم الذي قد ألِفْته فنومك إن دبَّرته حال غفلة
ومن بعد هذا كله صنّ جوارحاً وسَمٌ إذا أرسلتها بعزيمة
وإن نظرت عيناك زهرة عاجل فإياك والمُؤْلِ المُؤدي لزهرتي
وإن سمعت أذناك قولاً محرَّماً بغيبةِ شخص أو بقول نميمتي
فاعرض ودع ذا القول عنك بمعزل تخلا بهذا فهو أفضل حليتي
واعرض عن الوسواس في القلب واستعذ برب جميع الناس من شر جِنَّة
وكن طالباً تصيِّر قلبك والتزم صيانته عن نكتة بعد نكتة

فالنَّفسُ والشيطان عندك مِلَّة ... والربُّ والأملاك أكبر ملَّة
ومن يتولى ربّنا فهو غالبٌ ... وحزب الذي يلقاه حزب الهزيمة
فسر نحو هذا الأمر إن كنت قاصداً ... وإن كنت ذا فهم شديد وفطنة
فلا يَخْدَعنَّكَ الكون مما رأيته ... وإن كان في الأكوان أعظم فتنة
وقف مع ما تأتي به العين جملة ... وإياك بالتفضيل بالحكمة
ودبِّر حروف اللوح بعد قراءةٍ ... فمعنى الوجود الحق في كل لفظة
وإن كنت في حال السماع ملاحظاً ... حقيقته أنصت لكل مصوتِ
فإن خطرت يوماً ببالك خطرة ... من الغير عرفها بأخطر خطرة
فرفض السوى فرض على القوم رفضه ... وكل كمال باتباع الفريضة
وكن ورعاً فيما تشابه أمره ... تخلص ضياء القلب من كل ظلمة
وكن زاهداً يكمل لك الأمر كله ... فزهدك قلب للأمور الشريفة
وكن مع حكم الوقت في كل حالةٍ ... ودع كلما دبَّرت ذاتاً بفكرةٍ
فشغلك بالموجود إن كنت محسناً ... عن الغير قد أغناك أعظم غنية
وجُدَّ بعزم في مخالفة الهوى ... ونفسك لا تنظر بعين كليلة
ونفسك بالأهواءِ أمارة وقد ... تميل بهذا الوصف نحو المُلِيْمَة
ومهما تركت بالتحليّ[1] رأيتها ... مكان التجلّي للصفات الرحيمة
وفي مثل هذا الطور تُبصِرُ ذاتها ... وقد ظهرت في صورة ملكيَّة
وإن وجدت سرّاً لوجود حقيقة ... ولم تتحرك عنده واطمأنت
فعند أولي التحقيق صارت جديرة ... لأن تسمى الآن بالمطمئنة
أيا من حوى الإيمان حقاً بزعمه ... على هذه الدعوى أصح الأدلة
إذا تليت آياته في وجوده ... تجلّى له الإيمان في كل حضرةِ

(١) وفي نسخة [بالتجلي] بدل [بالتَّحلي].

وفي حضرة الإسلام يشرح صدره   لإعدامِهِ التكثير بالصمديَّة
فصار كعرش الانشراح بذا غداً   تجلَّى له الرحمٰن فافطن كفطنتي
ومن جهل الأمر الأعم فصدره   جَدِيرٌ بأن يلقى به كل ضيقة
ومن لم يفز بالفهم في ظاهر بدا   فما صُنعه عند القضاء بالمشيرةِ
فيا أيها الراجي حصول مراده   بإصلاحه للقوَّة النظريَّة
ومن بعد ذا يبقى يؤمل حكمة   يحصلها بالقوَّة العمليَّة
فيكمل في علم وفي عمل معاً   ويظهر إنساناً بأكمل سيرتي
لو أنك ممن عاين الأمر واحداً   لما غاب عنك الحق في كل رتبة
يُوَحِّدُ في الأمور وإنما   تكثره الأشياء بالعربيَّة
ومن خصَّ شيئاً دون شيء فإنما   رُمي كاملاً في نفسه بالنقيصة
أيا طيبة قد طبتِ خُبراً ومُخْبِراً   فإنني شفاءٌ للقلوب المشوقة
وكل فؤاد عامر بك جملة   فذاك فؤادٌ حاز أشرف خلة
وما ناظرٌ قد فاز منك بنظرة   فيبقى له في الكون ميلاً لنظرة
لئن كان قولي عند من يدعي الحجا   محال فدعيني من عقول ضعيفة
إذا أنت أعطيت المراتب حقها   فقصدك موجود بكل هويتي
وكل سنا قد صرت فيه مولهاً   وكل جمال فهو فيض أحبتي
فاذكرهم لا أنني قد نسيتهم   إذا لمحت عيني خيال قبيلة
إذا كان قلبي قد تعمَّر كله   فذكر السوى أعدمته بالضرورة
وزكي إذا ما كنت للمال جامعاً   فذلك فعل ينتمي نحو ظهرتي
ألا إن جمع المال مذهب معشر   تعاملهم أهواءهم بالخديعة
أترضى بغير الله في القلب ساكِناً   ألم تعلم أن القلب أشرف بضعةِ
ألم تعلم أن القلب إن كان طاهراً   يسع فيه من قد جلَّ عن شبهيَّة
تعوض من حق بزخرف باطلٍ   لقد حزت يا مغبون أبخس صفقة

ألم تر حال المصطفى في حياته وفيه لراجِ الله أحسن أسوة
هو المصطفى الهادي إلى خير سنَّة وكل فِخار فهو في التبعيَّة
وقد رَغَّب الأصحاب في حال فقرهم وإنهم إذ ذاك دون تقيَّة
وليس الغنا عن كثرة المال إنما يكون الغنا عند النفوس الغنيَّة
وقد قال فيما قال: قد تعس امرؤ يُرَى عبدَ دينار وعبدَ خميصَةِ
وقد قال: إن المال ما لم تزكه يعود شجاعاً ذي انتهاش بعطبة
وكان مُلِذّاً لم يزل فيه مغرماً فما عاد إلا ذي صفاتٍ أليمة
على أنه ما زال للسم حاملاً ولكن نفس المرءِ بالوهم غطّتِ
فجرِّد عن الأغيار قلبك ولتكن مع الحق موصوفاً بنفس شهيدة
وجاهد إذا ما كنت صاحب نجدة قديراً على تلك الأمور المهولة
تقاتل من تلقى كفوراً بربّه فقاتله حتى أن يقول بجزية
ويرضى بأحوال الصغار فعند ذا يكون امرءاً يُعْزَى إلى كل ذمةِ
فيا طالباً جنّات عدن وحسنها تجنها بفقدان الأمور القبيحة
فإياك لا تجزع من الموت إنه حليف إلى الأحياء في كل لحظة
وما هي إلاَّ أن ذاتك طورت بغير الذي تعتاده فاشمأزت
فلو حجبت عن نظرة الطور في النوى لما حزت منها وقعة واستسرت
على أن حزن المرءِ عين سروره إذا لم يلاحظ حال اسم وكنية
جميع الذي يدعى شيء مفصل أراه بذاتٍ بالجميع محيطة
فمني مطموعي ومني طامعي كمثل الذي مني عين صنعة
فمني شهودي ومني شاهدي ومني بلا شك حضوري وغيبتي
وعندي ألقى كل وصف مقدرٍ وعندي بداياتي وعندي نهاياتي
وفي كل حال لا أزال ملاحظاً أرى رغبتي عني كما فيَّ رغبتي
فطوراً أراني عند ذاتي معظَّماً وطوراً أرى نفسي بعين حقيرةِ

وطوراً أراها أهبطت لحضيضها … وطوراً أراها أعليت نحو ذروة
فمني سماواتي وأرضي بما حوت … وعرشي وكرسي وبعضي وجملتي
ومني نجوم نيرات بكنهها … وعندي شموسي كلها مع أهلتي
وأفرض ذاتي بالتوهم مركزاً … وأبعث عني للمحيط أشعتي
وأظهر خطاً دائراً حول مركزي … ومني على ذاتي أعاين دورتي
فما دورة مني أعود لمثلها … فإني وحقي لا أدين برجعتي
فمني إليَّ سيرا إذ أنا سائر … أنا مستقري كالذي أنا رحلتي
واحجُبُني مني فلا وصل أرتجي … وطوراً أرى ذاتي بعين البديهة
فمني سلطاني ومني حاكمي … ومني أعواني ومني رعيتي
وأنجلي أحياناً بما قد حويته … وأظهر أحياناً بكل فُتُوَّة
فطوراً أجد السير نحوي بعزمةٍ … أصير عزمي عند ذاك مطيتي
وأطلب مني الانتقام فعند ذا … أراني مجِدّاً قائماً في حميتي
وأظْهَرْتُ آلاتٍ كمثل مهند … وأسطو على بعضي وأظهرُ غِلظتي
وأظهر دِرْعاً ساتراً جسم لابسٍ … والبسني حيناً لقرع الأسنة
فمني مضروب وضرب وضارب … ومني خذلاني ومني نصرتي
وأفهمني مما أردت تعزُّزاً … وأظهر لي عزمي وبطشي ونخوتي
وأرفق بي حتى أقضي مآربي … إذا رمت إظهاراً بصورة رأفتي
وأعلي مقامي عند ذاتي تكرُّماً … ويعرض لي رأي فأهتك حرمتي
وأظهر في العلياءِ مهما أردته … وأظهر طوراً في القوى المعدنيَّة
وأكفرني حيناً فأدركني به … كما شاء حكمي لأدينُ بملّة
وأؤمن أحياناً بشرعةِ شارع … كموسى فأختار اليهود شريعتي
وطوراً أراني مؤمناً بشريعةٍ … تُضاف لعيسى عابدٌ بكنيسة
وطوراً أراني مؤمناً بمحمد … تمسكت في ذاك النبي بعروة

وطوراً أراني في شرعةٍ متشبهاً ... إلى أحد الأصحاب في عزّ شيعة
أرجح أحياناً مذاهب شيعة ... وأذهب طوراً مذهب الأشعرية
أميل إلى الإرجاء عند مذاهب ... على أنني أنضاف للقدريَّة
وأظهر مني ذلك الحجر الذي ... يُضاف إلى التكريم في عظم صنعتي
وأسكنه في العرش عند صيانة ... فحاز بذاك الأين أعظم رفعتي
فيكتم أسراراً ويبدي عجائباً ... ويأتي بأشكال له هندسيةِ
ويرغب في تقليله لطعامه ... فما عيشهُ إلاَّ بأيسر بلغة
ولكنه في طيبة أيَّ طيبة ... لما حاز من تلك اللآلي النفيسة
فيا أيها الراجي لتحصيله استمع ... إذا ما رجوت الفوز منه بخدمتي
فطهِّر لهذا العلم قلبك ولتكن ... تلازم لتوفيقٍ لأهدى محجتي
فحينئذٍ إن شئت خدمته كما ... أتاها الذي قد حاز أحسن حليتي
فتختار من أهل الفضائل صاحباً ... ترى هتك ستر المرءِ أقبح خلّةِ
صبوراً على الآلام حامل كلها ... بنفس نفيساً للأمور معينة
تفطن لأسرار الهياكل إنما ... بداية هذا الأمر من هيكليَّة
ولا تحجب الأعلى بأكتف ساتر ... فذلك منع للقوى المعدنيَّة
وجد بعزمٍ نحو تحصيل عبده ... لهيكلك المبني أسعد بنيتي
ولا تعده إلاَّ غدا ملائماً ... بأربعةٍ ليست تُرى بالسويَّة
فما هي إلا ناره وهواه ... وماءٌ وأرض فاحتفظ بوصيتي
فأنت إذا جمعته بتناسب ... أتاك طعام ينتمي للمعدويَّة
وغلِّق عليه بابه بتحفظ ... وإياك إذراباً بأصغر كوتي
فيهرب منها دون شك لأنه ... لأميل كل الخلق إليَّ نحو نقلتي
فعند فراغ الأربعين بحكمة ... يصيرُ إذا حجَّاً بحمل الوديعة
فيقتل عبداً لم يزل آبقاً إليَّ ... فينقاد نحو القتل من غير منعة

وتوضع ذاك الجسم وسط سفينة وتجعله في النار من غير ريبة
وتحرقه من بعد ذاك محرقاً وتُنْبِته إنبات سنبل حبَّة
فخذ ذرةً جردتها من شوائب ورُمْ نظم شمل بين عبدٍ وحرّة
فعند اجتماع الأصلِ بالفرع لا تكن تُضِيِّعَ أموراً نِلتها بعد عسرة
ودبِّرهما حتى يصيرا كواحد ويذهب عين الفرق في عين جمعة
فحينئذ قد تمَّ إكسيرك الذي تروم به كل الأمور العجيبة
فينتقل أشْرُباً بوصف مُدَمْدَمٍ بوصفٍ يسما فيه بالذهبيَّة
فسرُّك أبْدَى الاتحاد حقيقة كذاك يكون الأمر في المعنويَّة

* * *

تائية الشيخ السنجاري

حسن بن يوسف مكزون بن خضر الأزدي(*)

[٥٨٣ـ ٦٣٨هـ/ ١١٨٧ـ ١٢٤٠م]

سَررتُ موهِناً نَحوي فأبدَت مسَرَّتي		وحَيَّت فأحييتَني بِحُسنِ التَّحِيَّةِ
ومَنَّت فَمَنَّت في مآبي إلى الحِمى		فُؤادي بِوَصلِ الوَصلِ بعدَ القَطيعَةِ
فـآيَسَنـي بُعـدُ المسـافَـةِ بَيـنَنـا		وتَقصيرِ نَضوُ السَّعي مِن قُربِ أَوبَتي
وأطمَعَني في وَصلِها بَعدَ هَجرِها		تَفَضُّلُها المحجوبُ عَن عَينِ مُنيَتي
وإن حَمَلَتني ناقَتي نَحوَ دارِها		وَصَلتُ وإلاَّ مُتُّ في دارِ غُربَتي
عَزيزَةُ وَصلٍ عَزَّني الصَّبرُ بَعدَها		فقابَلتُ عِزَّ الوَصلِ منها بِذِلَّتي
عَلَقتُ هَواها في الظِّلالِ فعَلَّقَتْ		أمـانِـيَّ فـي إعـراضِـهـا بِـمَـنِـيَّـتـي
ومـا أعـرَضَـت عَـنِّـي وحَقِّ وِصـالِـهـا		لِغَيرِ احتِرامي في الهَوى وخَطيئَتي
ولَـو لَـمْ تَـرَ الإخـلالَ مـنِّـي بِـحَـقِّـهـا		لـمـا مَنَعَتني الوَصلَ وهيَ خَليلَتي
وكُنتُ بها والقَلبُ في قَبضِ بَسطِها		أرى سائِرَ الأكوانِ في قَبضِ بِسطَتي
فأمسَيتُ في لَيلِ الجفا بعدَ وَصلِها		أُرَدَّدُ فـي نـارِ الـجَـوى بَـعـدَ جَـنَّـتـي
إذا أخرَجَتني مِن لِظاها مطامِعي		أُعـادُ بِـيَـأسـي وارِداً نـارَ خـيـفَـتـي
فكَم جَسَدٍ أنضَجتُ في نارِ هَجرِها		وتُـبَـدِّلُـن مِـنـهُ جَـديـداً لِـشَـوقَـتـي

(*) هو الشيخ حسن بن يوسف مكزون بن خضر الأزدي، أمير يعده العلويون في سورية من كبار رجالهم، كان مقامه في سنجار، أميراً عليها. واستنجد به أهل مدينة اللاذقية إحدى أكبر مدن الشاطىء السوري ليدفع عنهم شرور الإسماعيلية سنة ٦١٧هـ فأقبل بخمس وعشرين ألف مقاتل، فصده الإسماعيليون فعاد إلى سنجار، ثم زحف سنة ٦٢٠هـ بخمسين ألفاً وأزال نفوذ الإسماعيليين، وقاتل من ناصرهم من الأكراد، ونظم أمور العلويين ثم تصوف وانصرف إلى العبادة. ومات في قرية كفر سوسة بقرب دمشق وقبره معروف فيها. وله ديوان شعر، وفي شعره جودة.

وكَم كَرَّةٍ كَرَّت علَيَّ بُكورِها تُرَدِّدُني في دَورَة بعدِ دَورةِ
وحَزَّني على ما فاتَ مِن زَمَني بِها يُقَطِّرُ أجفانِي بِتَصعيدِ زَفرَتي
ألمَّت فَلَمَّت بالأسى شَعَثَ الأسى فَأخلَقَ تَجديدُ الأسى ثَوبَ جَدَّتي
وأشفَت بِما شَفَّتِ بِهِ الجِسمَ مِن ضَنَى عَذولي عَلى وُجودي ولَم تَشفِ غِلَّتي
وأهدَت لِعَيني في المنامِ خَيالَها يُعاتِبُ جَفني بالكَرى بعدَ هَجعَتي
وقالوا سَلَوتَ الحُبَّ قُلتُ أعوذُ بالغَرامِ مِنَ السُّلوانِ إلاَّ لِسَلوَتي
فَساءَ فُؤادي بالتَّوَدُّعِ ساعَةً ورَدَّ سُروري بالوُعودِ الجَميلَةِ
ولولا اعتِلاقي في الهَوى بِوعُودِها لَما سلَّمَت مِن لَوعَةِ البَينِ مُهجَتي
دَنَت في عُلاها مِن حَضيضِ مَقامِيَ الـ ـلَذي هَبَطَت نَفسي به بَعدَ رَفعَتي
وأبدا عِتابي لُطفُها بي عَلى الرِّضى بِوَعرِ الفَلا مِن بَعدِ ظَلٍّ الأظَلَّةِ
ولاحَت بِمَعناها لِعَيني صورَةً وما اقتَرَنَت عِندَ الظُّهورِ بِصورَةِ
وما انتَقَلَت عَن كَونِ تَجريدِ ذاتِها وإن شوهِدَت في حِلَيةٍ مِثلِ حِليَتي
تَعَلُّبُ أبصارَ الوَرى وقُلوبَهُم إذا استَتَرَت بَعدَ الظُّهورِ بِغَيبَةِ
لِيَعرِفَها في البَدوِ مَن كانَ عارِفاً ويُنكِرُها ذو الجَهلِ أوَّلَ مَرَّةِ
وتُظهِرُ في حالِ المُكافاةِ فَضلَها على عَدلِها في مُستَحَقِّ العُقوبَةِ
حَكاني على طَورِ التَّجَلّي صَفاؤُها فكانَت لِعَيني في جَلا العَينِ جَلوَتي
فَما شَهِدَتهُ العَينُ مَعنىً فَذاتُها ومِن هَيئَةٍ فهيَ المِثالُ لِهَيئَتي
حَميتُ حِمى سَمعي بها عَن عَواذِلي بِصِدقِ مُوالاتي لَها وحَمِيَّتي
وعاصَيتُ فيها العاذِلاتِ وَلَيتَها عَلى بَعضِ ما أمَّلتُ مِنها مُطيعَتي
وأصبَحتُ مِن وَجدي بها وتَتَيُّمي أرى عَبدَها في الحُبِّ مَولًى لِنِعمَتي
وَوِفقاً غَدا قَلبي لَجامِعُ حُسنِها فأضحى لها منّي تَفاصيلُ جُملَتي
فصُنتُ صبَاباتِي بها عَن أقارِبي وأخفَيتُ أمراضي بها عَن أطبَّتي
وما بُحتُ بالمَستورِ تَحتَ خِمارِها إلى مائِلٍ في الحُبِّ عَن نَهجِ مِلَّتي

وما الصَّومُ في شَرعِ الهَوى غَيرُ صَونِ ما ... تَحَمَّلَ الحُبّ عن كُلِّ مَيِّتِ
وباعَدتُ فيها الأقرَبينَ مقارِباً ... عَلى حُبِّها أهلَ الشُّعوبِ البَعيدَةِ
وهاجَرتُ فيها الهاجرَينِ لحُسنِها ... وواصَلتُ فيها المولعينِ بِلَوعَتي
وجاهَدتُ فيها النفسَ حقَّ جِهادِها ... بِصَبري على ما سَرَّها مِن بَلِيَّتي
وفي الصَّومِ أدَّيتُ الزَّكاةَ لأهلِها ... وفي شَعبِهِم أخرَجتُ في الفِطرِ فِطرَتي
وقُمتُ بِأحكامِ الفَرائِضِ ظاهِراً ... وأتبَعتُها بالنَّفلِ بَعدَ الفَريضَةِ
ووَالَيتُ مَن والى ذَوِيَّها مادِياً ... على الحُبِّ مَن عادى وَلِيَّ وَلِيَّتي
ودُنتُ كما دانَ الدُّعاةُ لِحُسنِها ... بِخَلعِ التُّقى فيها ولَيسَ التَّقِيَّةِ
ولمَّا تَمادَت بيننا مُدَّةُ النَّوى ... وضاقَت بِحالي في التَّباعُدِ حيلَتي
جَعَلتُ صَلاتي في الغَرامِ بِذِكرِها ... إلى وَصلِها بَعدَ القَطيعةِ وَصلَتي
وطَهَّرتُ أعضائي بِعِرفانِ مَن عَلى ... مَراتِبُهُم في عالَمِ العِشقِ دَلَّتِ
وَوَجَّهتُ وَجهي في اتِّجاهي لِوَجهِها ... فَمِن حَيثُ ما استَقبَلتُها فَهِيَ قِبلَتي
إلَيها أُصَلّي قانِتاً لِمُفيضِها ... بِأسمائِها الحُسنى التَّثَبُّتِ
وحينَ رَأى عُشّاقُ سَلمى تَسَنُّني ... بِسُنَّتِها صاروا كما شِئتُ شيعَتي
تَجَلَّت فَجَلَّت ظُلمَةَ السُّخطِ بالرذى ... وحَلَّت فَحَلَّت مُرَّ عَيشٍ أمَرَّتِ
فأقبَلَ إقبالي بِها حِينَ أقبَلَت ... وأدبَرَت لِما أدبَرَت وَجهُ لِذَّتِي
وأبدَت لعَيني في دُجى السّترِ نارَها ... لِيَكشِفَ عَنّي نورَها حُجب غَفلَتي
فصِحتُ بأصحابي إمكُثوا عَلَّنا نَرى ... هَدانا عَلى الأنوارُ مِن نارِ عَلوَةِ
ولَمَّا نَزَلنا وادِيَ القُدسِ أشرَقَت ... عَلَينا شُموسُ الإنسِ مِن بَعد وَحشَةِ
فبَشَّرَني بالبِشرِ قَلبي وعِندَما ... دَعَتني بِعَبدٍ صِرتُ مَولى لِرِفقَتي
فَلَبَّيتُ داعِيها وأسرَعتُ نَحوَها ... وجِئتُ صَحابي مِن سِناها بِجَذوَةِ
وما كُنتُ لضو لَم تهدِني لِسَبيلِها ... بِمُهدي الهدى لِلناسِ مِن بَعدِ ضَلَّةِ
ولَمّا وَرَجنا ماءَ مَدينَ حَبِّها ... وجَدنا عَلَيهِ لِلهُدى خَيرَ أُمَّةِ

يَذودونَ عَنهُ كُلَّ سالٍ عَنِ الهَوى ويَسقونَ مِنهُ كَلَّ صَبٍّ بِصَبوَةِ
فَنِلتُ بِهِم عَلَّاً[1] على نَهلِ الهَوى وقَد كُنتُ أرجو أن أفوزَ بِنَهلَةِ
ومَلتُ عَلى رِيٍّ إلى الظِّلِّ إبتَغى غِنى الفَقرِ مِن ذاتِ العَطايا السَّنِيَّةِ
مُحَجَّبَةٌ لمّا احتَلَفَت بِجَلالِها عَنِ الوَهمِ أبداها الجَمالُ لِمُلَّتي
وما احتَجَبَت عَنّي بِغَيري ولا بَدَت بِغَيرِ حِجابٍ عِندَما لي تَبدَّتِ
فأثبَتُ في مَحوِ العَيانِ عَيانُها بَنَفِي حُدودِ الأينِ في حالِ رؤيَتي
وأشهَدني غَيبي حُضوراً وغَيبَةً وحاشا لَها مِن غَيبَةٍ بَعدَ حَضرَةِ
ولكِن كَلال الطَّرفِ بالسَّقمِ في الهَوى أراني مَغيبي في شهادَتِي الَّتي
وإن ضِياءَ الشَّمسِ عِندَ طُلوعِها لَمُحتَجِبٌ عَن كُلِّ عَينٍ عَمِيَّةِ
وشاهِدُ عَيني في عَياني لذاتِها كَذاتي شَهيدٌ في حُضورٍ وغَيبَةِ
وإن كذَبَ النَّفسَ العَيانُ لِعَينِها تَبَصَّرتُ في رُؤيا الكَرى بِرَوِيَّتي
وأيقَنتُ أنَّ اللُّطفَ مِنها دَنا بِها خَيالاً لِعَيني بالكَرى بعدَ هَجعَتي
فَجَرَّدتُ مَعناها المُصَوَّرُ إذا بَدا كَصُورَةٍ حَدٌّ الأينِ عَن كُلِّ صُورَةِ
ونَزَّهتُ عَن كَونِ المكانِ كَيانَها وأوصافَها عَن رُؤيَةِ الحَدَثِيَّةِ
وأعطَيتُ مَعناها التَّقَدُّمَ في الهَوى عَلى نورِها المَوصوفُ بالأزَلِيَّةِ
وأفرَدتُهُ مِن غَيرِ فَصلٍ ولَم أقُل مَعَ الوَصلِ إنَّ النورَ غَيرُ المُنيرَةِ
أُقيمُ لها وَجهَ الزَّمانِ مُصَلِّياً بِتَوحيدِها في ذاتِها الصَّمَدِيَّةِ
وأثبِتُ في المِثلِ الظُّهورَ إذا إخـ ـتَفى المِثالُ وأنفي مَزجَه بالهَوِيَّةِ
وأنكرُ مِن لَيلى الحُلولَ بِحِلَّةٍ تَرحلها عَنّا مَطايا المَنِيَّةِ
ولَستُ كمَن أمسَى على الحُبِّ كاذِباً مُضلاً لأصحابِ العُقولِ السَّخيفَةِ
يَمين عَلى الجُهّالِ مِن عُصبَةِ الهَوى بِنَسبَتهِ في الحُبِّ مِن غَيرِ نِسبَةِ

(١) العلَلَ: الشَّربة الثانية. والفعل: عَلَّ.

ويوهِمُ وَصلاً مِن سُلَيمى وقَد رمَى بهِ التيهُ عنها مُبعِداً بالرَّمِيَّةِ
ويَزعُمُ طَوراً أنَّهُ عَينُ عَينِها ويُنكِرُ طَوراً أنَّها فيهِ حَلَّتِ
ويُمسي لها عَبداً بِدَعواهُ في الهَوى ويُصبِحُ مَولاها بِغَيرِ مَزِيَّةِ
فيَجمَعُ ما بينَ النَّقيضَينِ جَهلُهُ وذَاكَ مُحالٌ في العُقولِ الصَّحيحَةِ
ويَعدِلُ عَن عَدلِ الهَوى بادِّعائهُ اتـ ـحاداً لأعيانِ الوُجودِ الكَثيرَةِ
وكَيفَ يَصِحُّ الاتِّحادُ وشاهِدُ الـ ـعَيانِ عَلى الأضدادِ بَعضُ الأدِلَّةِ
وما الحَقُّ إلاَّ ما أقولُ فإنْ تُرِد زَوالَ الصَّدى رُد في الغَرامِ شَريعَتي
وخُذ في الهَوى عَنِّي حَديثَ هَوى الَّتي مُحسِنُها عَن أَلسُنِ الوَصفِ جَلَّتِ
بَديعَةُ حُسنٍ دَقَّ مَعنى جَمالِها وعَنها بَدَت كُلُّ المَعاني الدَقيقَةِ
قَضى جودُها فَيضَ الوُجودِ فأظهَرَتْ مَشيَّتها قِدماً حِجابَ المَشيئَةِ
فقامَ لَهُ مِن نورِهِ بابُ رَحمَةٍ بَدَت عنهُ ذاتَ الرُّتبَةِ الألفِيَّةِ
فكانَ بهِ كَونُ النَّقيبِ وعَن سَنا نَقيبِ الهُدى صارَ انتِجابُ النَّجيبَةِ
وعَنهُ بدا مُختَصٌّ عالَمِ قُدسِها وعَنهُ تُبَدّى مُخلِصٌ في المَحَبَّةِ
ومُمتَحَنُ الحُبِّ الذي كَونُهُ بَدا بِمَخلِصِها أبدى الفُطورَ لِفِطرَتي
وأتقَنَ بالإقدارِ مِن ربَّةِ الخَبا صَنائِعَ ما شاءَت بِغَيرِ رُوِيَّةِ
بِدَورٍ بدَت مِن غَيرِ نَقصٍ لِهَدينا إلى عودِ أعيادِ اللِّقا كالأهِلَّةِ
وأبدَت سِراراً في العُيونِ ولَم تَزَل على الأوجِ في أُفُقِ البُروجِ العَلِيَّةِ
ولَم تَسكُنِ الأجسامِ عِندَ ظُهورِها لأبصارِنا بالصورَةِ البَشَرِيَّةِ
ولا خَذَلَتْ بالقَهرِ بعدَ انتِصارِها ولا عَجَزَت في ذاتِها بَعدَ قُدرَةِ
أدِلَّةُ قَلبي في هَوى مَن بِحُسنِها على حُسنِها كُلُّ الأدِلَّةِ دَلَّتِ
ولَو لَمْ تَكُن عَينَ الدَليلِ لِعَينِها وحُجَّتها لَمْ تُبدِ فيها مَحَجَّتي
ولَستُ دَعِيّاً بانتِسابي إلى الهَوى وقَد ثَبَتت عِندَ المُحبّينَ نِسبَتي
فإن شِئتَ أن تَحظى بِحَلِّ رُموزِنا عَقدتُ عَلَيهِ في الغَرامِ عَقيدَتي

فَلُذْ بأمينٍ لِيَميلُ عَنِ الهَوى يُبِن لَكَ بعدَ الغَيِّ رَشدَ طريقَتي
فإنْ تَغدُ مَولوداً لهُ رُحتَ والِداً لِنَفسي بِمَفهومِ الغَرامِ تَزَكَّتِ
ومَن قَطَعَ الأميالَ في حُبِّ عُلوَةٍ تَناهى إلى ميقاتِ أهلِ المَحَبَّةِ
ولما يَنَل عنِ الوِصالِ وِصالَها مُيَمِّمُها إلاَّ بِعَقرِ المَطِيَّةِ
وما الحَجُّ في شَرعِ الهَوى غَيرَ صورَةٍ تُعَبِّرُ عَن كَونِ المَعاني الخَفِيَّةِ
سَبيلَ الهُدَى لِسالِكينَ سَبيلَهُ وأمياله وأقمارِ شَمسِ الأُبُوَّةِ
وخَيرُ دَليلٍ للرَّشادِ دَليلُهُ وصُحبَتِهِ للمُهتَدي خَيرُ صُحبَةِ
وزَادَ التُّقى عِندَ المُحِبِّينَ زادَهُ ومَركوبُهم فيها مَطايا العَزيمَةِ
ومَشعَرُهُ المستورُ عَن غَيرِ شاعِرٍ بما اقتَرَحتهُ بالغَرامِ قَريحَتي
وفي حِجرِهِ حَجرٌ على كُلِّ لائِذٍ بِهِ أن يُوالي عُصبَةَ العَصَبِيَّةِ
صَفاهُ صَفاءُ القَلبِ مِن كَدَرٍ بِهِ ومَروتُهُ فيها كَمالُ المُروءَةِ
وزَمزَمَهُ ميمٌ طَميسٌ بِمائِها يزيلُ الصَّدى عَن كُلِّ نَفسٍ زَكِيَّةِ
وكَعبَتُهُ ميمٌ بِنارِ بَياضِها اسـ تَعَدَّتِ لإبصارِ الجَمالِ بَصيرَتي
وغايَتُهُ عَن غايَةِ الحُسن ظاهِرٌ لِباطِنِهِ المَحجوبُ عن كُلِّ مُقلَةِ
وإنِّي لَمِمَّن حَجَّ كَعبَةَ حُسنِها وأكمَلَت حجّي في هَواها بِعُمرَتي
وفي عَرَفاتِ الوَصلِ عَرَّفَني الهَوى مَقامَ ازدِلافي في الغَرامِ بِزُلفَتي
وإنِّي لَفي أوجِ الغَرامِ بِحُبِّها وإن سَفَّهُ الجُهّالُ بي نَقصُ رُتبَةِ

❁ ❁ ❁

تائية الشيخ

إبراهيم بن عبد العزيز الدسوقي(*)

[٦٣٣ـ ٦٧٦هـ]

تجلَّى ليَ المحبوبُ في كلِّ وجهة ... فشاهدتهُ في كلِّ معنى وصورة
وخاطبني منّي بكشفِ سرائري ... فقالَ أتدري مَنْ أنا قلتُ مُنيتي
فأنتَ مُنائي بل أنا أنتَ دائماً ... إذا كنتَ أنتَ اليومَ عينَ حقيقتي
فقالَ كذاكَ الأمرُ لكنّهُ إذا ... تعيَّنت الأشياءُ كنتَ كنسختي
فأوصلتُ ذاتي باتحادي بذاتِه ... بغيرِ حلولٍ بل بتحقيقِ نسبتي
فصرت فناءً في بقاءٍ مؤبد ... لذات بديمومية سرمدية
وغيَّبني عني فأصبحتُ سائلاً ... لذاتي عن ذاتي لشغلي بغيبتي
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً ... لذاتي بذاتي وهي غايةُ بغيتي
فأغدو وأمري بين أمرين واقف ... علومي تمحوني ووهمي مثبِّتي

---

* هو الشيخ العارف بالله تعالى شيخ الطريق سيدي برهان الدين إبراهيم بن عبد العزيز الدسوقي القرشي رضي الله عنه، وهو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق، وكان من صدر المقربين، وكان صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة ومآثر ظاهرة وبصائر باهرة وأحوال خارقة وأنفاس صادقة وهمم عالية. وهو أحد من أظهره الله عزَّ وجل إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات وصوّمه في المهد رضي الله عنه، وله كلام كثير على لسان أهل الطريق.

وكان يتكلم بالعجمي والسرياني، والعرباني، والزنجي، وسائر لغات الوحوش والطيور، وله كلام كثير عال على لسان أهل الطريق.

ومن كلامه: من لم يكن متشرّعاً متحققاً نظيفاً عفيفاً فليس من أولادي، ولو كان ابني الصلبي، وكل من كان من المريدين ملازماً الشريعة، والحقيقة، والطريقة، والديانة، والضيافة، والزهد، والورع، وقلة الطمع، فهو ولدي، وإن كان من أقصى البلاد.

وكان يقول: لا يكمل الفقير حتى يكون محبّاً لجميع الناس، مشفقاً عليهم، ساتراً لعوراتهم، فإن ادَّعى الكمال وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذبٌ.

خبأت له في جنة القلب منزلاً ... ترفَّع عن دعد وهند وعلوة
أنا ذلكَ القطبُ المباركُ أمرُه ... فإنَّ مدارَ الكلِّ مِن حولِ ذروتي
أنا شمسُ إشراقِ العقولِ ولم أفُل ... ولا غبتُ إلاَّ عن قلوبٍ عميَّة
يروني في المرآة وهي صدية ... وليس يروني بالمرآةِ الصقيلة
وبي قامتِ الأنباءُ في كلِّ أمة ... بمختلفِ الآراءِ والكلُّ أمتي
ولا جامعٌ إلاَّ وَلِي فيهِ منبر ... وفي حضرةِ المختارِ فزتُ ببغيتي
وما شهدتْ عيني سوى عينِ ذاتِها ... وأنَّ سواها لا يلمُ بفكرتي
بذاتي تقومُ الذاتُ في كلّ ذروة ... أجددُ فيها حلةً بعد حلة
فليلى وهند والربابُ وزينب ... وعلوى وسلمى بعدَها وبثينة
عباداتُ أسماء بغيرِ حقيقتي ... وما لوحُوا بالقصدِ إلاَّ لصورتي
نَعَمْ نشأتي في الحبِّ مِنْ قبلِ آدمَ ... وسِرّي في الأكوان مِن قبلِ نشأتي
أنا كنتُ في العلياء مع نورِ أحْمَد ... على الدرّة البيضاءَ في خلويتي
أنا كنتُ في رؤيا الذبيح فداؤهُ ... بلطفِ عنايات وعين حقيقتي
أنا كنتُ مع إدريس لما أتى العُلا ... وأسْكِن في الفردوس أنعم بقعة
أنا كنتُ مع عيسى على المهد ناطقاً ... وأعطيت داوداً حلاوة نعمة
أنا كنتُ مع نوح بما شهد الورى ... بحاراً وطوفاناً على كف قُدرة
أنا القطبُ شيخ الوقت في كلِّ حالة ... أنا العبدُ إبراهيمُ شيخُ الطريقة

* * *

تائية الشيخ

العز عبد السلام المقدسي(*)

[... - ٦٧٨ هـ]

قال قدّس الله روحه ونوّر ضريحه:

شَهِدْتُ بعينِ القلبِ في حانِ حَضرتي	حبيباً تجلّى للقلوب فحَنَّتِ
سقاني كأساً من مُدامةِ حُبّهِ	فكانَ من السّاقي خُماري وسَكرتي
وخاطَبني سرّاً فنادَيْتُ مُعلناً	إليَّ عبادَ الله فُزتُ بِبُغْيَتي
وغبتُ في الأكوانِ شُغلاً بنَشوتي	وتِهتُ على العشّاق عُجباً بِصَبْوَتِي
شُغِلْتُ بمن أضحى فؤادي مَحلَّه	ولم يَكُ شُغلي بالرَّباب وعَلْوَةِ
ولم تَرْضَ روحي بالدَّناءةِ إنَّما	إلى عالَم المعنى زَمَمْتُ مَطيَّتي

(*) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية [١٣/ ٢٨٩]: «هو الشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين، عز الدين أحمد الأنصاري المقدسي الواعظ المطبق، الشاعر الفصيح المفلق، نَسَجَ على منوال ابن الجوزي وأمثاله».
وقال الذهبي عنه: «أحد المبرزين في الوعظ والنظم والنثر، توفي بالقاهرة في شوال سنة ٦٧٨هـ ١٢٧٩م، ودفن في مقبرة باب النصر، ولم يبلغ الخمسين سنة من العمر» [العبر في خبر من عبر للذهبي ٥/ ٣٢١، وذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٥ لليونيني].
ترك مؤلفات عدّة، منها:
شرح حال الأولياء ومناقب الأتقياء، وإصطلاحات الصوفية، ونزهة اللواحظ في التصوف والمواعظ، وتفليس إبليس، والفتوحات القلبية في الأسرار الغيبيّة.
فائدة: لا بد من التنبيه على أن الشيخ العز عبد السلام المقدسي هو غير الشيخ العز بن عبد السلام السلمي المعاصر له والملقب بسلطان العلماء، والمشهور بعز الدين، وهو فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، وتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي ثم الخطابة بالجامع الأموي. ولما سلم الصالح إسماعيل قلعة صفد للصليبيين اختياراً، أنكر عليه ابن عبد السلام، ولم يدع له في الخطبة، فحبسه ثم أطلق سراحه فخرج إلى مصر سنة ٦٣٩هـ فولّاه نجم الدين أيوب القضاء والخطابة، ثم اعتزل ولزم بيته، إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هجرية ـ ١٢٦٢م. (الأعلام للزركلي ٤/ ٢١).

فشاهَدْتُ معنًى لو بدا كشفُ سِرِّه ... لِصُمِّ الجبالِ الراسياتِ لَدُكَّت
على طُورِ قلبي كان مِيقاتُ قُربتي ... وفي قابِ قوسَيْ الحبيبِ تجلَّتِ
فلاحَ على الأشباحِ منها جلالُه ... وفاحَ على الأرواح عطرُ نُسَيْمَتِي
ودبَّتْ إلى الأسرارِ منها لَطيفةٌ ... فغابَتْ صفاتي دونَها حين دبَّت
وأبدتْ ليَ الأنوارَ من شَفَقِ الرِّضا ... فلاحَتْ لي الأسرارُ من غيب فِكرتي
قرأتُ بها سطراً رأيتُ حروفَهُ ... تُتَرْجِمُ عن تلكَ العهودِ القديمةِ
فما قَدُمَتْ تلكَ العُهودُ وإنَّني ... مُقيمٌ على عَهدي القديمِ وذِمّتي
جعلتُ فؤادي كعبةً لجمالهِ ... فَثمَّ طَوافي إذْ حَجَجتُ وعُمرتي
وصَفْوُ وِدادي فيه يُغني عن الصَّفا ... وسَعْيي إلى ذاك المقامِ ووقَفتي
وفي حُبِّه فَرْضي ونَفْلي وسُنَّتي ... ومن أجْلِه ذُلِّي وفَقْري وكَسرتي
فلولا افتقاري ما غَنِيتُ بِبُغيتي ... ولولا انكساري ما ظَفرْتُ بِمُنْيَتِي
ولولا متغيبي ما شَهِدْتُ مُنادمي ... ولولا انفرادي ما أنستُ بوحدتي
فَنائي به ذاكَ البقاءِ بِعَينِه ... وسُقْمي به في الحُبِّ عنوان صحَّتي
فإنْ كنتَ يوماً للمحبةِ مُدَّعي ... فَمُتْ واحترقْ واذهبْ وذُبْ وتَفَتَّتِ
وَرِدْ مَوْرِدَ العشّاق عندَ مَليكِهمْ ... وفي المقعدِ الصِّدْقِ العَلِي تَثَبَّتِ
فكم قد أناخت للوصولِ رِكابُهم ... وفي المنهلِ العذبِ الروي تَردَّت
ولمّا بدا من حضرةِ القُدسِ نورُها ... ولاحَتْ لهاأعلامُها فترَقَّتِ
رأتْ سِرَّ ما لا يُدْرِكُ الحِسُّ وَصْفَه ... ويُدركهُ غيرُ القلوبِ السليمة
تَزيغُ له الأبصارُ عندَ شُهودِهِ ... وتَشهدُه الأبرارُ عند التَلَفُّتِ
به عَربدَ العُشّاقُ سُكراً بجمعهِم ... وما شَربوا في الحبِّ إلاَّ بَقِيَّتي
فَسُكري به صحوٌ وموتي به بَقا ... وحُبّي له حبٌّ يقوم بحُجّتي
ولي في الهوى سرٌّ يَدِقّ عن السُّها ... وتفصيلُ ما فيه يُعَدُّ بجملتي
خلعتُ عِذاري واشتهرتُ بحبّهِ ... وبِعْتُ وقَاري واشتغلتُ بمحنتي

فمن كان غِرّاً بالغرام فإنني ... إلى حانةِ الخمَّار وَجّهْتُ وِجْهَتي
وعاقَرْتُ نُدمانَ الخلاعةِ بُرهةً ... ومن وجهِ ساقي الكأسِ جدَّدتُ سكرتي
وَجُدْتُ لجلّاسي بما ملكَتْ يدي ... وأعددت إفلاسي لعزّي وثروتي
فما الحُبُّ إلاَّ أن أكونَ مُوَلَّهاً ... ولا الوَجْدُ إلاَّ أن أجودَ بمهجتي
ولا راحةً إلا لِقا مَن أُحِبُّهُ ... ولا العيشُ إلاَّ أنْ أموتَ بِغُصَّتي
وليس محبّاً مَن أتى مُتَستِّراً ... يُمَوِّهُ عن لَيْلاه يوماً بِعَزَّةِ
فَبُحْ واسترِحْ واخلَعْ عِذارَكَ وافْتَضِحْ ... ونادِ على الأشهادِ جَهْراً وصَوِّت
فهذا مَقامي في المحبة فاستَمِعْ ... أسانيدَ أشواقي وشَرحَ طَوِيَّتي
ففي بَثِّ ما أرويهِ حليَةُ أدمعي ... وصَفوةُ أسراري ومِنهاجُ سِيرتي
فخذها أحاديثاً صحاحاً جَمعتُها ... بموقف أحبابي وصِحةِ رحلتي
وكم لفقيه العشق ناظَرْتُ في الهوى ... فَسَلَّمْ بقولي واستَسنَّ بسُنَّتي
فيا معشرَ اللُّوّام مهلاً فإنني ... رَضيتُ على حكمِ الغرامِ بشرعتي
وبُحْتُ اشتهاراً ثمّ نادَيْتُ معلناً ... ألا يا عبادَ الله هذي سَجِيَّتي
فمن شاءَ فليَعْذُرْ ومن شاء فَلْيَلُمْ ... فلا خيرَ في حبٍّ يُعابُ بِعُجْمَةِ
ومَنْ يكُ بالمعنى جَهولاً فإنه ... سيُنْكِرُ ما أعْرَبْتُ في شرح قِصَّتي
ولم يَدْرِ ما العشقُ القَتولُ ولا الجوى ... ولا الشوقُ إلاَّ مَن بُلِي بِبَلِيَّتي
ومن لم يَذُقْ حُلْوَ الغرامِ ومُرَّهُ ... ويَمزِجُ صَفْوَ العيشِ منه بجَفْوَةِ
فليسَ له في عالَمِ العشقِ رتبةٌ ... ولا نسبةٌ في الحُبِّ يوماً كنسبتي
فَعَدِّ عن الغِرّ الجهولُ وخَلِّني ... أذوبُ غراماً بين سُكري وصَحوتي
وإن فَنِيَتْ روحي عليه صَبابةً ... ففي حانةِ الخمَّارِ فَلْتَكُ تُرْبَتي
عسى يَسمحُ الساقي عليَّ بشُربةٍ ... تُطَهِّرُ عِصيَاني وتَغْسِلُ حُوبَتي
وإن يَكُ في ثوبِ الخلاعةِ مُدْرِجي ... فيا طيبَ أكفاني ويا حسن تربتي
وإنْ صاحَ إسرافيلُ عشقي بذكرهِ ... يُلبيّهِ جثماني الرَّميمُ بحُفرتي

وَيُنفخُ صُورُ الوصلِ في برزخِ الرِّضا فيُنشرُ ميتُ الهجرِ من بعدِ مُهلةِ
هناك أُعيدَتْ روح قُربي وراحتي وفي مَعرَكِ العشاقِ قامت قيامتي
وإنْ يَدعُ يوماً كلُّ قومٍ إمامَهم فسلطانُ حبّي في القيامة قُدْوَتي
ويُنصَبُ للعشاقِ عند لقائِهم لواءٌ به وُزّنتُ عُقْدةَ عُروَتي
يسيرون رُكباناً على نُجب الصَّفا يقابلُ كلاًّ منهمُ بتحيةِ
وإني إذا حانَ اللقاءُ وضَمَّنا مقامٌ وطال الحشرُ ثمَّ ووَقفتي
ونادمني من كنتُ أرجو لقاءَهُ وساءَلني عن قصّتي وشَكيَّتي
تمنَّيْتُ إلاَّ يُفْصلَ الحُكمُ بيننا ولا تنقضي يومَ الحسابِ قضيَّتي
إذا كان من أهواهُ ثَمَّ مُسائِلي فلا طُوِيَتْ عند العِتابِ صحيفتي
فما القصدُ إلاَّ أن يكونَ مُخاطبي لِتَسكُن بلْوايَ وتبردَ غُلَّتي
فيا حبّذا ذاكَ الحديثُ وطيبهُ ولو كان فيه سُبَّتي ومَذمّتي
فلا هِمَّتي في تِلكمُ الدارِ تبتغي نعيماً ولا في جنةِ الخُلدِ رَغبتي
وما لي وللولْدانِ والسُّرُرِ التي تَسُرُّ وما نَفعي بِحُوري وغُرفتي
ولا جنةُ الرِّضوانِ أرضى نَعيمَها إذا لم أفُزْ عندَ اللّقاءِ بِنظرةِ
فأنتَ نَعيمي إنْ وصلتَ وجَنّتي وأنتَ جَحيمي إنْ هَجَرتَ وشِقوتي
وأنتَ من الدارينِ قصدِي وبُغيتي وأنتَ على الحالين ذُخري وعُدَّتي
إذا استَوْحَشَتْ مني الديارُ وأهلها فأنتَ على التحقيقِ مُؤْنسُ وَحشتي
فلا نظرةٌ إلاَّ وأنتَ مُشاهدِي ولا خَطرةٌ إلاَّ وأنت بحضرتي
وأنت الذي لولاكَ ما عُرِف الهوى ولا عَلِقَتْ أيدي النَّوى بأزِمَّتي
وأنتَ الذي لولاكَ ما غُرِسَ الجَوى بقلبِ كَئيبٍ بالغرامِ مُفَتَّتِ
وأنتَ الذي شَتَّتني عن مُؤالِفِي سواكَ كما جَمَّعتَ فيكَ تَشتُّتي
وأنتَ الذي ما صِحتُ إلاَّ أجَبْتَنِي ولا بُحتُ إلاَّ كُنتَ مَغنى رَويَّتي
ولا أُبتُ إلاَّ كنتَ قابِلَ أوْبَتي ولا غِبتُ إلاَّ كنتَ شاهدَ غيبتي

ولولاك ما طابَ الغرامُ لعاشقٍ ... ولا بلغتْ أرواحُنا ما تمنَّتِ
ولولاك ما استحلى الهوى ذو صبابةٍ ... وراقَ له في حُكمِها ما استحلَّتِ
وما حاجِرٌ لولاكَ ما رَملةُ النَّقا ... ولولاكَ ما كانت بنجدٍ تَعِلَّتي
ولولاك ما ناجيتُ وَرْقاءَ أيْكَةٍ ... بسجعٍ ولا طارَحْتُها بِطَويتي
ولولا الهوى لم أسْقِ للعيشِ عَبرتي ... ولولا الجَوى ما أحرقَ النارُ زَفرتي
فيا مِحنتي يا مُنْيَتي يا بَلِيَّتي ... لغيرِك لا والله ما اخترتُ ذِلَّتي
ولا سَمَحت نفسي النفيسةُ أنْ تَرى ... هواناً ولكن ذلك الذلُّ عِزّتي
فرِفقاً بأرواحٍ تَذوبُ صَبابةً ... عليكَ وجادَتْ بالنُّفوس النَّفيسةِ
وألْقَتْ على أبوابِ جُودِك رَغبةً ... عصاها وفي ذاك المقامِ استقرَّتِ
ولما دَعاها للغرامِ مُذِيبُها ... فحنَّت وأنَّتْ واستقرَّتْ ولبَّتِ
ولولا رجاءُ الوَصلِ منكَ لما سَرتْ ... إليكَ ولولا حبُّها ما تَغنَّتِ
وليس لها إلا عليكَ مُعَوَّلٌ ... فلا تَحرِمَنْها نظرةً عند زَوْرَةِ
وكم قد لَحاها العاذلون جهالةً ... فما ظَفروا في الحبِّ منها بِسَلوة
وكيف لها من سَكرةِ الحبِّ مَخْلَصٌ ... وقد جُرِّعَتْهُ جرعةً بعد جرعة
سقاها الهوى كأسَ الغرامِ فعَرْبَدتْ ... وراوَدها ساقي المدامِ فهَمَّت
وقابَلَها من يوسُفِ الحسنِ شاهدٌ ... وحَلَّ فَغِيضَ الصبرُ عنها فقُدَّت
وورَّتْ عن الحبِّ المبرِّح والأسى ... بهزلٍ فلمّا حَصْحَصَ الحقُّ جَدَّتِ
ونادَتْ على الأشهادِ جَهراً أناالذي ... رَضيتُ بِعاري واشتَهرتُ بِعشقتي
فيا شِقْوَتي وا حسرتي وا رَزِيَّتي ... إذا لم أرى ذاك الجمالَ بِمُقلتي
ولما رأيتُ الدّهرَ قصَّرَ عَزْمَتي ... جعلتُ إلى أبوابِ جودكِ هجرتي
وهاجرتُ لا أخشى الملامَ يَصدُّني ... ولكنْ على عِرفانِ حبِّكَ وَقفتي
وإنْ أنتَ لم تَغفِرْ ذنوباً جَنيتُها ... فما حيلتي يومَ العتابِ وحُجَّتي
وها أنا قد أنْهَيْتُ قصّةَ غُصَّتي ... فوَقِّعْ بفضلٍ منكَ غُفرانَ زَلَّتي

وقال رضي الله عنه:

دولـةُ الـهـجـرانِ عَـنّـا ارتـحَـلـتْ ... وأُوَيْـقـاتُ الـرِّضـى قـد أقـبـلَـتْ
بَـشِّـروا الـمـقـبـولَ مـنّـا أنّـه ... روحُـه نـحـوَ الـمـعـالـي قـد عَـلَـتْ
حُـقَّ لـلـمَـطْـرودِ عـن حـضـرتِـنـا ... أنْ يُـعَـزّي نـفـسَـه إذْ سَـفُـلَـتْ
خـطَـرتْ نـسـمـةُ ذيّـاكَ الـحِـمـى ... طَـيُّـهـا طِـيـبُ الـشَّـذا إذْ حُـمِّـلَـتْ
هَـمْـهَـمـتْ سِـرّاً بـأسـرارِ الـهـوى ... فـفَـهِـمـنـا سِـرَّ مـا قـد نَـقَـلَـت
فـادْخُـلـوا الـحـانَ فـقـد حـانَ لـنـا ... واسـمـعـوا الألـحـانَ مـنـهـا رُتِّـلَـتْ
مـا رأتْ عـيـنـايَ أحـلـى مـنـظـراً ... مـن فـتًـى أوصـافـهُ إذْ كَـمُـلَـتْ
أقـبـلَ الـمـولـى عـلـيـه فَـجَـلا ... صـفـوةَ الـكـأسِ لَـديـهِ فـانـجـلَـت
وتـجـلّـى فـي دُجـى الـلـيـلِ لـه ... وأزالَ الـحُـجـبَ لـمـا أُسْـبِـلَـت
مُـتْ مُـحِـبّـاً فـي هَـواهُ هـكـذا ... سُـنّـةُ الـحـبِّ ومـا إنْ بُـدِّلَـت
وإذا وافَـيْـتَ أيـامَ الـلِّـقـا ... وتَـرى الأنـفُـس عـن ذا سُـئِـلَـت
قُـلْ أنـا الـمـقـتـولُ فـي حـبِّـكـمُ ... فـبِـأيِّ الـذنـبِ فـيـهِ قُـتِـلَـت
شِـرْعَـةُ الإنـصـافِ عَـدْلٌ فَـلِـمـا ... يـا مـلـوكَ الـحُـسـنِ عـنّـا عَـدَلَـت
إنْ يـكـن ذَنْـبٌ فـدَمـعـي شـافـعـي ... وشَـفـاعـاتُ دُمـوعـي قُـبِـلَـت

وقال أيضاً عفا الله عنه:

يـمـيـنـاً بـأجـفـانـي الـذّاريـاتِ ... عـلـيـكـم وآمـاقـيَ الـجـاريـات
وحـقِّ زمـانٍ تـقَـضّـى لـنـا ... بِـطـيـبِ لُـوَيْـلاتِـه الـذاهـبـات
لـئـن فَـنِـيَـت فـيـكـمُ مـهـجـتـي ... فَـصِـدقُ ولائـي مـن الـبـاقـيـات
ومـا زِلـتُ فـي خَـلـوتـي أجـتَـلـي ... مـعـانـيـكُـمْ بـجـمـيـلِ الـصِّـفـات
ولـو كـان داعٍ دَعـا بـاسـمِـكـم ... لـلـبّـيـتُ مِـنْ أعْـظُـمـي الـبـالـيـات
وحـيـثُ الـتَـفَـتُّ أراكـمْ مـعـي ... فـلـسـتُ أُبـالـي بِـنَـمِّ الـوُشـاة
دعَـوْتُـم إلـى الـوَصـلِ عـشّـاقَـكُـم ... فَـوافَـوْكُـمُ مِـنْ جـمـيـعِ الـجِـهـات

ولولا دلالتُمْ لعرفانِكُمْ ... لما عرفَ العبدُ من أين ياتي
فكم سائلٍ دونَ أبوابِكم ... يُناجي بأدمعهِ السائلات
يُؤمِّلُ ما أنتمُ أهلُهُ ... من الجودِ والفضلِ والمَكْرُمات
وكم بينَ أبياتِكم مِنْ فَتى ... يَرى مَوْرِدَ الموتِ عينَ الحياة
تَعرَّض للعشقِ حتى لقد ... رَماهُ بأسهُمِهِ الصّائبات
فلولا سَحائِبُ أجفانِهِ ... لَذابَ بأنفاسِهِ المحرقات
إذا خَطرتْ نَسَماتُ الصّبا ... تُحَدِّثُ أخبارَها الطّيِّبات
يَهيمُ اشتياقاً ويَبكي شَجَى ... ويَنْدُبُ نَدْبَ أخِي الشاكِلات
أأحبابَنا ذُبْتُ وَجْداً بِكُم ... أما آن أنْ تُنْجِزوا لي عِداتي
غَرامي ووجدي وفَرْطُ الجَوى ... ثلاثٌ لقَلبي مِن المُهْلِكات
وخمري وكأسي ووجهُ الذي ... أُحِبُّ ثلاثٌ من المُنْجِيات
وصوتٌ وشِعرٌ ولحنٌ به ... ثلاثٌ لسَمعي من المُطرِبات
وهَجرٌ وصَدٌّ وبُعدٌ لمن ... أُحِبُّ ثلاثٌ من المُضْنِيات
ولُطفٌ وعَطفٌ وحُسنٌ بَدا ... ثلاثٌ لطَرفي منَ المدهشات
وحُبٌّ وقربٌ ووصلٌ به ... ثلاثٌ لقلبي من المنجيات
ووجهٌ مليحٌ وروضٌ نديٌّ ... ونهرٌ ثلاثٌ من المنعشات
وأمرٌ ونَهيٌ ومالٌ وهَمّ ... ثلاثٌ بهم كلّ سعدٍ يُواتي
وحبُّ النبيِّ وآل لهُ ... وصحبٍ ثلاثٌ من المسعدات
وحبُّ عليٍّ مع الحسنينِ ... ثلاثٌ بهم يُعفَى عن سَيِّئاتي
أحِبّاءُ خيرِ الورى أحمدٍ ... ومَنْ حَبَّهمْ حازَ كلَّ النجاة
وكم حمَلَ المصطفى حَسَناً ... وأيضاً حُسيناً بأرضِ الفلاة
وكان يُقَبِّلُهُم دائماً ... وما زال ذلك منه مُواتي
وصُرِّحَ عنه بحبٍّ لهم ... روى ذا الحديثَ جميعُ الثِّقات

وقد كان ربّي أوحى له ... بقتلِ حسينٍ بشاطي الفراتِ
فأجرى الرسولُ لذا عَبْرةً ... يَفوقُ الخلائقَ في العَبَرات
وحُقَّ له إنْ بَكاهُ وقد ... رأى مثلَ هذا قتيلَ الطغاةِ
كذا حسنٌ قتلوه أذىً ... بِسُمٍّ أضافوهُ في لَحمِ شاةِ
فوا حَسْرتاهُ لأوصابِهم ... وما نالهم من رجالٍ عُتاة
وما كان فيهم ذوو رحمةٍ ... لمن فاقَ في الخلقِ كلَّ السَّراة
وقد كانَ رُحماهُمُ واجباً ... لأجلِ نَبيٍّ عليه صَلاتي
نبيٌّ كريمٌ رؤوف رحيمٌ ... هَواهُ مُقيمٌ بِقلبي وذاتي
نبيٌّ جليلٌ أتانا دليلاً ... فأشْفَى عَليلاً لِماضٍ وآتِ
نبيٌّ بَهِيٌّ شَديدٌ قويٌّ ... ووَجْهٌ مُضيءٌ مليحُ الصفاتِ
نبيٌّ هدانا لمن قد بَرانا ... بما قد أرانا من المعجزاتِ
نبيٌّ عطوفٌ رحيمٌ رؤوف ... ودودٌ ألوفٌ وما كان عاتي
لقد ضَلَّ من لم يُصَدِّقْ به ... وقد أوضَحَ الحقَّ بالبيِّناتِ
ومن لم يُصَدِّقْ بِبعثِ النبيِّ ... فذاكَ المُخَلَّدُ في الدَّرَكاتِ
فلولا هَدانا سبيلَ الهُدى ... لكُنّا من الشِّرْكِ في الظُّلُماتِ
ومَنْ غيرُه يُرتجى في المَعـ ... ـادِ إذا طَلبوا الخلقَ بالتَّبِعات
وصارتْ نفوسُهم كلُّهمْ ... من الكربِ والجهدِ في النَّازعات
فلولاه ما كان ربُّ الورى ... لِيَغْفُوَ للخلقِ عن سيِّئات
ولولاهُ ما كانَ نورٌ يُرى ... ويَبدو في الأفقِ من نَيِّرات
وذا البدرُ والشمسُ من نورهِ ... هُمُ المُشرقون بكلِّ الجهات
عليه الصلاةُ وإنِّي بِذا ... لأرجو من الله نَيْلَ الصِّلات

وقال سامحه الله:

هاتِها صِرفاً قديماً عُتِّقَتْ ... وبِراووقِ الرِّضى قد رُوِّقت

ذاتُ لُطفٍ بالصّفا قد وُصِفَتْ … فلهذا إنها قد عُشِقَت
خمرةٌ من يومِ تاريخِ الهوى … حبةُ القلبِ بها قد عَلِقَت
حُجِبَتْ في كأسها فاحترقَتْ … والدّياجي من سناها أشرقت
وترى الناسَ سُكارى حولَها … بالشَّذا والعَرْفِ لمّا عَبِقَت
وقلوبُ القومِ صَرعى دونَها … لو دَنَتْ من دَنِّها لاحترقت
ومديرُ الرّاحِ يجلو كأسَها … لِمحبٍّ روحُه قد ذَهبت
قُمْ إلى حاناتِها واسْعَ لها … إنْ تكنْ دَعواكَ فيها صدَقَت
فلسانُ الحالِ يدعو باسْمِها … وإشاراتُ الهوى قد نَطَقَت

وقال أيضاً رضي الله عنه:

أباحَتْ دَمِي إذْ باحَ قلبي بحبِّها … وحَلَّ لها في حُكمِها ما استحلَّتِ
وما كنتُ مِمَّن يُظهِرُ السرَّ إنما … عَروسُ هَواها في ضميري تَجلَّتِ
وشاهدتُها فاستَغْرَقتني فكرةٌ … فَغِبْتُ بها عن كلِّ كُلّي وجُملتي
وحلَّت محلَّ الكلِّ مني بكلِّها … فإيّاي إيّاها إذا ما تبدّت
وألقَتْ على سرّي أشعةَ نُورِها … فلاحَ لِجُلّاسي خَفايا طَوِيَّتي
ونَمَّتْ على سرّي فكانت هي التي … عليها بها بين البَرِيّةِ نَمَّت
إذا سألتْ من أنتَ قلتُ أنا الذي … بَقائي إذا أُفْنِيتُ فيه هُوِيَّتي
أنا الحقُّ في عشقي كما أنّ سيِّدي … هو الحقُّ في حُسنٍ بغيرِ مَعِيّة
فإنْ أَكُ من سُكري شَطَحْتُ فإنّني … حَكَمْتُ بتمزيقِ الفؤادِ المفتَّتِ
ولا غَرْوَ أنْ أصلَيْتُ نارَ تَحرُّقي … فنارُ الهوى للعاشقينَ أُعِدَّتِ
ومن عَجَبي أنّ الذين أُحبُّهم … وقد أغلَقوا أيدي الهوى بأعِنَّتي
سَقَوْني وقالوا لا تُغَنِّ ولو سَقَوْا … جبالَ حُنَينٍ ما سَقَوْني لَغنَّت
تَمَنَّتْ سُلَيمى أن أموتَ صَبابةً … وأهونُ شيءٍ عندنَا ما تَمنَّتِ

وقال رضي الله عنه:

طابَتْ بطيبِ لقائِكم أوقاتي ... وصَفا بقربِكُمُ نَعيمُ حياتي
وعليَّ في حاناتِ ذِكرِ هواكُمُ ... طافتْ بخمرِ رِضاكُمُ كاساتي
فَهُديتُ لَمّا أنْ بَدَتْ وتَشَعْشَعتْ ... وسَرَتْ أشعّةُ نورِها في ذاتي
واسْتَعْذَبَتْ لَذّاتُ عَيْشي كلُّها ... وصَفَتْ بِصَفْوَتِها جميعُ صِفاتي
فهيَ التي ما خامَرَتْ قلبَ امرئٍ ... إلا وزالَتْ ظلمةُ الشُّبُهاتِ
فَبِبَيتِ حانَتِها أطوفُ مُلَبّياً ... وبنورِها أسعى إلى مِيقاتِ
رُمِيَتْ بجمرتِها صَميمُ حُشاشتي ... فالقلبُ مُنقلِبٌ على الجمَراتِ
نلتُ المُنى بِمِنى وفي عرفاتِها ... أُنكِرتِ إلاَّ في عُلا عرَفاتِ
هيهاتَ أرجو الصحو منه وأنتمُ ... من قبلِ ما عُرِفَ الخُمارُ سُقاتي
حيثُ اتجهتُ وحيثُ كنتُ وحيثُما ... وجَّهتُ وَجهي من جميعِ جِهاتي
قلبي يُشاهدُكمْ وصَفْو سَريرتي ... يَجلوكمُ بالذكرِ في خَلَواتي
ما غبتمُ عن ناظري حاشاكمُ ... في سائرِ الحركاتِ والسَّكَناتِ
وأنا المقرُّ بأنَّني عبدٌ لكمْ ... في حالِ مَحيايَ وحالِ مَماتي
يا سادتي ما شئتمو فتَحكَّموا ... في عبدِكمْ فالحُكمُ للسّاداتِ
وأنا الفقيرُ المستجيرُ بعفوِكمْ ... فتَعطَّفُوا بالصَّفْحِ عن زَلّاتي

* * *

تائية الشيخ عامر البصري(*)

[٠٠٠ ـ ٦٩٦هـ/ ٠٠٠ـ ١٢٩٧م]

الإشارة الأولى:

في التَّوحيد

تجلَّى ليَ المحبوبُ من كل وجهةٍ　　فشاهدتُه في كُلِّ معنى وصورةِ
وخاطبني لطفاً بكشفِ سرائرٍ　　تعالَتْ عن الأغيار لطفاً وجَلَّتِ
فقال أتدري من أنا؟ قلت: أنت يا　　منادي أنا إذْ كنتَ أنتَ حقيقتي
فقالَ كذاك الأمرُ لكنَّما إذا　　تعيَّنَتِ الأشياء بي كنتَ نسْخَتي
فأوصلتُ ذاتي باتحادٍ بذاتِه　　بغير حلولٍ بَلْ بتخصيصِ نسبةِ
وصرتُ فَنَاءً في بَقاءٍ مؤبّدٍ　　لذاتٍ بديموميَّة سرمدية
إذا رمتُ إثباتاً لأنيتي محا　　هواهُ وجودي محوةً أيَّ محوَةِ
فيأخذني مني فأصبحُ سائلاً　　لنفسي عن نفسي لِغيبةِ
وأنظرُ في مرآةِ ذاتي مُشاهِداً　　لذاتي بذاتي وهو غايةُ غايتي
وأغدو وأمري بين أمرين واقفٌ　　علوميَ تمحوني ووهميَ مُثبتي
حَبيبٌ له في حبَّة القلبِ مَسكنٌ　　ترفّع عن هندٍ ودعدٍ وعَزَّة
عذابي عذبٌ في رضاهُ وذلّتي　　لديهِ إذا ما رامَها عينُ عِزَّة
وتحقيرُ قدري أنْ أراهُ تعظّمٌ　　وترفيهُ سرّي فيه حملُ مَشَقتي
بديعُ جمالٍ في دقائقِ حسنهِ　　رقائقُ جُلَّت أن تُرى من لطافةِ

---

* هو العارف بالله تعالى الشيخ عامر بن عامر البصري (أبو المظفر) حكيم، أديب، صوفي، من مدرسة فلسفة وحدة الوجود.
من آثاره: الرسالة المسماة بذات الأنوار، وهذه التائية.

يعيدُ الدُّجى صبحاً بواضحِ غِرَّةٍ   ويُبدي الضُّحى ليلاً بفاحمِ طِرَّةِ
ويخجلُ تغريدَ الحمام بلهجةٍ   ويحمل بدرَ التمِّ منها ببهجة
يزورُ بلا وعدٍ ويخلفُ وعدَه   ويخلُ أنْ يدنو ويسخو بجفوةِ
وينعمُ لي بالوصلِ حيناً وتارةً   يَضنُّ على طرفِ المُقنى بنظرةِ
فَمِنْ مُقلتي من هجره فيض دجلةٍ   وفي كبدي من صدِّه لدغ حرقةِ
وأحلى وصالُ الخلّ إن ذقتَ طعمه   تجدهُ إذا ما كان بَعَد قطيعةِ
أبيتُ بجفنٍ من جفاهُ مُسَهَّدٌ   وأغدو بشملٍ من نواهُ مُشَتَّتِ
فإنْ أكُ قد أصبحتُ في العِشقِ شهرةً   فيا حبَّذا هتكي بذاكَ وشهرتي
لئنْ شربَ العشَّاقُ كأساً من الهوى   فما شرِبوا من كأسه كانَ جَرعَة
وإنْ قَتلَ الوجدُ المحبينَ بالأسى   فلا بأسَ إنْ تقضي بذلكَ قتلتي
كتمتُ هواهُ برهةً فوشى بهِ   عليَّ شجوني واصفراري وعبرتي
خفيتُ نحولي عن عيون عوائدي   فَدَلَّهم كربي عليَّ وزفرتي
أقضي نهاري حنةٍ بعد حنَّةٍ   وأقطعُ ليلي أنةً بعد أنَّةِ
وأشرحُ أمري في هواهُ وحالتي   لإيضاحها فيه عن الشرح أغنتِ
سأركبُ صعبَ الأمر فيهِ ولم أبَل   أأمنيَّتي كانتْ به أم مَنيَّتي
وأحملُ أثقالَ الصبابةِ صابراً   ولو تلفتْ من شدةِ الحب مهجتي
وجودٌ له ديمومةٌ أبديةٌ   يدلُّ بها منها على أزليَّةِ
فللَّهِ ما أبدى لنا من سرائرٍ   وأودَعَها في الصورةِ الألفيَّةِ
سقاني حميَّاهُ محيَّا جمالَه   فرحتُ سليبَ العقلِ من دونِ نشوةِ
وناولني راحاً براحةِ كفِّه   فكان بها إنعاشُ روحي وراحتي
بَدا ظاهِراً للكلِّ بالكلِّ بيناً   فشاهَدَهُ العينانِ في كلِّ ذرَّةِ
وأشرقَ منهُ مطلقٌ قَيَّدَ الورى   عموماً بوحدانيَّةٍ صمديَّةِ
هو الواحدُ الفردُ الكثيرُ بنفسه   وليسَ سواهُ إن نظرتَ بدقَّةِ

بـه كـلّ حـيٌّ وهـو حـيٌّ بـذاتِـه ... فـإنْ شـئـتَ أن تـحـيَ بـه فـلَـهُ مُـتِ
لـهُ كـلّ عـيـنٍ فـي الـوجـود يـرى بـهـا ... لـه كـل أُذنٍ فـي الـبـرايـا وعـيَّـةِ
لـهُ كـلّ كـفٍ بـالـورى بـاطـشـاً بـهـا ... لـه كـلّ عـلـمٍ مـن عـلـوم الـخـلـيـقـةِ
لـذلـك مـا قـالَ الإلـٰـهُ لآدمٍ ... على صورتي كانت لخلقك خلقتي
فـكـثـرتـهُ مـخـفـيَّـةٌ تـحـت وحـدةٍ ... كـمـا أنـا فـردٌ كـثـرتـي تـحـت وحـدتـي
بـقـيـتُ بـه لـمَّـا فـنـيـتُ لـهُ كـمـا ... وجـدتُ حـيـاتـي فـيـه مـن بـعـدِ مـوتـتـي
تـنـاهـى كـمـالاً فـهـو فـي كـل حـالـةٍ ... بـغـيـر زيـاداتٍ ولا بـنـقـيـصـةِ
هـو الـشـاسـعُ الـدانـي إلـيـنـا بـذاتِـه ... هـو الـغـائـبُ الـمـشـهـودُ فـي كـلِّ بـقـعـةِ
هـو الـعـاشـقُ الـمـعـشـوقُ فـي كـل صـورةٍ ... هـو الـنـاظـرُ الـمـنـظـورُ فـي كـلِّ لـمـحـةِ
تـجـولُ عـقـولُ الـحـق حـولَ جـنـابِـه ... ولـمْ يـدركـوا مـن نـوره غـيـر لـمـعـةِ
ويـعـجـزُ كـنـهَ الـفـهـم عـن كـنـهِ ذاتِـه ... فـيـرجـعُ عـنـهُ خـاسِـئـاً حِـلـفَ خـيـبـةِ
ولـو شـاهـدتْ أنـوارَه لاهـتـدت بـهـا ... ولـكـنـهـا بـالـوهـم عـنـهـا تـعـدَّت
نظرتُ فلم أبصر سوى محضِ وحدةٍ ... بـغـيـرِ شـريـكٍ قـد تـغـطـت بـكـثـرةِ
تـكـثـرت الأشـيـاءُ والـكـلُّ واحِـدٌ ... صـفـاتٌ وذاتٌ ضـمـنـاً فـي هـويَّـةِ
فـوجـدتُـه ذاتٌ بـهـا كـل كـثـرةٍ ... وعـلـتـه قـامـتْ بـهـا كـل عـلَّـةِ
تـحـجـب عـنـا واخـتـفـى بـظـهـوره ... فـظـلَّـكَ فـيـه كـلَّ يـومٍ بـحـجـةِ
وسـائـرُ ذراتِ الـوجـودِ مَـظـاهـرٌ ... لـهُ إن رآهَ بـاصـرٌ بـبـصـيـرةِ
مَـحا مـمـكـنـات الـوهـم مـنـه بـواجـبٍ ... حـوى كـثـرةً تـوحـيـدهـا بـالـضـرورةِ
وذاكَ لأنْ لا شـيءَ يـوجـدُ بـعـدهـا ... وجـمـلـتـهـا مـوجـودةٌ بـالـمـعـيَّـةِ
فـلا شـيءَ مـنـهـا زائـدٌ لـنـقـيـصـةٍ ... ولا شـيءَ مـنـهـا نـاقـصٌ لـزيـادةِ
ولا شـيءَ مـنـهـا سـابـقٌ بـظـهـوره ... ولا شـيءَ مـنـهـا لاحـقٌ بـعـد بـرهـةِ
فـقـد صـارَ عـيـنُ الـكـل فـرداً لـذاتـه ... وإن دخـلـتْ أفـراده تـحـت عـدَّةِ
وقـيّـدت الأشـيـاء مـنـه بـمـطـلـقٍ ... بـغـيـر نـظـيـر إن نـظـرت بـدقـةِ

فلا عينه موجودة بمقيَّدِ ولا غيره ذاك المقيَّد فاثبتِ
ولا عدمٌ يطغى على جوهرٍ ولا على عرضٍ فاسمع بإذنٍ وعيّتِ
ولكنّما الأعراض تبدو وتختفي على أنها ملزومة الجوهريةِ
لأنهما قَدْ دوّنا في صحيفة الوجود فلا محوٌ لتلك الكتابة
وهذا اتفاقٌ للشهور مطابقٌ بغير نظير إن نظرت بدقةِ
فيا واحداً في كل شيءٍ مشاهداً أعاينه في خلوتي مثل جلوتي
لكَ الكل يا منْ لا سواهُ فمن رأى سواكَ فرؤيا ذاكَ من أحوليّةِ
إليكَ رحيلي إن رحلتَ وإن أقمْ فعندكَ لا عندي تكونُ إقامتي
أراكَ بعين العقلِ والحسِّ دائماً خفيّاً جليّاً في رقادي ويقظتي
وكيفَ بوجهي ملتُ عنك فإنه إليكَ وإن أسجدْ فوجهك قبلتي
وإن سرتُ يوماً عنك فيك ومطلبي سواك ثَنى شوقي إليك أعِنتي
فأفرحُ في حالينِ حال تعيُّني وحال فنائي فيكَ بالأحديةِ
فأنت أنا لا بلْ أنا أنت وحدةٌ منزهةٌ عن كل غيرٍ وشركة
فلا أنت عيني ولا أنت غيرها لذلك صارت حالتي فيك حَيرتي
عليك عناني واقفٌ أبداً فإن لفتُّ عناني كان نحوك لفتتي
فما لي يوماً منكَ عنكَ تخلصٌ لأنك يا مولاي جملةُ جملتِي
إليك مآبي في حياتي وموتتي وأنتَ رجائي في رخائي وشدَّتي
فلستُ أرى شيئاً سِواك تحققاً وهل تختفي عن غيره مكفوف مقلةِ
تقدَّست عن غيرٍ تنزَّهتَ عن سوًى ترفَّعتَ عن ضدٍّ بصرف المحوضةِ
فيا خابطاً في عشوةٍ من ظنونه دعِ الظنَّ واستمسك بأوثق عروة
ويا طالباً للأمر جدَّ بنهضةٍ فما نَالَ أمراً غير نفسٍ مُجَدَّةٍ
وجرّد له عزماً لعَزمي ماضياً ولا تكُ مشغولاً بنومٍ ورقدةِ
إذا رَمقت عينُ العلى عينَ همةٍ فهَيْهات أن تلتذَّ تلك بغمضةِ

فدع قولَ من قد قال بالغير واجتنبْ طـريـقـةَ دجَّـالٍ كـثـيـر تَـعَـنُّـتِ
بـعـيـدٌ عـن الأضـواء والـنـور لـم يـزل لـظـلـمـتـه فـي عـثـرةٍ بـعـد عـثـرةِ
كـظـمـآن وافـاهُ الـهـجـيـر بـقـفـرةٍ يـحـومُ عـلـى مـاءٍ لإرواء غـلَّـة
فـظـنَّ سـرابـاً قـد رآه بـقـيـعـةٍ شـرابـاً يـروّي بـردهـا حـرَّ لـهـبـةِ
فـلـمَّـا رآه لـم يـجـده كـمـا رأى وزلَّـت خـطـاه عـنـد ذاك وخـابـتِ
إذا أنـت لـم تـسـمـع مـقـالـة واحـدٍ فـأنـت بـلا شـك مـن الـثـنـويَّـة
وهل يستوي من كان بالنور ماشياً ومـن سـعـيـه فـي ظـلـمـةٍ مـدلـهـمـة
ومـن لـم يـؤيـدهُ الإلٰـه بـنـوره يـضـلُّ ومـن يـرشـد يـفُـز بـهـدايـة
لكَ الملك يا ديومُ تؤتيه من تشا وتـنـزعـه عـمَّـن تـشـا بـمـشـيـئـة
تـجـلَّـيـتَ في هـذا وذاك فـلـم يـروكَ وتـاهـوا فـيـك مـن فـرط دهـشـةِ
وحيَّرتَ أهل العقل فيك بذا وذا فألقيتهم بالوهم في كل شبهة
فـلا أنـتَ مـولـودٌ ولا أنـت والـدٌ لأنك فردُ الذات من غير قسمةِ
ولا أنـت مـنـسـوبٌ إلـى جـوهـرٍ ولا إلـى عـرضٍ يُـعـزى إلـى عـنـصـريـةِ
ولا أنـت روحـانـي ذاتٍ بـسـيـطـةٍ ولا أنـت جـسـمٌ ذو مـوادٍ كـثـيـفـةِ
ولا أنـت عـلـويٌ ولا أنـت سـافـلٌ ولا أنـت مـحـصـورٌ بـحـدٍّ وعـرصـةِ
ولا أنـت مـخـفـيٌ ولا أنـت ظـاهـرٌ ولا أنـتَ ذو طـبـع ولا بـطـبـيـعـةِ
ولا أنـت عـقـلٌ لا ولا نـيّـرٌ ولا هـيـولـى ولا روحٌ بـذاتٍ لـطـيـفـةِ
ولا أنـتَ مـشـغـولٌ ولا أنـت فـارغٌ ولا أنـت ذو كـيـفٍ ولا بـكـمـيَّـةِ
ولا أنـت مـلـزومٌ ولا أنـت لازمٌ ومـن قـال نـوراً كـان كـالـمـانـويـة
ولا أنـت ذو قـيـدٍ ولا بـمـجـردٍ ولا أنتَ مخصوصٌ ولست بحاسةِ
ولا أنـتَ في شيءٍ من الكل داخلٌ ولا خـارجٌ عـنـه وهـذي عـقـيـدتـي
فـأنـت إذاً فـردٌ لـك الـكـل سـاجـداً ولا كـل إلاَّ أنـت يـا كـلَّ صـفـوةِ
كـتـيَّـار زخَّـار يـفـيـضُ بـمـوجـه على الدهر لكن لا يفيضُ بقطرةِ

تعاليت يا ذا الطول عن وصف واصفٍ تنزَّهتَ يا ذا المنِّ عن مدح مدحةِ
فأنت على ما أنت قدراً وقدرةً بنفسك أدرى من جميع البريَّةِ
فمن غاب يوماً فيك نالَ سعادةً ومن غاب يوماً عنك آب بشقوةِ

* * *

الإشارة الثانية:

في الروح

عجبتُ لروحانيةٍ ملكية مخلدةٍ ما إن تشيبُ بشيبة
سماوية الأنساب منبع ذاتها منيرٌ يدور الدهر دور المجرَّةِ
على دوحةٍ من سدرة المنتهى غدتْ تغرِّد من شجوٍ بها فوق ذروةِ
مجوهرةٍ من أمر ربي تعلقتْ بجرمٍ مزاجٍ من لطافة مادةِ
يخلِّقه منها بإلهام خالق مثالاً لها في ظلمة حنْدَسِيَّةِ
مزاجٌ لها قد خصَّ من دون غيرها بها لا يغيبُ الدهر عنها بحالةِ
مقاديرُ كيفياته وموادِه معينةٌ بالقسمةِ الأزليَّةِ
يضمِّمُها فيه اجتماعٌ ونسبةٌ قديمةُ عَهْدٍ واتصالُ مودَّةِ
وبينهما عشقٌ عجيبٌ وصحبةٌ مؤكدة لا تنقضي بقضيةِ
يهيمُ به من حسنه وجماله هيامُ جميلٍ في مجال بُثينةِ
وتعشقه عشقاً عظيماً مبرحاً وتحرسه من كل سوءٍ برأفة
فليس له عنها انفكاكٌ بحادثٍ وليس لها عنه زوالٌ بحيلةِ
ولستَ تراها منه في كل حالةٍ وإن خلعت ما ألبست بغريبةِ
إذا ما نضَت عنها المقاديرُ كسوة تُعوِّضها بالحال عنها بكسوةِ
وما هبطتْ إلاَّ لترقى بنفسها إلىٰ أوجها بالنطقِ من بعد خرسةِ
وليس بجسم بل بجسم كمالها يكونُ لها بالفعل من بعد قوّةِ
وتظهر في شكلين شكلٌ مُشَيَّحٌ وشكلٌ خفيٌّ مدمجٌ ضمن مضغةِ

لها طيٌّ نشرٍ عند بدءِ اتصالها ... به عند نشر النشوءِ من بعد طيَّةِ
فتطوى كما يطوي السجل كتابه ... سماواتها طيّاً لترتيب نشوةِ
وتنقص من أطرافها أرض برزخ ... لها عند قبض الموت من بعد بسطةِ
ولو كنت ذا علمٍ بها حين فارقت ... علمت يقيناً أنَّ تلك هي التي
لقد دقَّ معناها غموضاً لذاك ما ... عجائبها أزرتْ بكل عجيبةِ
هي الروح لا نفسٌ كما ظنَّ واهمٌ ... تحلّت لتحصيل الكمال بحليةِ

* * *

الإشارة الثالثة:

في النفس الناطقة

وذلك أنَّ النفسَ عينٌ لجملةٍ ... وليستْ بذاتٍ مفردٍ ذي بساطة
فمن جعل المجموع من كلِّ جامعٍ ... بسيطاً سها عن حقِّ كلِّ حقيقة
فعقلكَ سلطانٌ وأجنادُهُ القوى ... لأعضائهِ والنفسُ شبهُ مدينةِ
لذلكَ ما قالَ النبيُّ أنا مدينةُ ... العلم فافهم ذا بحسن كياسةِ
ومنها ظهورُ العقلِ فاعقلْ وفيضهُ ... عليها لها منها بكل غريبةِ
فأنت إذن نفسٌ ومشتقها من النفـ ... ـسِ فاعرفْ سرَّ هذي الدقيقة

* * *

الإشارة الرابعة:

في الهيولى

وأمَّا الهيولى فهي أصلٌ وإن ترى ... بغير قواها منذ أول وهلةِ
علا فطفا منها لطيفٌ وحطّ ما ... تكاثف منها بعد ذاك برتبة
سَمت تسعةٌ في أوجهٍ وهي واحدٌ ... طبيعيَّة لا ميل فيها بفضلةِ
وحطَّت لإظهار الكمال لرفعها ... ثلاثة أفرادٍ لأربَعِ إخوةِ
وما دارت الأفلاكُ إلاَّ بأنجمٍ ... مسخَّرةٍ أرواحها ذي سذاجةِ

ولا حركَّت بالقسر أو بطبيعةٍ ولا هي إن حققتها بإرادةِ
ولكن بروحٍ ساذجٍ وطبيعةٍ معاً يقتضي تحريكها باستدارةِ
وذاك لكيفياتها الأولِ التي ترتبها في جرمها بعدالةِ
فللروح تحريكٌ يفيدُ حياتها وللطبع بدوي وطول استدامةِ
ولا عقل إن دققت علماً لها كما توَهّم أرباب العقول الضعيفةِ
ولكن عقل الكل عين لجملة الـ ـعُقول بقولٍ مشبعٍ ذي رصانةِ
وأمّا صدور العقل عن واجب له بغابره بالحكمة الفلسفيَّةِ
ويتلوه عقل ثم عقل فإنه زخارف قولٍ ما له من إصالةِ
فدقِّق لما قد قلت فكراً وعدِّ عن سوى ذاك وانظرني بعين حديدة

* * *

الإشارة الخامسة:

في رموز المعجزات

ودُونَك فاقبس يا لَبيب أشعةً لمِصباح مشكاةٍ بِلطفِ بَديهة
يكاد يَضيءُ الكون أنوار زيتها بلا مسِّ نارٍ مِنْ صَفاءِ الزّجاجةِ
فإن كُنت في تكميلِ نفْسك رَاغِباً فَدونك واسْمع ما أقول وأنصتِ
ونكّب عن التقليدِ واللج جانباً مَتى شِئت أن تحظى بِنيل سعادةِ
فإني سأتلو مِنْ كِتابيَ آية عليك فَخذ مِنْ بَحرها بعض غرفةِ
أنا الكوثر العذب الذي ماء عِلمه يُبدل مِنْكَ الجهل مِنه بشربةِ
ومنبع ذاك الماءِ عينُ حقيقةٍ عليها مدار الأمر في كُلِّ مرَّةِ
هُوَ القُطبُ والنفْس النفيسُ الذي به رأتْ كُلُّ نَفْسٍ ما رأتْ مُستعدةِ
وإني لمهدٍ مِنْ علومي طَرائفاً لأتحف منها أهل ودٍّ بتحفةِ
وأبدي مِنَ استعدادِ ذاتي غَرائِباً كما يَقتضيه حال نسبة رتبتي
لتأتِيَ في التابُوتِ مني سكينة عليها وِقار ضمنه فيض رحمةِ

فأظهر في قعرِ البُطونِ عجائِباً مُشاهدة بالعقل مِنْ غيرِ خفيةِ
وأخلق مِن طِيني بِنفخِيَ طائِراً يَطيرُ بأسراري إلى كل دوحةِ
وأحيي كما أحْيَا ابنُ مريم أنفساً مطرَّحة الأبْدان صرعَى منيَّة
عَلى أنني منهُ استفدْتُ وَلستهِ ولكنه قد خصَّني بوصِيَّةِ
أردُّ لها أرْواحها بَعد موتها وقَدْ دُثرت في تربها فاضمحلَّتِ
فتصبح أحياءً كما كان أولاً بقدرةِ علاَّمٍ وسِرِ نبوءةِ
ولي القمر السَّيار شُقَّ فَنِصْفه مُنيرٌ ونصفٌ مُظلم كالدجُنةِ
فَهل لَكُم عَين تراه لعلها برؤياه تمشي فيه غير مُشكةِ
وكَمْ قَد تجَلَّى الربَّ لِي متكلِّماً بالسنةٍ في كُلِّ دَورٍ فَصيحةِ
وكمْ صعقةٍ لي دَهشةً بِجمالِه وكَمْ دَكَّ طودي دكةً عند صعقةِ
وكَمْ أوقد الأغيار ناراً وأضرموا لها حطباً مِنْ كل مصر وقريةِ
وأُلقِيتُ فيها صيَّر الله حرها لَدى ذاك برداً كان فيه سلامتي
وكَمْ بَلَعَني حوتٌ يونس بلعةً وتَقذفني نَحو العراءِ برميةِ
وتنْمو مِن اليَقْطينِ فَوقِي شُجيرة على سائرِ الأشجار تسمُو بِسرعةِ
وأصبح أعلو واحداً بَعد واحدٍ مِنَ الناسِ وأعلمُ أنَّ هاتيك فكرتي
وشقَّت عصاي البحْر لمَّا ضربته بنِصفين حتى جَاوزته صحابتي
وأغْرق فِرعونَ الضلال وأهله لطغيانِهِ في اليم أعظم غرقةِ
وكَمْ حجرٍ قاسٍ ضربت بها غدت تفجَّر منهُ الماء مِن هولِ ضربَةِ
وألقَيتها تَسعى إلى الأرضِ حيَّةً تلقف أفك الساحرين بنفثةِ
وخرَّ لديها ساجداً كُلُّ ساحرٍ وكانت ليَ العقبى بمعجز آيتي
وأخرجتُ مِنْ ظُلماءِ طبعي نقيةً يديٌّ لَهُم بيضاء من صدقِ حكمتي
ولُيِّنَ لي بأس الحديد بقدرة الاءِ لَه وسَالت عَين قطرٍ لإمرتي
فقدَرت في الرَّدِّ السوابغ دافقاً عنْ جنابي كُل لسعة حيَّةِ

وَلي صار إرثاً ذُو الفقار بحدّه أقدُّ رقابِ العاقرين لناقتي
ولي رُدَّتِ الشمس المنيرة إذْ نأت وأشرقت الدُّنيا بها بَعدَ غربةِ
وما سرتُ إلاَّ والغمامُ يَظُلُّني إذا ما هجير الحَرِّ قارن وصلتي
ولمَّا طَغى عجلي وأبْدى خِواره وحاولت أن أحي ذبحتُ بقيرتي
ولَوْ لَمْ أُمت نفسي بتركي لم أكن لها محيياً فاسمع أعاجيب قصتي
ولَوْ نَفحت من دُون نشوى نفحة لعطَّرتِ الأكوان أنفاس نفحتي
و«حم» «عسق» كما قرأتها و«كهيعص» استقامت بصحةِ
فأشرق مِن سريهما نور نيرٌ تضيءُ بهِ الآفاق مِنْ كل ظلمةِ
فحرفٌ بحرفٍ إن فطنت لفهمه ملكت الورى طرّاً بلطف فطانةِ
رموزٌ خفيَّاتٌ متى رمت حلها فزنها وبذّل كل روحٍ بحثَّةِ
ولامٌ أتى من قبله ألفٌ كما أتى بعدهُ ميم لإظهار قدرةِ
تشيرُ إلى عقلٍ وروحٍ ومظْهرٍ به كانَ في الأكوانِ سرُّ الإمامةِ
وعقلٌ ورَوحٌ والهيولى وطبعها كلام بها مِنْ بعدِ لامٍ وهمزةِ
يدلُّ على عينِ الوجودِ وجودها لِذا عظمت تلك الحُروف وعزَّتِ
وكُلُّ إشارات الحروف التي أتت مغادير في القرآنِ من كُلِّ سُورةِ
تُشيرُ إلى أشياءٍ يوجد مثلها بأعيانها في الصورةِ البشريَّةِ
سرائِرُ آياتٍ تعالت بنورها فلم يدنُ منها غير نفسٍ عليَّةِ
لئِن رفض الجمهور فرض حقوقِها فرفضي لِذاك الرفض فرضي وسنّتي
وإنْ شكَّ فيما قلت قوم فقل لهم أبينوا لنا عن حقها بجليَّةِ

* * *

الإشارة السادسة:

في المبدأ والمعاد

وَلي صور محصورة القدر ضبطها ظهوري لِعيني عِنْد لبسي بردتي

فأبدوا بها في صورةٍ بَعد صورةٍ … وآخر ما يَتلوهُ أول نشأتي
قيامتي الصغرى بخلعي وإنَّما … قيامَتي الكُبرى بتتميم دورتي
فأخفي زماناً عنْ مُطالعة الورى … وأبدو كما قَدْ كنتُ في حالِ بدأتي
وذاك معادي في قِيامتي التي … أقومُ لدى المعبود فيها بجثتي
وليْس إذا حققت ذَا بتناسخ … فتَختلف الأعيان في كُلِّ عودةِ
ولكن إفادَته الحقوق مراتباً … معينةً يقضي بها سر وحدةِ
فنسخي وفسخي مثل مسخي باطل … ورسخي لمنع فيه عودي بهيبتي
ثبوتي في محوي وقربيَ في النَّوى … وسكريَ في صحْوي ورفعي بخفضتي
وما زَال كوني قائماً بحقيقتي … كما كانَ لي بالرتبة الأزليةِ
فأبدو كما تبدو البدور كواملاً … وأخفى كما يخفى سرار الأهلَّةِ
فما غاب مِنْ بعد الظهور فكامنٌ … وما أنهار عند الهدم منها لبنيةِ
ليظهر مني باطنٌ بعدما اختفى … ويُبطنُ مني ظاهر بعد كمنةِ
فيخفي ظهوري في بُطوني كما ترى … بُطوني ظهوراً عند تبديلِ خرقةِ
وارجع مِنْ بعدِ استتاري بارزاً … إليه كما قَد كنت في بدءِ فطرتي
فأنهضُ حياً مثلما كنت قائماً … وأعجب شيءٍ ذاك مِنْ سرِّ سيرتي
ولَمْ تنعدم تلك النفوس وإنَّما … تغيب وتبدو تارةً بعد تارةِ
فهل فيكمُ يا معشرَ الأهل ناشر … مقالات أسرارٍ طوتها صحيفتي
فيفْهم ما مَغنى الوجودِ لذاته … بإطلاقه مِنْ كُلِّ قيدٍ وعلقةِ
ويعلم ما معنى المعاد وما الذي … يراد بهِ مِن أوبةٍ بعد سفرةِ

* * *

الإشارة السابعة:

في معاني رموز دقيقة في القرآن

وتعلم ما حوًّا وكيف احتواؤها … على مركزٍ منه بدت للإحاطة

وهل كان بدءاً خلق آدم وحده من الطين أم قد كان منْ دفق نطفةِ

ويعلمُ ما الذنب الذي جوزيا به هبوطاً فبانت منهما كل سُوءَةِ

وما الورق الغَضُّ الذي غَطيا به عوارهما حتى اختفت كل عورةِ

أمن شجرٍ قد كان أمْ مِن ملابسِ الجنانِ زها بالخضرة السندسيَّة

وكيف استواء اللّه من فوق عرشه على الماء لا ذا الماء بالأوليَّةِ

وهل معجزات الأنبياء بظاهرِ أتت أمْ بألفاظٍ لها معنويَّةِ

وهل خَرق العَادات بالوحي أنس معذرة في كُلِّ تجليد دَعوةِ

أم الكل نفس بالتعين واحدٌ مسترة باسمٍ ورسمٍ وكنيةِ

وهلْ كان معراج النبي بجسمهِ إلى القدس أمْ بِالقوَّةِ الملكيَّة

وجبريل شيء منه أمْ عنه خارج كما ظنَّهُ الجمهور مِنْ غيرِ خبرةِ

وكيف أتى لمَّا رقى ومكانه كما كان في تسخينه بالحرارةِ

ولم أشبهِ الروح الأمين وقد أتى محمده بالوحي صورة دُحْيةِ

ولم خصَّ تكوينَ السَّماءِ وأرضها بستةِ أيامٍ تَوالتْ سويَّةِ

وهَلْ ذلكَ الرِّزق الذي عند مريم رأى زكريا كان من حب حنطةِ

ومريم لِمَ صارت لهارون أخته وبينهما في الدورِ أطول مدَّة

أمْ الوحي ذَاكَ الرِّزق كان أتى به إليها ابنها مِنْ عندِ أشرف حضرةِ

وهَلْ كان لمَّا كلَّمَ الناس مهده هُوَ الجسم بالتحقيق أمْ مهد عادةِ

ولم ليلة القدر التي جلَّ قدرها على ألفِ شهرٍ فضلت بمزيةِ

وما السرُّ في عيسى وليسَ له أبٌ ولمْ لُقِّب المختار أُمّي مكَّةِ

وما ذلِكَ النجم الذي هوى وما هو الطَّارق المنحط عشقاً لرفعة

ورقدة أهل الكهف في ظلِّ كهفهم ثلاثة مئين مع زيادة تسعة

أهل نوم طبع كان بالعادة الَّتي جرت أم غشاه نوم جهل وغفلةِ

وهَلْ ذاكَ محسوب بهذي سنيننا فندركه أمْ بالسنين القديمة

وهل لَكَ علم بالجدارِ وقتلة الغلام وما المعنى بخرقِ السفينةِ
وصحبة موسى عبدنا واعتراضه عليهِ لما يأتي بغيرِ رويَّةِ
وما هُوَ ذو القرنين في السد والذي عليْهِ غروب الشَّمس في عين حمأةِ
وما هُوَ وادي النمل والنملة التي تخاطبهم رمزاً بلطفِ إشارةِ
تقولُ ادخلوا يا أيُّها النملُ تسلموا مساكنكم من حطم جندٍ بدوسةِ
وما هو ذاك الهدهد الطائر الذي أتى لسليمان بسرٍّ سريرةِ
وبلقيس إذْ جاؤوا إليها بعرشها وقَدْ نكروه بَعد نقشٍ بنقشةِ
فقالوا لها هَلْ كان عرشك هكذا فقالت نعم يحكيه مِنْ غيرِ ريبةِ
وما ذلك العفريت والقائل الذي له بكتابِ اللَّهِ علم درايةِ
وكيفَ أتى بالعرش قبل ارتدادِ طرفه وهُوَ سر دقَّ عن كُلٌ فطْنةِ
وما ذِلكَ الصرح الممرد إذ غدت تكشف ساقيها لديه لخوضةِ
وما جري هذي الريح شهر غدوها وروحتها شهر له لا بوقفةِ
ولم كانت الأسباط مِنْ ولد فاطم وأصحاب عيسى خمسة بعد سبعة
وما هي أطيار الخليل وجعلها فويق جبالٍ أربع من جبلةِ
فقلنا له صرَّها إليك ونادها تجيءُ مطيعاتٍ بأسرع سعيةِ
وما هِيَ تلكَ النَّفس يا قومي التي تدارأتمو في قتلها عن خديعةِ
وقُلنا اضربوه كي يقوم ببعضها كذلك يُحيي رَبُّنا كل ميِّتِ
ولم كانَ أجر النبوءة أربعين بعد ثلاث أردفت بثلاثةِ
وذا النون إذ نادى وقد مرَّ مغضباً لظنٌ بهِ أن لا وجود لرجعةِ
لذي ظلماتٍ فاستجبنا دُعاءَه بعفوٍ ونجيناه مِن كربِ غمَّةِ
حقائق لم ينكرْ دقائق سرها مِنَ النَّاسِ إلاَّ كُلٌ نفسٍ غبيَّةِ
فتحتُ بعونِ اللَّه أقفال رمزها وغصت عليها تحت تيَّار لجَّةِ
وأبرزتها مِنْ حذرها لذوي النهى يلذُّ رؤاها كُلٌ نفسٍ سريَّةِ

نفوسٌ تَزَكَّتْ واطمأنت بعلمها عليها مِنَ الرَّحمٰن أزكى تحيَّةِ
ولنْ ترى ملتذاً بها غير كيسٍ لطيف طباع ذي مزايا حميدة

* * *

الإشارة الثامنة:

في تغير الزمان

طَغا الجورُ والطوفان فاض فهل لكم بنو العزم في رأيٍ لتحصيلِ آلةِ
لنبني قبل الغرق منها سفينة وننجو بها مِنْ عظم موجٍ وفتنةِ
فكن عالماً بالوقتِ إن كنت مُدرِكاً أخيَّ فهذا وقتنا وقت فترةِ
تغيرتِ الأحوال عمَّا عهدتها وشبَّ فساد الأرض مِن بَعدِ خمدةِ
وأمْستْ نفوس الخلق هلكى مخيفة لشقوتهم مِنْ بعد أمنٍ وقوَّةِ
وأضرم نار الغل والحقد بينهم ولازمهم بعد اتفاق وإلفةِ
وعادى لبعضٍ بعضهم حسداً على حطامٍ طَفيفٍ مِنْ زَخارفِ زينةِ
وباعوا بدنيا دينهم لغرورهم وجهلهم فاستوجبوا كل لعنةِ
فقاضيهم في الحكمِ يطلب للرشا حلالاً يرى من أخذها ما استحلَّتِ
وعدلهم ظُلماً عَن الحقِّ عادل بِغيرِ محاماة وغيرِ حميَّةِ
وعالمهم من جهله غير عاملٍ وفاضلهم مِنْ نقصه في غباوةِ
وشيخهم للرفض بالنقص قائل إذا ما حدا الحادي يطيرُ بخفَّةِ
لرغبتهم في كَسبِ مالٍ وزخرفٍ تمَسَّك منهم كل قوم ببدعةِ
لهُم صورة محمودة غير أنَّها تراءت بأخلاق قباحٍ ذميمةِ
فإن ضاقت الأخلاق منهم تداركوا بتوسيع أكمامٍ وتعظيم عمَّةِ
تعاموا عَنِ القُرْآن واتَّبعوا الهوى ومالوا إلى الدُّنيا بحرصٍ وشهوةِ
فمنهم رئيس بالسفاسف مولع بديع إشاراتٍ فصيح عبارةِ

تفرَّق تيهاً بالمحافِلِ معجباً ... بوضعِ اصطلاحاتٍ له منطقيَّةِ
وآخر منهم في الأصوليين ناظرٌ ... يناظِرُ عن وهمٍ بلجِّ جراءة
ومنهم بتقرير الخلاف مسفسطٌ ... يغالط في ألفاظِهِ الجدليَّةِ
وآخر منهم قد قضى صرف عمره ... بتصريفِ صيغاتٍ لفعلٍ وفعلةِ
أضاف إلى تصريفه النحو فاغتدا ... بِلا خبرٍ في بحثِ جرٍّ وجزمةِ
ومنهم أخو طامات حلف تصوفٍ ... تنمَّس تلبيساً بصمت وخلوةِ
يقولُ لقد نلنا بكشفِ سرائرٍ ... لحالاتنا لا قال فيها بِلفظةِ
أراذل خداعون زرقاً بخرقةٍ ... وسجادةٍ مرقوعةٍ وبِسُبحةِ
ومنهم فَقيه ليسَ يفقه ما الذي ... يراد بِهِ من نسكِ حج وعُمرةِ
يحاجج فيما لا شعور له بِهِ ... بكودنةٍ ممزوجةٍ ببلادةِ
وآخر منهم بالقراءات قد قلا ... معاني بقولِ الشاطبيّ وحمزةِ
يلوي شدقيه بها عن إمالة ... كأن بِهِ من ميلها ريح قوَّةِ
وبالرملِ والتنجيم والوفْقِ فرقة ... ممزقة فيه بمكرٍ وخدعةِ
وكلهم أمْسى فقيراً مِن النهى ... وإن أصبحوا في ظاهر أهل ثروةِ
وأكثرهم قد ضلَّ عن سُنن الهدى ... وباع الهدى والدين أبخس بيعةِ
وإن لم أقل حقّاً لهم كان باطلاً ... وجوزيتُ مِنْ ربِّي بأعظم جزيةِ
وإن أنا قلتُ الحق لاقيت ما لقوا ... بني فاطمة من جهلِ آلِ أميَّةِ
إذا كان حال الخاص من جهلهم كذا ... فكيف ترى جمهورهم مِن سخافةِ
أموتى تراهم أم نيام بِغفلةٍ ... فيا ذا العلى أمنن عليهم بتوبةِ
لذلِكَ ما صَبَّ الإله عليهم ... عذاباً مهيناً من أليمِ عقوبةِ
وأسلمهم من بعد عزٍّ وقدرةٍ ... إلى القهرِ فانقادوا بذلٍ وكسرةِ
وأدخلهم في سجنِ عجزٍ مضيقٍ ... وأخرجهم من دارِ عزٍّ وفسحةِ
وذلك عدل منه صرف لأنه ... بما كَسبتْ أيدِيهم مِنْ جريرةِ

وما فرّقوا مِنْ دِينهم واقْتدى كما اقتضى هواه كلُّ حزب بقُدْوةِ

* * *

الإشارة التاسعة:

في صاحب الوقت

إمام الهُدى حتى متى أنت غائب فمنَّ علينا يا أبانا بأوبةِ
تراءت لنا رايات جيشك قادماً ففاحت لنا منه روائح مُسكةِ
ويُبْشِّرت الدنيا بذلك فاغتدت مباسمها مفترةً عن مسرَّةِ
مللنا وطال الانتظار فجد لنا بربك يا قطب الوجود بنظرةِ
تدارك لحال الوقت وارحم أهيله فقد أصبحوا في شقوةٍ ومذَلَّةِ
وعالج بلطفٍ منك مزمن رائه فأنت طيِّب النَّفس في كل مرضةِ
وقوِّم لنا بالعدل ظهراً قد انحنى وعدِّل مزاجاً منه مال بحكمةِ
فأنت لهذا الأمر قدماً معين لذلك قال اللَّه أنت خليفتي
سندعوكَ إن أمرٌ عنانا لنصرنا ومثلك من يُدعى لكل ملمَّةِ
لأنك من عِلمٍ لنوعِك ذا أبٌ وأنتَ أبوكَ الشمس من غير ريبةِ
برزت لنا في صورة العلم أوّلاً وأيقظت فيها كل نفسٍ زكيَّةِ
وأودعتنا أسرار كل حقيقةٍ وعلَّمتنا أوضاع كل شريعةِ
وقلت لنا قولاً وقَولك صادِق سآتيكم في صورةٍ ملكيَّةِ
فعجِّل ظهوراً كي نراك فلذّة المحب لقاء محبوبه بعد غيبةِ
زرعت بذور العلم في حر تربةٍ فجاءت كما تهوى بأينع خضرةِ
ويركع منها كل ما كان زاكياً وقد عطشت فامدد قواها بسقيةِ
فلم يروها إلاَّ لقاك فجد به ولو شربت ماء الفرات ودجلةِ
وها أنا في أمواج بحرك سابِح لأرسي بشاطي ساحلٍ أو جزيرةِ

فإن سلِمَتْ نفسي فللّه درها وإلاَّ فقد وفَّتْ لكم إن توفّتِ

* * *

الإشارة العاشرة:

في خواص النفس التام

لك المركز المصدور عنه محيطه وتعلم هذا كل نفسٍ عليمةِ
لكَ النقطة الأولى التي ضلِعُ جنبها بَدَتْ منه حوّا وهي أصل الأنوثةِ
وأنت كبدر التم بالنور كامل يدور عليك النوع دارة هالةِ
فنصفُ نفوس القوم إن حقق امرؤٌ رجال ونصفٌ منه خصَّ بنسوةِ
ظهرت لنا في صورةٍ عبسويةٍ ومن بعدها في صورةٍ أحمديَّةِ
فتمَّت بها الأديان عند كمالها فدار زمان الدين دَوْرة حلقةِ
وقد آن أن تبدو لنا الآن ظاهراً بلا مريةٍ في صورةٍ آدميَّةِ
تخاطبنا منها بما فيه راحة لأنفسنا أنفاس لطفٍ زكيَّةِ
وترفع هذا القهر باللطف رفعة تبدِّل بؤس الدهر منها بنعمةِ

* * *

الإشارة الحادية عشر:

في القيامة الكبرى

يقيم بها دون الزمان قيامةً تخصُّ جميع النوع منها بقربةِ
وينفخ إسرافيل في الصور نفخةً فيصعق مَن في الأرض منها بفزعةِ
ويفنى جميع الخلق طرّاً ووجهه المهيمن باقٍ وحده بالألوهةِ
ويذبحُ عزرائيل عند فنائهم بصورة كبشٍ أملحٍ خير ذبحةِ
وينفخ أخرى بعدها فتراهم قياماً كما كانوا بإنشاء نفخةِ
فذاك قيام الناس في يوم بعثهم بأجمعهم من كل لحدٍ وحفرةِ
حفايا عرايا من جميع تعلُّقٍ كما جاءنا في شرح يوم القيامةِ

عيونهم من عريهم برؤوسهم ... يرون بها المعبود أصدق رؤيةِ
وينصب بين النار والنور عندها ... صراط له حد كحدة شفرةِ
صراط له الميزان بالعدل قائم ... يجاري به الأعمال من كل خيبةِ
وتعرض أعمال العباد بأسرها ... كبيرتها مقرونة بالصغيرة
فقومٌ لهم ناراً وهم في وقودها ... وقوم لهم نور بلذّة جنَّة
هنالك إن قدمت خيراً تناله ... وإن كان شرّاً تُبتلى ببليَّةِ

* * *

الإشارة الثانية عشر:

في الآداب والأخلاق

فمن يسد خيراً فهو مدّخر له ... بجده وفعل الخير خير ذخيرةِ
تخلَّق بأخلاق الإله مقدِّساً ... لنفسك عن أوساخ كل رذيلةِ
تبت فارغاً عن جملة الخلق راضياً ... محلّى بأخلاق الإله الشريفةِ
وقم بحدود الدين واحفظ حدوده ... وراعِ له ترعى به حق حرمةِ
ولازم ألبَّاء الرجال وكن لهم ... خدوماً لكيما تحظى منهم بخدمةِ
وراعِ حقوق الأهل والجار واحذر ... الخيانة في سر وحفظ وديعةِ
وعفَّ بتقوى واعف عن قدرة وكن ... حليماً رصيناً ذا وقارٍ وهيبةِ
وحدِّث بحقٍّ إن نطقت تفز به ... وإلاَّ فلا تنطق بجهدك وانصتِ
وإياك والسلطان والبحر طالباً ... لدنيا تنلها منهما بكفايةِ
وكن خائفاً في حال أمنك منهما ... وفي حال خوف مؤيساً من سلامةِ
ولا تكُ منقاداً لطبعك طيعاً ... فيلقيك يا مسكين في كل نكبةِ
ولا تركنن يوماً إلى العبد واجتنب ... دهائين في تدقيق كل مكيدةِ
وإياك أن تمسي أسيراً لقينة ... وإياك أن تغدو صريعاً لقهوةِ
ولا تك ممن يشرب الخمر دائماً ... فيصرع منك العقل أية صرعةِ

وخذ باعتدالٍ من لطائف ذوقها وإن كنت ذا ذوق بذاتك فامقتِ
ولا تك بالشطرنج والنرد مغرماً فترجع مغبوناً بأبخس صفقةِ
ولا كلفاً بالخيل والصيد ذاهلاً ولا غارقاً في بحر لهوٍ وعشرةِ
ولا تكثرنَّ الهزل في كل مجلسٍ ولا القول إلاَّ في أمورٍ سديدةِ
ولا تنبسط في محفلٍ بتمسخرٍ ولا تمزحن في محضرٍ بسفاهةِ
ولا تكثرنَّ الجمع للمال مائلاً إليه بحرصٍ مفرطٍ وخساسةِ
ولا تكُ متلافاً ولا ممسكاً له فتصبح ممقوتاً به شر مقتةِ
ولا تك عبد البطن والفرج واستعن بتقليل نومٍ مع كثير رياضةِ
وصن منك عرضاً وابذل المال دونه تُغِظْ من يعادي إن فعلت وتكبتِ
ولا تك في سفك الدما متهوراً فقتل بقتلٍ إن خلا من خيانةِ
وحارب إذا حوربت فالحرب خدعة بفكرٍ ورأيٍ واحتيالٍ ولينةِ
وكن مبدياً للخصم منك بشاشةً ولا تبدين يوماً له وجه غلظةِ
وقابل بحلمٍ منك ذا الجهل واجتهد بأن لا يقابل منك جهلاً بجهلة
وكن في سبيل اللّه جداً مجاهِداً ولا تخشَ فيه من أليم ملامة
وخالف هوى النفس التي طالما هوت به نفس حرّ في هوان وهوَّةِ
فذل رجال اللّه في اللّه عزّة وعزّ بني الدنيا مشوبٌ بذلَّةِ
ولا ترهبن الموت قبل حلوله ولا تخْشَ منه إن أتاك بهجمةِ
فكل امرىءٍ يوماً وإن طال لبثه له أجلٌ يأتي لوقتٍ موقَّتِ
ولا دافع عنه له إن أتى ولو تمنَّع عنه بالحصون المنيعةِ
فظلم المنايا في أمورٍ عظيمةٍ كمظم المنايا في أمورٍ حقيرةِ
وكن ناطقاً بالحق إن شاء أو أبى كليمك مقداماً به ذا نَبَاهَةِ
ولا تَخْشَ إلاَّ اللّه في كل حالةٍ يُعِنْكَ وكن حرّاً قنوعاً ببلغةِ
فذو الجهل لا يرضيه شيء وذو الحجـ ـى يعيش بنفسٍ حرة مطمئنةِ

يصحّ انجبار النفس بعد انكسارها إذا قنعت في كسر بيت بكسرةِ
وإن نلت في نيل المعالي مشقةً فإن المعالي بالمكاره حُفَّتِ
فجرِّد عن الأشياء نفسك واقتنع بأيسر شيءٍ من لباسٍ وطعمُةِ
ولا تحزنن يوماً على فقد حرمةٍ ولا تأسفن يوماً على فوت نعمةِ
وساعد إذا ما ساعد الدهر قبلما يفوتك إمكان بتضييع فرصةِ
ولا تُمسي شبعاناً وجارك جائع فتصبح موسوماً بأرذل خِلَّةِ
وكن فطناً شهماً لبيباً ممهداً أديباً كريماً مؤثراً عن خصاصة
وسامح أخاك الحر في فعله إذا أتى زلَّة واغفر له جرم هفوةِ
وكن أبداً هشاً له مبْتسماً ولا تكُ ضحاكاً ولا ذو عبوسةِ
يدم لك مهما عشت أو عاش وده وتصبح معروفاً بعهد وذمَّةِ
ولا تك منكاداً إذا زرت صاحباً ولا قاذفاً من غاب منك بغيبةِ
ولا ذاكراً بالسوءِ من قد عرفته ولا ناسياً يوماً لعهد وصحبةِ
وسرَّك فاحفظه وكن كاتماً له تعش في أمان من أذى ذي عداوةِ
وكن آخذاً بالحزم في كل حالةٍ تحاول تسلم من سهام ندامةِ
ولا تك حقاداً إذا صاحب أسا إليك وأبدي عنده ذا صنيعةِ
ولا ناقضاً عهداً لخِلٍّ محافظٍ ولا قاطعاً حبلاً لصاحب وصلةِ
ولا حاسداً خلقاً على فضل نعمةٍ ولا ناسياً حقاً لمبدي صنيعةِ
ولا تكُ في حال الغنى طاغياً ولا إذا مسَّ فقرٌ مظهراً لكآبةِ
وإن يك خطبٌ حلَّ فاثبت وداره بصبرٍ جميلٍ عند أول صدمةِ
وخذ من صريح العلم والفضل كلما يزينك في حال المقام ورحلةِ
ولا تك ذا خبثٍ ومكرٍ مناقضاً فتبلى بذي مكرٍ ونفسٍ خبيثةِ
وعوِّد بصدق القول ما دمت قائلاً لسانك واحذر أن يفوهَ بكذبةِ
ولا تك سَفْسافاً لخوفٍ من امرىءٍ ولا طمع من رغبةٍ أو لرهبةِ

ولا تك دخّالاً على الناس خارجاً بصورة إيذاءٍ ونقل غيمةِ
ولا تك هجّاماً على من عرفته فتدعى ثقيلاً أهوجاً ذا حماقةِ
ولا تك جذّاباً بحرصٍ تكاسباً لأسباب دنيا من وجوهٍ خسيسةِ
ولا تك كسلاناً عن الكسب واحترز من الذلّ للإخوان في نيل حاجةِ
ولا تك مغروراً بجاهٍ تناله فتسلبه الأيام أعظم سلبةِ
وكن حاملاً أثقال قومك دافعاً بسعيك عنهم همَّ كل مهمةِ
وكن راعياً عهد الخليل وإن خلا أخوك فصل واحفظ حقوق الأخوَّةِ
وكن شاكراً للّه في كل حالةٍ ولا تظهر الشكوى إذا النعل زلَّتِ
ولا تكُ جباراً إذا دولة أتت ولا خوراً منها إذا هي ولَّتِ
وكن أبداً عن صحبة الناس هارباً فعزّ الفتى في أن تراه بعزلةِ
ولا تله عن محو الرذائل واقنن الـ ـفضائل واعهد فهي أفضل قينة

* * *

لمعة واحدة:

في شرح أحوال الناظم

وإني لمنقادٌ لخلي كما أشتهي عصيٌ على خصمي انجذاب شكيمتي
وإن ضنَّ ذو بخلٍ عليَّ بماله سأمنحه مالي ونفسي برغبةِ
لأنّيَ من قوم هم زبدة الورى وهم بقياسٍ كالمخيض لزبدةِ
هم القوم لا يشقى الصريخ بهم إذا دعاهم إلى جليّ ويوم كريهةِ
لنا الشرف الأعلى الذي طور عزه تذلُّ له أعناق كل قبيلةِ
ونحن لأهل الشرق والغربِ قبلة تصلّي إلينا سجداً كل ملّة
وأيُّ يد للفخر مدَّت ولم يكن لنا خمسها تومي لفخرٍ ونجدة
وقد نزَّل الرَّحمٰن مائدة لنا حوت كل شيء من طعومٍ لذيذة
تغذي غذاءً لا ترى الموت بعده فهل فيكم من آكلٍ يا أحبتي

لقد شرفَت نفسي جلالاً ورفعةً ... وذاقت وتاقت هام كل منيفةِ
سموت إلى أوج العلى فبلغته ... ولكن بكدٍّ متعب ومشقَّة
وشاهدت أشياءَ الوجودِ بعينها ... كما هي في مرآة ذاتي الصقيلة
وأثَّلْتُ مجداً دونه المجد شامخاً ... دعائمه رصَّت بأحكام مكنةِ
وقد تدرك المجد المؤثل غرمةٌ ... إذا بعثتها همةٌ مثل همّتي
علوت إلى أن جاوزت نعليَ العلى ... وطلتُ إلى أن نلتُ كلَّ طويلة
وضاقت بي الإقليم من عظميَ به ... فلم أستر فيه لغاية قيمتي
فإن أصبحت رجلاي تمشي على الثرى ... ففوق الثريا يدُ أطناب خيمتي
أبيت خليَّ البال من دون كثرةٍ ... بحال رخيّ الحال من غم قلَّة
وإن قابلتني من جهولٍ سفاهةٌ ... يقابلها حلمي بعفو مروءتي
فلا بات يطغيني الغنى إن بلغته ... ولا بات يثنيني عن الجود فاقتي
ولو في فم الضرغام أصبح مطلبي ... هجمت عليه الجيش من غير خشيةِ
سيعرف من لم يعرف اليوم من أنا ... مقامي غداً إن كان من أهل شيعتي
تخاطبني نفسي بأشياء في الكرى ... إذا عاينتها عين غيري أقرّت
ومن خطب العلياء يوماً ولم يكن ... صبوراً على وقع الظبا والأسنَّةِ
فليس له في أن يعرِّض نفسه ... لها وليعش قنعاً بأدنى معيشةِ
وما مانعي منها ونفسي أبيَّةٌ ... وعزمي ماضٍ والليالي ممدَّتي
وقد شملتني من إلٰهي عنايةٌ ... وأيَّدني منها الزمان بنسبةِ
سخاءٌ وعلمٌ راسخ وشجاعة ... وحزمٌ وإقدام وإرهاف عزمةِ
ولي حالة أخرى ظفرت بعلمها ... وإن عشت منها نلت غاية بغيتي
أصدُّ قِلَّى عنها فتُعزى بوصلتي ... إن أنا يوماً جدتُ بالوصل صدَّتِ
أيا نفس جدّي في طلابك واصبري ... ولا تقصري إن كنت نفسَاً مجدَّةِ
أأحبابنا إن الليالي بعدكم ... رمت بسهام البين شملي فأصمتِ

تفتَّت مذ غبتم فؤادي بالنوى وأيُّ فؤادٍ بالنوى لم يُفتَّتِ
لئن كنتم يوماً آنستم بغيرنا فعندي لكم واللّه أعظم وحشةِ
وإن نقض العهد الأخلاَّء أو نسوا فحفظي لذاك العهد دأبي وشيمتي
أقمتم بأكناف الغوير وصبكم بسيواس ملقى في ربى أرمنيَّةِ
يجول جبال الروم في هوَساته يروم مراماً دونه كل صعبةِ
بعيدٌ عن الأوطان فرد مشتتٌ طريدٌ عن الأوطان في كل بلدةِ
فطوراً أرى من فوق صهوة شامخ وطوراً أُرى فوقي جبال حزومةِ
وطوراً تراني راجلاً بين رفقة وطوراً تراني فارساً وسط قفرةِ
وطوراً ترى الديباج ثوبي وتارةً تراني لفيفاً في كساءٍ وشملةِ
ولستُ أبالي إن أكلتُ لقيمةً وبتُّ ورأسي مسندٌ فوق لبنةِ
ولا فارق عندي بين يابس كسرةٍ إذا نلتها يوماً وبين قليَّةِ
ولا بين نومي فوق خزّ مزوَّقٍ وبين منامي فوق صحصح تربةِ
فذوقي بذاتي دائماً وتعارفي وشوقي وعشقي للعلى وسياحتي
لساني قوسي والتفكر جعبتي ولفظي سهامي والمعاني رميَّتي
وعقلي سلطاني ونطقي حاجبي وجسمي تختي والملوك رعيتي
ونفسي نديمي والمباحث مطربي وذهني كأسي والحقائق خمرتي
مخيلتي تجلو عليَّ عرائساً بديعات حسن والتميُّز شمعتي
وصدقي صديقي والعفاف مصاحبي وسري سميري والمعالي حبيبتي
وصبري معيني واحتمالي معاوني وحلمي أنصاري وسلمي وسيلتي
وفقري غنائي واشتغالي فراغتي ومالِيَ تجريدي وكنزي قناعتي
وحزمي وعزمي صاحباي ومركبي حيائي وتفويضي إلى اللّه حيلتي
ولا عمل في غير علمي بعفوه ولا شافع لي غير إخلاص نيَّتي
ولا شبتُ من عد السنين وإنما خطوب صروف الدهر شيبن لُمتي

لعمريَ إن ولَّى الصبا وأتى النهى ... فقد أخذت مني الليالي وأعطتِ
تجرَّعت أحداث الزمان وذقتها ... بطعمي خباها حلوة بعد مرَّة
فلم أرَ في الدنيا أشد نكاية ... بقلب محب من فراقِ أحبَّة
فدونكُموها يا بني العلم وانشروا ... قواها وعوها نكتةً بعد نكتةِ
لعلكمو أن تدركوا الفوز بالمنى ... إذا ما فهمتم ما حوت من بديعةِ
وإن أظلمت طرق الضلال لكم فقد ... أضاءَ لكم مصباح نور النبوءة
خذوا درراً منها سنيٌّ سناؤها ... يردُّ الدراري خنسّاً بالأشعَّةِ
أتتكم بأدواءِ الجهالةِ طبة ... مشرقة تطغى سنا المغربيَّةِ
تزيل عمى عين الزكي وتذهب ... الغشاوة منها عاجلاً فرد كحلةِ
وكم ميت أحيت وتحيي بردها ... عليه قوى روحٍ لها بعد فرقةِ
أتت تتهادى كالمها بملامةٍ ... عراقية بصرية عامريَّةِ
لها زي مسكين لضعف معينها ... ولكنها سلطان كل قصيدةِ
وبكر أتت لا فارضٌ بدرُ علمها ... إذا ما بدا أخفى سُها الفارضيَّةِ
تخال معانيها خلال حروفها ... كواكب تبدو في حنادس ظلمةِ
كأنَّ قوافيها ورصف بيوتها ... وما ضمنته من شريف فضيلةِ
عقود لآلٍ رصَّعت بزبرجدٍ ... كزهُو نجوم أو كأزهار روضة
وليست إذا عددتها بطويلةٍ ... يملُّ بها الراوي ولا بقصيرة
ولكنها (ث) ثم (هـ) ثم نظمها ... بسيواس في (ذالٍ) لتاريخ هجرةِ
خذوها هنيئاً يا أخلايَ واعملوا ... بما قلته فيها بصدق طويَّةِ
فكم لي بها فضلٌ عليكم ومنَّةٌ ... ولِلَّه كم فضلٌ عليَّ ومنَّةِ
سعيتُ بجدٍّ بالغٍ لذوي النهى ... بكشف معانٍ كم عيونٍ قد أعمتِ
فإن كنت في سعي مصيباً فبالحري ... وإلاَّ فهذا كان مقدار طاقتي

* * *

تائية

الشيخ محمد وفا بن محمد النجم بن محمد السكندري(*)

[٧٠٢ ـ ٧٦٥هـ / ١٣٠٢ ـ ١٤٦٤م]

لـيـت فـؤادي فـي سـبـيـل مـحـجـتـي ... تـحـج قـلـوب لـلأحـبـة حـنـت

ولـمـا تـجـلَّـى الـحـق فـيـه لـوجـهـه ... تـوجـهـت الأسـرار مـن كـل وجـهـة

هـلـمـوا فـإذن الـلَّـه إذن مـعـلـنـاً ... وقـد هـامـت الألـبـاب فـيـه فـلـبَّـت

وسـارت لـه الأسـرار سـرّاً لـسـرّه ... وطـافـت بـه الـسـبـع الـمـثـانـي وجـفـت

فـأبـنـاء روحـي كـل قـلـب مـنـبـأ ... وأربـابـهـا فـي حـجـر حـجـري تـربّـت

وإنـي أبـو مـن كـان قـبـلـي أبـا أبـي ... وتـحـقـيـق هـذا مـنـه حـق الأخـوة

يـفـيـد فـؤادي كـل قـلـب تـمـثـلاً ... نـزيـهـاً عـن الأمـثـال فـي الـمـثـلـيـة

ومـن عـرف الـحـق الـمـحـيـط بـذاتـه ... تـصـوره فـي كـل شـكـل وصـورة

لـه الـمـثـل الأعـلـى ولـيـس كـمـثـلـه ... مـثـال تـراءى فـي الـمـرائـي الـمـنـيـرة

(*) هو العارف بالله تعالى الشيخ محمد (وفاء) بن محمد النجم بن محمد السكندري، أبو الفضل أو أبو الفتح، المعروف بالسيد محمد وفا الشاذلي.

رأس (الوفائية) ووالدهم، بمصر، مغربي الأصل، مالكي المذهب، ولد ونشأ بالإسكندرية، وسلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ونبغ في النظم، فأنشأ قصائد على طريقة ابن الفارض وغيره من القائلين بوحدة الوجود ورحل إلى إخميم فتزوج واشتهر بها وصار له مريدون وأتباع، وانتقل إلى القاهرة، فسكن (الروضة) على شاطىء النيل، وكثر أصحابه، وأقبل عليه أعيان الدولة، وتوفي بها، ودفن بالقرافة.

وكان واعظاً، لكلامه تأثير في القلوب، ويقال: كان أمياً.

وللشيخ عبد الوهاب الشعراني كتاب في مناقبه.

له: ديوان شعر، ونفائس العرفان من أنفاس الرحمٰن، والأزل ـ مطبوع بالدار بتحقيقنا ـ، وشعائر العرفان في ألواح الكتمان، والعروش، والصور، والمقامات السنية المخصوص بها السادة الصوفية.

له تشهد الأشهاد في كل مشهد فكل إمام فيه أمّ بأمّة
فيمحو بروح الوحي نقطة فرقه ويثبت عين الجمع في كل فرقة
وينفخ روح الحق في كل نحلة ويملي كلام اللّه في كل ملّة
فكل دعاة الحق تدعو لعدنه وداعيه يدعو للمعاني العلية
ومن سيرة الإسراء عن قاب قربه روى كل راء ما رأى دون مرية
فأوحى لأرواح العلا روح علمه فعلّمها الأسماء حتى تسمّت
فآلاؤه آلاء آل ولائه وأسماؤه أسماء نفس وسيمة
وأعينه في العالمين تعيّنت وقد أشرقت من نور عين البصيرة
فأعين عين اللّه ترعى بعينه جمال تجلّى في رجال أجلّة
وكان لهم عين الصفات وهم له كذلك عين الذات في عين غيبة
لذاتان وصف واحد غير جائز وتجريد وصف الذات ليس بمثبت
فكان لهم في النص سمعاً وناظراً وكان يداً منهم بصدق المودّة
إذا انحلّ تركيب المعاني عناية تكون صفات للذوات البسيطة
ويحصل منها داخل الذهن صورة مجرّدة عن كل شبه وشبهة
تعالى علاها عن حديث محدث بأخباره يدلي على غير خبرة
فكل محب هام فيها وحسنها به قد تجلّى حسن كل مليحة
أحاضرها في الغيب في كل حضرة وأنظرها بالعين في كل نظرة
تطابق مني كل كون بكونها ففي كل كون كونها في أكنة
وساومت منها وسم كل وسيمة بنفس بها من كل عيب سليمة
يقرّبني منها إليها وجوبها وتقرب من كوني بإمكان مكنتي
فعندي لها كون وكوني عندها فلا غيب إلاّ فيؤ حضيرة حضرتي
قطعنا بطيب الوصل أطيب عيشة بقرب وجمع واتحاد ووحدة
بنيت بها بيتاً لها من بيانها وكان بنائي في بياني وبنيتي

وأحللتها البيت الحرام وإنها من المسجد الأقصى بأقصاه حلَّت
تملَّت بها الآمال في كل ملَّة وآمالها مني بمنى تملت
محجبة بالنور من سبحاتها كما حجبتني أنوارها بالأشعة
ولما رفعنا الحجب في رفع بيننا تولَّى الولا في البين بالنبويّة
وقد جاء في أسمائه وصفاته تبارك اللَّه وجهه من غير حجبة
وقد حشر الأجماع في يوم جمعه إلى جامع الإجماع في يوم جمعة
فواحده المشهود في كل واحد هو الواحد القيوم بالأحدية
وبعد فبعدي فيه قرب وقربتي هي البعد في قربي بمعنى المعية
ففي حديث الأقدمين معنعن تبين في عين المعاني المعينة
وفي خوف خوفي كان عين خفيتي وفيه تمنى الأمر مني بمنيتي
فأمنته خوفي فخاف أمانه خفي التمني في بقاء بقيتي
فعاد انعدامي في وجود وجوده على كل شيء كان تحت مشيئتي
فما شئت شيئاً بعد عودي لمعدمي وفي موجدي جاد الوجود بجدتي
فأحيا وجودي بعد ذاك وإنني وجدت فنائي فيه عن منيتي
ومن بعد فالمعجوز عنه هو الذي تحيَّر فيه كل عقل وفكرة
وذلك ذات اللَّه جلَّ جلاله تعالى عن التحصيل والعدمية
فلا هو معدوم ولا هو حاصل لشيء سوى من وجه علم البديهة
وما هو إلاَّ العجز من كل مدرك بعقل وعلم أو بفهم وفطنة
وكل علوم العالمين وإن علت مظاهر تبدو بين روح ونفخة
فللروح بالرحمٰن في كل عالم معالم أعلام العلوم المحيطة
وللنفس بالإنسان في كل كائن مكانات إمكان الذوات المكينة
وللوسط المختار بالجمع غاية تدور بها الأفلاك في كل دورة
وفي منتهى جمع الجموع نهاية لجامع إجماع الجموع تهيَّت

وروح حياة اللَّه قامت بعلمه وحلَّت بروح النفخ في البشرية
لها من صفات الذات سبع حقائق وأما صفات الفعل بالعرضية
تسمَّت بأسماء الوجوب لأنها إليها يعود الأمر في كل كرة
معالمها السبع المثاني تظاهرت مظاهرها حقاً كشمس الظهيرة
فآدم في نوح تبدى ووجهه تجلَّى بإبراهيم في الموسوية
وأشرق في داود بنجله وأعلن بالتعيين في العيسوية
وإنسان عين الجمع في عين جمعه تطلع بالمختار في خير فرقة
وقد نظم الأعصار في سلك عصره سلوك اعتقاد في عقود ثمينة
وفي كل قرن من قرون زمانه تمثل روح الوحي في شكل دحية
وثامنها الرحمٰن فيه بعرشه تجلَّى بوجه جلَّ في المثليَّة
له المثل الأعلى وليس كمثله تمثَّل مثل في تهيؤ هيئة
تمثَّله المخصوص عرش استوائه هو الأزل القيوم في الأبدية
له حشر الأشهاد في عين غيبه وقام بها من غير غير وغيرة
له غاية الغايات تعزى وعزّه يمنعه بالمنع في كل منعة
ومَن كشف الأمثال في كل عالم رأى الحق يبدو في ذوات كثيرة
وتنظر شخص النور في النور قائماً محيطاً بأنوار عليه محيطة
وهذا التجلِّي النور فيه وفعله تمثله فيه بكل رقيقة
سراج منير في سنا سبحاته تكثر وهو الفرد في العددية
وفي ساعة يأتي إلى كل ميت يموت بها عزرائيل في كل صورة
تمثله يبدي رقائق نفسه فأمثاله للخلق رسل المنية
وقد جاء يأتي اللَّه في كل صورة يصححها ذوق العقول الصحيحة
وهذا كليم اللَّه جاء كليمه يكلِّمه في هيئة شجرية
وفي مجمع البحرين جاء معلماً يعرفه التنكير في العلمية

ولن تستطيع الصبر منه لكن ترى فلا تنح للتصويب بالعصبية
وفي خرقه والقتل ثم يرفعه جدار اليتامى في كنز كل يتيمة
لكل ولي في الورى خضير كما لكل رسول جبرائيل بنسبة
له يتبدى من قواه لفعله نواميس حق لا تراب بريبة
سوى الواحد المخصوص باللّه وحده هو اللّه في أسمائه الأحدية
سماواته والأرض في روح خلقه هو المدرك الحساس في النقلية
وأيامه الأنوار خمس حواسه ووجه اشتراك الحس سادس ستة
وأيام يوم الدين آباد دهره مجردة فيه عن الأمدية
هو العقل حكم الحشر في ملكوته ترى الخلق فيه بين عزٍّ وذلّة
فناطقه في مَدرك الحس فاعل هما في بيان النون والعلمية
وأيام يوم اللّه فيه معارج إلى يومه القيوم بالأزلية
وللنفس في بيت الطبائع مربع وأركانه موضوعة في الطبيعة
تمثلها في كل ركن لطفها يولد أشكال النفوس اللطيفة
وكرسي روح العقل في ملكوتها تمثل في أشباحه الملكية
وعند بروز العرش في جبروتها وأسماؤه الحسنى به قد تجلّت
تبدّلت الأسماء في كل كائن بأسمائه والعين بالعين قرّت
وهذا كتاب اللّه خذه بقوّة فقد قام في التنزيل بالكُتبية
هو الناطق الحق المبين بيانه تعالى عن الإبهام والعجمية
وفيه كلام اللّه أعرب سره لسرك عن أسرار كل سريرة
فلا يوهننك الوهم عن حمل فهمه ففهمك بالإلهام يسمو لهمّتي
وسبعون ألفاً في تضاعف خمسة تجلّى بها الروع الإلٰهي فأثبت
هو العرش والكرسي رأسي وما حوى فذلك كوني من وجوه عديدة
وكل فم فيه كذلك عالم وكل لسان فيه واضح حكمة

ومـن كـان هـذا قـلـبـه فـهـو واحـد لـه الحيطة العظمى على كل حيطة
وبـعـد فـعـنـدي بـعـد هـذا عـمـدة تـعـد لأعـداء الـنـفـوس الـعـنـيـدة
إذا مـا تـحـدت بـالـحـدود وحـاددت حـوادثـهـا تـوحـيـد نـفـس وحـيـدة
حـقـائـق حـق بـعـد ذاك تـحـقـقـت سـوابـقـهـا فـي قـصـة الـعـقـل قـصـت
وقـد عـقـل الـعـقـل الـتـعـقـل عـنـدمـا تـعـلـق حـكـمـاً بـالـنـفـوس الـحـكـيـمـة
فـألـهـاه وهـم الـنـفـس عـن إلـهـامـه وضـلَّ بـهـا الـهـدى عـنـه وضـلَّـت
يـذم بـهـا شـيـئـاً لـعـزَّة شـأنـه فـيـوهـنـه فـي الـوهـم ذلّ الـمـذلّـة
ويـثـنـي عـلـى شـيء بـشـيـن شـؤونـه فـيـلـهـى بـهـا أهـواء نـفـس مـهـيـنـة
وأخـفـاه فـي الـشـرك الـخـفـي خـلافـه بـتـوحـيـد شـرك فـي الـشـكـوك الـخـفـيـة
لـه خـلـفـاء فـي الـخـلاف تـخـلـفـوا وأوفـاق وفـق خـلـف كـل خـلـيـفـة
ومـن حـضـرات الـغـيـب عـيـن لـعـيـنـه يـحـاضـره فـي كـل عـيـن عـمـيـة
وسـائـلـه الأسـبـاب وهـي سـؤالـه ومـسـؤولـه فـي الـسـؤال عـنـد الـوسـيـلـة
وذلـك عـقـل الـنـفـس ذات عـلـومـهـا عـلـوم اكـتـسـاب بـاجـتـلاب الـجـبـلـة
ومـا الـفـصـل فـي أصـل الـحـوادث نـسـبـة مـحـازيـة عـنـد الـحـقـائـق حـقـت
وفـي عـلـم تـحـقـيـق الـعـلـوم مـعـالـم تـعـلـمـه جـهـل الـعـلـوم الـجـلـيـلـة
ولا شـك أنَّ الـلَّـه لا شـك عـنـده ولا شـك فـي شـرك الـنـفـوس الـشـريـكـة
وبـعـد فـعـنـدي بـعـد ذلـك عـمـدة يـحـقـقـهـا حـق الـذوات الـمـحـيـطـة
وفـي حـيـطـة الـجـسـم الـمـحـيـط بـذاتـه تـعـيـن عـيـن ذو عـيـون عـديـدة
وإنـسـانـه فـي عـيـن أعـيـان عـيـنـه بـصـيـرة أبـصـار الـعـيـون الـبـصـيـرة
وتـنـظـر فـي عـيـن الـوجـود وذاتـه وجـودات جـود بـالـوجـود مـجـيـدة
وفـي عـيـنـيـه روح الـحـيـاة فـقـامـت بـأرواح الـحـيـاة الـقـديـمـة
ورحـمٰـن روح الـروح فـي أرواحـه مـراتـبـه تـسـمـو عـلـى كـل رتـبـة
ولـلـعـدم الـمـعـلـوم فـي غـيـب ذاتـه إحـاطـات غـيـب بـالـظـنـون تـغـطّـت

تعرت جلابيب الوجود ذواته فعوراتها عن كل عيب عرية
ففي كل معدوم عليم بجهله توارى بأعيان الوجود الشهيرة
وفي مقتضى النفي المحيط بذاته قضايا امتناعات عليه منيعة
ففي كل مظهر ذوات تخيلت لذي الرأي عن آرائه المستحيلة
وفي غيبها المعجوز عنه دونه تبدَّت بأحوال لديه مهولة
وعندك إدراك بكل إحاطة يقارن منها منه كل قرينة
بخاصية موجودة مع وجوده ومفقودة مع فقده بالحقيقة
وفي طيك النشر البسيط وإنما طواك انطوائي في انبساط بسيطتي
ظهرت فأظهرت البديع بمبدعي وأخفيت سري في طوايا طويتي
وحللت أشكال الحقائق في العلا فحرمتها في كل شكل حليلة
وحرمتها لما استبحت حريمها فحلمي بها يأبى استباحة حرمتي
أغار عليها من توهم غيرها وغيري على الأغيار صاحب غيرة
وغيري هو العقل الغيور بغيرة عليَّ من الأغيار نظّم وحدتي
وذلك أن اللّه يخلق ما يشا ويخفيه حقاً عن علوم الخليقة
فيا رب لُب رب ريب وربما أبى الريب في أربابه الربوبة
وألباب أرباب الأبوة قد أبت تنافس ريب في نفوس أبية
فيا سعد من بالعجز ساعد سعده فسار كثيراً للسعود السعيدة
ورام مراماً دون مرماه ربما رمى المنعُ أرباب العقول الأريبة
وحل عن محال الحول لا متخيلاً ودع عنك دعوى كل نفس دعية
عددت عن العادات في قرب قربتي وغيبي عن الغايات غاية بغيتي
وعندي من الرأي السديد بأن ترى تبريك من آراءك البرية
ففي عينك القوم أقوم صورة تطابق منها إذن كل أذن سليمة
فجاءت بإحسان وحسن ومحسن فحسناؤها في كل حسن حسيبة

أروعُ روعي في نفيس تنفسي ... مراعاة رُوع في نفوس رعيتي
وقد همت بالإلهام عن وهم فهمه ... وهمّي تلاها بالفهوم الفهيمة
تأليت لا أتلو سوى أن السوى ... ولا أأتلى إلاَّ بأي ألتي
تطلعت في علم اليقين بعينه ... فحققت في حق اليقتين حقيقتي
فإياك عن إياك يلهيك وهمها ... فكم همة بالوهم عنها تلهت
وكم نمت الأفكار في ثنوية ... من الريب أربابأ من الوثنية
فإياك أن ترضى برأيك أولاً ... وسلّم لأرباب العقول السليمة
فكن مؤثراً آثار مثلي ووارثاً ... مواريث آباء من النبوية
وعان معاناة المعاني عنايةً ... تحاشيك بالمعنى عن الحشوية
وراع مراعاة العيان لكي ترى ... بمرآك أعيان المعاني العلية
وحمُ تحت أحوالٍ تحولُ بحكمتها ... كناسوت سيميائيها في التنوست
فثبته حقاً بوهمك ماحياً ... بعلمك ما أثبته بالتثبت
وإن كنت تدري الحشر والنشر فاسمُ عن ... تناسخك السامي بأسماء نسختي
وقل بافتتاح الدور والختم مثبتاً ... دوائر أدوار القيام الموقت
وذلك أن اللّه يفعل ما يشاء ... ويوعدنا حقاً بصدق المشيئة
ومن عرف الحكم الإلٰهي هكذا ... فهيهات تلهيه لواهيه بالتي
وذلك أن اللّه كان ولم يزل ... كما كان في إثبات نفي المعية
ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل ... وهذا بصدق القول أصدق قولة
وفي لوحك المحفوظ أول حطة ... مؤلفة من نقطة ألفية
إذا محيت صارت كتاباً مجرداً ... مهيَّأة في الذهن في أي هيئة
أنامُ نيام يحلمون تحلماً ... وأحلام قوم وحي روح حليمة
فهذا أراه الحق حقاً بحقه ... وذاك يهدي في سراب بقيعة
وهذا رسول اللّه أفصح ناطق ... يخاطب بالمقدار في كل خطبة

وصدر أبي بكر خزانة صدره ولولا انشراح الصدر لم يتثبت
فأمكن مكيناً منك صاحبُ مكنة يميت ويحيي كلَّ حي وميت
وإن كفؤاً للكفاية كافياً كفيت به آفات فوت التلفت
وقابل إذا استقبلت قبلة وجهه قبول اقتبال في وجوه وجيهة
وهذا كتاب الله فيه بلاغة تبلغتك الغايات في أي بلغة
جلالك إذ يجلو جلالك جملة تريك جمالك اللّه في كل جملة
وفي بيعة الرضوان رضوان من تُطع وناهيك من طوع وآية بيعة
وفي كل شيء إن فهمت إشارة تشير لشيء وكشفه في شجية
أخلق خلقي من عظيم تخلقي كتنزيه حقي عن مجاز الحقيقة
وإني بتمييز الصفات مقيّد وبالذات فيها مطلق وهي ميزتي
ولي في عموم العلم معنى خصوصه وجملةُ ما فصلته عين جملتي
وحكم علمي بالوجود مؤول وثبات نفي فيه وحدة كثرتي
ووجهي محيط بالجهات ووجهتي بلاغ بليغ في العقول البليغة
تفقدتني في الفقد حتى وجدتني بفقد وجودي في تفقد فقدتي
وإني أنا المنسي في كل ذاكر كما أنني المذكور في كل نسبة
بهذا قضائي في قضايا تعرُّفي وفي عرف تنكيري بعكس القضية
رأيتك بي في كل رأي رويته حقيقة حقي في دنو تدلّت
وفي مذهبي أذهبت كل دناءة تنافس فيها كل نفسٍ دنية
لقد فاز كل الفوز من كنت إلفه فعد بإيلافي من عباد ألفتي
تأليت بالآلاء كل ألية ولُبي بها أبلته كل بلية
تأتي لك الإتيان مني منة بنفسي الإتيان التأني تأتت
وللنفس روح خذ من النفس أولاً وهاتيك تأتي بعد ذاك وهمتي
وأفتاك مفتي الحب أن فتى الهوى تفتيه عن فتوى المحبة ما فتي

وعـنـد أبـي الأرواح روح تـحـكـم عـلـيك بـأحـكـام لـديك حـكـيـمة
وتـكـمـيـل هـذا إن كـمـلـت فـبـعـده كـمـالات ذات بـالـكـمـال كـفـيـلة
وعـرفـان ذات الـلّـه شـرط تـعـرُّفـي فـيـا هـول ذا الـمـشـروط أول وهـلـة
بـوارد إيـرادي مـريـدي أرادنـي وأقـصـى مـرادي مـنـه نـفـي الـتـلـفـت
وأنـهـى نـهـايـات الـنـهـى مـنـه مـنـة أوائـل تـأويـلـي بـروح تـحـيـة
إذا هـو مـن يـهـواه فـهـو مـهـيّـأ بـهـمِّـي لـمـا تـهـواه مـنـه هـويـتـي
هـنـالـك أسـرار وسـر سـريـرتـي ومـسـرى سـرايـات لـتـيـسـيـر يـسـرتـي
ومـعـلـم أعـلام الـعـلـوم الـتـي بـهـا تـخـصـص مـعـمـوم بـتـخـصـيـص نـعـمـتـي
نصحت بتصحيح النصائح صائحاً بصوت فصيح عن صحيح نصيحتي
تـنـزَّلـت فـي ألـواح أرواح روحـهـا بـمـأخـذهـا الأقـوى فـخـذهـا بـقـوّة
قـديـمـة أقـدام حـديـثـة مـقـدم تـحـدثـنـا عـن كـل روح قـديـمـة
تـؤمـنـنـا بـيـن الـحـدوث ومـنـهـا أمِـنّـا بـهـا مـن كـل زيـغ ونـزعـة
مقدسة في القدس وقدس وصفها صـفـاء صـفـات الأنـفـس الـقـدسـيـة
يـسـبِّـحـهـا الـسـبـوح فـي سـبـحـاتـه بـتـسـبـيـح روح الـروح في الـسـبـحـيـة
مـوحـدة فـي كـل تـوحـيـد واحـد يـوحـده الـتـوحـيـد فـي كـل وحـدة
لـهـا غـيـرة تـغـري بـهـا غـيـر أهـلـهـا فـأغـيـارهـا مـا بـيـن غـر وغـرة
فـآه لـمـن ألـهـتـه عـنـهـا بـوهـمـه فـهـام بـيـن الـهـوام الـبـهـيـمـة
فـسـبـحـان مـن قـد خـصَّ آل مـحـمـد وأصـحـابـه فـي كـل آن وصـحـبـة
وأيـدهـم فـي كـل عـبـد مـؤيـد فـهـم مـدد الـتـأيـيـد فـي كـل مـدة
وأرواحـهـم فـي نـظـم روح مـحـمـد فـهـم روح أرواح الـنـفـوس الـحـمـيـدة
فـصـديـقـهـم فـي كـل صـديـق صـادق وفـاروقـهـم فـي كـل فـاروق فـرقـة
شـهـيـدهـم فـي كـل نـفـس شـهـيـدة عـلـيـهـم فـي كـل روح عـلـيـة
وحـيـث تـجـلّـى نـور وجـه مـحـمـد فـأنـوارهـم فـيـه بـه قـد تـجـلّـت

كما هو سرّ اللّه في كل مرسل ... كذلك هم أسراره في الأئمة
وأبداله الأقطاب أحيان حينه ... وأحيانه أنوار أحيان فترة
ففي كشفك الأسرار توحيد وحدة ... وفي رؤية الأشخاص تشخيص شبهة
فأحمد عين اللّه والصحب أعين ... لتعيينه في الأعين الأحمدية
وفي عين غيب اللّه ليس بغائب ... عن الغين غيب اللّه في شرط صحتي
ففي كل شخص أحمدي محمد ... تكثر وهو الفرد في العددية
فإن غاب عين اللّه في عين غيبه ... هو اللّه في أسمائه المستوية
ففي عين الجمع منه جميع ما ... أحاط به علم العلوم المحيطة
عليه صلاة منه تشمل صحبه ... وأنصاره والآل في كل ملّة
بطاقة نطقي قلت ذا القول والذي ... أقل بقلبي فوق طاقة فطنتي
أناجي نجياً من لجاجة جهله ... بتأصيل تفصيل لتوصيل وصلتي
فيأخذ منه كل سمع بوسعه ... بتوفيق أوفاق من الأفقية
فمن حال فيه عن حضيض حظوظه ... بمحضر حظي فهو حضرة حظوتي
وهذا نذير جاء بالنذر الألي ... يؤول متا أولاه بالأولوية
بطاقة نطقي في بطاقة ناطقي ... بعثت انبعاثي في تباعث بعثتي
يخلص فرقاني من الفرق فرقتي ... وفي سورة الإخلاص صورة سورتي
رميت ورا مرمى المصيب برأيه ... إصابة رؤيا عين تحقيق رؤيتي
وسرت بسري سير كل سريرتي ... وفي بعضها قد كلّ كلي وكلتي
وجرّدت جلباب الوجود بجودة ... وقد جدت بالتجريد عن كل جودة
وخلفت خلفي بعد ذاك تخلُّفي ... بتقصير طولي في تطاول قصتي
ولم أعتن في عين كل عناية ... وفي الفقر من فقري عنائي وغيبتي
تفتت بها الفتيان وهي فتاتهم ... وكادت لها الأكباد أن تتفتت
فلم ألف إلفي عند غير تألُّفي ... وقد فاء في التأليف عن إلف ألفة

تفانيت عني في فناء فنونه فأفنى تفانيه تفنن فنيتي
فآثرني بالإرث من مأثوره وميراثه يشري على كل ثروة
وفي الإرث مأثور عقلي خبأته وإني به استأثرت من بين إخوتي
وفي آل إسرائيل منه بقية ولي من إلٰه العرش خير بقية
ولم يبقني إلاَّ بقاء بقية بقيت بها من قبل في عدمية
وعن نفس الرحمٰن معنى تنفُّسي وفي رحموتي كل نفس رحيمة
وفي جبروت الجبر يجبر كاسري بكسري كسيراً عند إرهاب رهبتي
وفي ملكوتي مالك ملكاته تقوم بأمري في أوامر إمرتي
ولاهوت ناسوتي يخلق خلقه حقائق حقي باقتدارات قدرتي
وهيّأت باللاهوت في كل جوهر من الجسم إنساناً على مثل صورتي
وفي كل تركيب نزلت مفارقاً وفي علل الأفلاك قمت بعلّتي
فخطى قويم الأصل ميل فروعه يخط خطوطاً أخطأت أصل خطتي
جلوت جمال في عيون تعييني فأعين عيني قد فتن بفتنتي
فكل مليح عنه كل مليحة تجلَّت بأنواع الجمال الجميلة
وكل محب عنه كل محبة جلا عنده فيها له كل محنة
فمني محب والحبيب وحبه وفي صبوي والتصابي وصبوتي
أهيم بوجدي في وجود تواجدي وأشهدني في شاهدي عند عودة
ويسمعني الأسماع من كل مسمع بتسميعه في كل سمع سميعة
يناغي بأنواع المناغاة غانة تغنت بأنغام حوت كل نغمة
وينشقني أنفاس عرفي تنفس به نسمات الطيب في كل نسمة
روائح أرواح الرياحين روحها تروحن روحي في غدوي وروحتي
وفي كل ذوق ذقت كل مذاقة فلي لذّة اللذات في كل لذّة
بكاسات كيسي كل كاس وكيس على كل شرب طاف من لطف شربتي

فسكران سكري أسكر السكر سكره ففي كل سكرات تساكر سكرتي
وصحوي بعد السكر كالصحو قبله وفي سكرتي صحو يصحح سكرتي
فسكري بصحوي بعد كون تكوني وصحوي بسكري قبل نشأة نشوتي
وفي لك ملموس ولمس ولامس للمس اشتراك اللمس في كل لمسة
وفي كل خمس من حواسي خمسها ففي الخمس خمس وهو خامس خمسة
ولي فيه عرش تحته كل كائن له مثل التمثال من غير مثلة
وفي كل محسوس توسع حسه لمحسوسه في حواس أحست
وفي الحس المحسوس كل رقيقة تلازمها في كل شكل رقيقة
وفي الجسم أجسام بكل لطيفة دقائقها قامت بكل دقيقة
وكثرة مثلي في توسع وسعها تعدّت عن الأعداد والعددية
ولي في التجلّي بالجلال جلالة لها في سماء العزّ أسماء عزّة
تلاشى لديها كل شيء وقد طوى بساط انبساط البسط في قبض قبضتي
وفي كل مربوب عبيد لربه لهم منه أرباب به قد تربّت
وفي حكمه بالقبح والحسن حكمة يحققها التشريع عند الحكومة
وفي الطبع بالوهم الخفي مخافة وفيه رجاء منه عند الرجية
وتنشيء له الأشواق كل كآبة وتملي له الآمال كل ملمة
وينشيء له الهمّ المهم بوهمه مهامة هم عند كل مهمة
يسير ولكن في مهامه وهمه أسيراً بأسره في شدائد شدّتي
يدور بدار التيه في كل دورة وحيره التحيير في كل حيرة
عبادة عبد اللّه عند عباده عبودية قامت بكل عبودة
وفي عين جمع العين من كل كامل كمال به التمييز في الأكملية
تحسست مني في حواسي فعندما أحست حواسي بي تداعت لدعوتي
فلم يبق غيب عن عياني غائباً ولا عين عن عيني توارت برؤيتي

وياء ضميري في ضميري مضمر وأسماء أسمائي إليه أضيفت
هنالك يبدو السر وهو مستّر وإفشاؤه يخفيه في كل خفية
وهذا هو المعجوز عنه حقيقة فلا تطمعن في كشف ستر سريرتي
وعن وسم أسمائي سموت لأنني توسمت في الأسماء سوم التشتت
وعن قيل أقوالي استقالة قائلي وكان قلائي فيه من قبل لقيتي
وفي نار خوفي قد تخفت خوالفي وفي جنّتي جنّ النفوس استجنت
وفي حضرتي غابت شواهد حاضري فعن عين عيني كل عين عمية
ومن عرف الحق المبين بنكره خفي عنه ما أخفاه تنزيه نزهتي
فنقطة روح الكون كون تجسمي فجسمي بها قد قام في الجسدية
وتحليله بالنفخ مثل حلوله به على مقامات من الأفقية
وفي النشر بالتحليل حشر جواهري بأملاكها في الأوجه الفلكية
ويجمعها من بعد ذلك جامعي بحكمة حكمة الدور في كل أكلة
فتتحد الأجزاء من كل آكل بأجزاء مأكول لتنطيف نطفة
وفي ذرة الأصلاب في كل نطفة تعدد أعيان من الأبوية
وأما الذي يبلى إذا انحل نظمه دم كنت فيه منه بالبدنية
وهذا بنص الشرع ولكشف مثبت نسخت به حكم التناسخ فأثبت
وآدمنا بالعين في كل غاية مسبعة يأتي لسابع سبعة
وحتى إلى يوم القيام قيامه على صورة الرحمٰن صورة صورتي
وأعيانه السبع المثاني تحمّلت بثامنه عرش العروش المجيدة
إذا أسلم الجن العصي وأسلمت قرائنه في كل نفس عصية
وزالت شكوك الشرك عن كل عاقل أتى الحق في أحكامه الحكمية
وحقاً صفات اللّه قامت بذاته وجوباً وذا الأغيار عنها عرية
وآخر نفى الغير مبدأ ثبوته وباللّه كشف الغم من كل غمّة

ومن لم يكن باللَّه قام بنفسه ... وواهاً لنفس عن ولاه تولَّت
وما يتحلَّى من حُلى روح أمره ... خلا روح أمر عن حُلاها تخلّت
تجرّدت عن تجريد كل مجرد ... وألفيت ستر الحال في لبس لبستي
وقمت مقاماً لم يقم فيه قيم ... وما قام قبلي قائم مثل قومتي
ويوسف مفهومي عزيز وإنما ... غيابه هجر الهجر في زهر إخوتي
خليلي خلي من سواي وليس لي ... خليل سوائي والسوى عين سوءتي
حلفت بحلفي وهو إياي إنني ... تبرَّأت براء من جميع البرية
فكيف وعندي كل شيء وليس لي ... لشيء سوائي حاجة وهي حجّتي
خرجت لنفسي عن نفائس نفسها ... تكون كما شاءت بأي مشيئة
سلام على قلبي السليم وبعده ... على دحيتي من بعد أزكى تحية
متى ما أرى تنقيص شيء من الورى ... فلست مصيباً وهي أقصى مصيبتي
ولكن في التفصيل أحكام حكمة ... وتأصيل توصيلي لإجمال جملتي
وفي وحدتي أصبحت بي متواجداً ... تواريت عن آراء رأي مشتت
وما ذاق ذوق من خلاصة مخلص ... بكاسات كيس غير نفسي النفيسة
وفي برها للَّه عنه تبرَّأت ... وعن قربات القرب حتى أبرَّت
وحالت عن الأحوال في كل حالة ... وعن كل حظ في الحضيض ترقَّت
وما هالها هول به دون همها ... وفي كل مهواة من الوهم أوهت
وليس لها في السير دار مقامة ... وقد هجرت في الهجر أوطان هجرتي
وحتى نفت نفي النفاة ولم تقل ... بإثبات ثبت في تثبت مثبتي
وقد سفسطت في لغو كل مسفسط ... وناغت بحق العلم في كل لغوة
ودانت بدين اللَّه في كل ملَّة ... لِما انتحلت فيه به كل نحلة
وما قصرت في العجز عن كل قاصر ... وطالت طويل الباع في كل بيعة
وحجّت به كل الحجاج حجاجها ... وقامت عليها منه أقوم حجة

وذلَّت بعزّ الذلّ في كل عزّة ... وحمت حماها من حمات الحمية
وفي كل معبود لها عبد طاعة ... وتجحده في كل نفس جحودة
كما أنها في كل طور تطورت ... وقد فطرت بالحق في كل فطرة
وعادت به في كل عين قديمة ... تلاحظها في كل عين حديثة
وقامت عليها كل وقت قيامة ... وعادت به كل بدء وعودة
عوالمها في كل جزء تنوَّعت ... من الجسم في أجرامه المستعدة
وقد ملكت في ملكها كل مالك ... بأنفس قهر للملوك مليكة
وقد عقلت كل العقول وقلبت ... بها كل قلب بين يسر وعسرة
وقد روحنت أرواح كل محبة ... بكل جمال ذي بهاء وبهجة
وقد ساررت أسرار كل سريرة ... وفيما أسرت للسرائر سرت
وكل قديم كان في غيب علمها ... حديثاً بدا في وهمها وهي أبدت
فراحات راحاتي على كل حانة ... بحانات أحيان لدوري أديرت
تبدت فأبدت في مبادي بدوها ... نهايات ما أنهى النهى وهي أنهت
فكاساتها الأكياس والكيس مزجها ... وفي دنها الداني تدلت فأدنت
فطائف طيف الذكر طاف مذكراً ... نسيباً تناسى في سناة النسبة
فيورده التذكار في حين ورده ... موارد أوراد النفوس المريدة
كأن المعاني في حروف حديثها ... قديم مدامي في رواة رويتي
تصلصل أحياناً بصولة لحنها ... وحيناً بألحان لديك حنينة
فعافاك سرّ العفو من تعنيفها ... وعوفيت فيها من فنون عنيفة
وعرَّفك المعروف من معروفها ... تعرفها في كل نفس عريفة

* * *

تائية الشيخ علي وفا(*)

[٧٥٩ هـ ــ ٨٠٧ هـ]

أدرت كؤوس الكيس صرفاً بسكرتي ... بوجهك عن كأس المدامة أغنتِ
وأوردت لحظي من جمالك منهلاً ... على ظمأ مني مورد بهاؤه هديتي

---

* قال العلامة الشيخ عبد الباقي الزرقاني في «النفحة الرحمانية في تراجم السادة الوفائية» مترجماً له: هو العارف الكبير علي بن محمد وفا بن محمد بن النجم محمد رضي الله عنه، الشاذلي، المالكي، الصوفي، الذي اشتهر قدره، وعلا على الجوزاء ذكره. وعظ وذكر وهو خالي الوجه من النبات، وحيَّر العقول بما له من الإقدام والثبات، واجتهد ودأب، وتمسك بعرى الفضل والأدب، ونظم ونثر، ووعظ وكتب.
قال الحافظ ابن حجر: «كان يقظاً حاد الذهن، كثير الأتباع جداً وأحدث ذكراً بألحانٍ وأوزانٍ مطبوعة». وقال في معجمه: «اشتغل بالأدب والعلوم والوعظ، وتجرد مدة وانقطع ثم تكلم على الناس».
وقال المقريزي: «كان جميل الطلعة، مهاباً، معظماً، صاحب كلام مفيد ونظم جيد رقيق بديع، وتعددت أتباعه ودانوا بحبه».
وأما نظمه في التلاحين والحقائق وتركيزه للأنغام فغاية لا تُدرك، وتلامذته يتغالون فيه إلى حد لا يوصف. وقال بعضهم: كان ظريفاً يلبس الثياب الفاخرة ويأكل أنفس الأطعمة حتى تومت أواني الصيني التي في سماطه بألف دينار».
وفي «تاريخ العلاء بن القصاص»: أنه كان من عباد مصر وتجرّد في ابتداء أمره بعد حفظ القرآن والفقه على مذهب مالك وعلم الحديث، وسلك طريق الصوفية وحصل له منها النصيب الأوفى واليد الطولى، وصنّف فيها كتباً حسنة، وله ديوان شعر ينبغي أن يكون يتيمة الدهر في رقته وحسن نظمه وعذوبة لفظه. وكان له مشهد عظيم في كل يوم أربعاء يعظ فيه الناس على طريقة الصوفية.
واختلف في تاريخ ميلاده، فقال ابن حجر والسيوطي والسخاوي والمناوي وغيرهم: إنه ولد سنة تسع وخمسين وسبعمائة، أما الإمام الشعراني فذهب إلى أنه ولد سنة واحد وستين وسبعمائة. قال المناوي: «ومات أبوه وهو طفل، فنشأ هو وأخوه أحمد في كفالة وصيهما الزيلعي، فلما بلغ صاحب الترجمة تسع عشرة سنة جلس مكان أبيه، وعمل الميعاد وشاع ذكره وبَعُدَ صيته وانتشرت أتباعه وذُكر بمزيد اليقظة وجودة الذهن، والترقي في الأدب والوعظ، ومعرفة تقدير كلام أهل الطريق».
وقد ذكر صاحب النفحة الرحمانية نقلاً عن المنح: أنَّ أبا سيدي علي وفا سيدي محمد وفا =

وأشـهـدتـنـي أوصـاف ذاتـك ظـاهـراً ... وأوجـدتـنـيـهـا بـاطـنـاً عـنـد دهـشـتـي
وأوضـحـت أسـتـار الـمـلاحـة كـاشـفـاً ... بـوجـهـك عـن أسـرار عـشـقـي وصـبـوتـي
وأفـنـيـتـنـي دامـت أياديـك غـيـرةً ... عـلـيَّ مـن الأغـيـار فـضـلاً بـمـحـنـتـي
فـلـم يـبـق مـنـي لـلـعـيـون بـقـيـةٌ ... فـديـتـك إلاَّ أتـلـفـتـهـا وأفـنـتِ
عيون سبت مني العيون بصونها ... بها استأهلت كل المعاني الغريبةِ
صحيحة سحرٍ من ذبول فتورها ... بها سقم المعتل من غير علةِ
رمت في الحشا قصداً بقسي جبينها ... سهام لِحاظ بالصباحة ريشةِ
غزالية قد ألبستني بغزلها ... من السقم والتمزيق أشرف حلةِ
عـيـونٌ لِـوُرَّاد الـمـحـاسـن مـورد ... صفاً ولمن يهوى ينابيع الحكمةِ
محيت وجودي فيهم يا معذبي ... بنار الهوى حتى غدا المحو مثبتي

= قال لوصيه الشمس الزيلعي: «ولداي هذان ليسا كأولاد الناس، بل هما روح واحد في جسدين، وهما في الحقيقة روحي، وقد أخذت من الله عهداً أن من أحبهما كان سن أحباب الله ومن أبغضهما كان من أعداء الله».

ووصفه سيدي الشعراني في طبقاته الكبرى بقوله: كان في غاية الظرف والجمال، لم ير في مصر أجمل منه وجهاً ولا ثياباً، وله نظم شائع، وموشحات ظريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق وسكرة الخلاع رضي الله عنه، وله عدة مؤلفات شريفة، وأعطي لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجمع، وقليل من الأولياء من أعطي ذلك، وله كلام عال في الأدب، ووصايا نفيسة نحو مجلدات، وردت عليه فأملاها في ثلاثة أيام رضي الله عنه. كان رضي الله عنه يقول: مولدي سحر ليلة الأحد حادي عشر محرم سنة إحدى وستين وسبعمائة كما رأيته بخطه، وتوفي عام أحد وثمانمائة كما قيل.

وقد حفلت كتب المترجمين بقصص كرامات وعلو أخلاق سيدي علي وفا، فمنها أن السلطان برقوقاً أرسل يدعوه إليه فامتنع، فقال السلطان: أنا أسعى إليكم لكن أطلب الإذن منكم، فامتنع. فقال: أريد أن أفوز بقضاء حاجة لكم، فقال الأستاذ: هيهات! نحن قوم لا نرفع حاجتنا إلاَّ إلى الله سبحانه وتعالى.

ولم يطل به العمر، بل مات قبل الخمسين سنة، ومما يروى عن مماته رضي الله عنه أنه كان في وليمة حضرها الشيخ شمس الدين الحنفي رضي الله عنه، فقال سيدي علي: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدوِّرها كيف شاء؟ فأجابه سيدي الحنفي: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟ قال سيدي علي: والله كنا نتركها لك ونذهب عنها. فتوفي عن قريب رضي الله عن الجميع.

وخولت جنان الخدود بنقطتي ... سويداء أحشائي وأسود مقلتي
أحال الخليل عليها الخال منعماً ... ونار كليم القلب فيها تجلّت
عليها قد استحيلت ما الصبر عذبه ... ومنها استجليت أنزه جلوتي
مخدرة أخدارها كل مفتن ... كأن الحميا من محياه ديرت
حدائق حسن أحدق البيض حولها ... من الحدق السود الحداق المصونة
نواظر أدهشن النواظر إذ بدت ... محجبة من كل فكر بحيرة
فناظرها يسبي الظبا البيض بالظبا ... وناظرها يسبي بأملح لمحة
هي الشمس لكن ذات قد مهفهف ... رشيق أنيق مثمر بالأهلة
تعطفت لما بت رسم معاطفي ... إلى حضرة ما بها فرق لرقتي
فما زادني هذا التعطف لي سوى ... تلاشي خيالاتي وسلب بقيتي
ولم يبق في الكونين مني ذرة ... وجودية إلاَّ وفيك اضمحلت
هناك شاهدت الجمال بأسره ... مجازي وإطلاق الكمال حقيقتي
وحققت أن الكون موجود واجدي ... وأني وجود الكل من غير ريبة
تجلّيت في عين الشهود ومشاهدي ... الوجود فجلَّت بي مراتب عزَّتي
وأنت بيان الغيب في كل زينة ... لأنك نور العين من سرّ وحدتي
فلا عتب إن شققت طوق تستري ... بحبك يا ذا الطلعة القمرية
ووجدت نُسكي واحتشامي والهوى ... بخلع عذاري واطراحي ونشوتي
ورحت بتمزيقي وفرط تهتكي ... أمير غرامي والخلاعة خلعتي
أسود الورى والفضل لي إذ رضيتني ... لبابك غداً يا مناي ومنيتي
فملّ ومِل واقطع وصِل وانأ واقترب ... فإنك معشوق على رغم سلوتي
وإن الذي ألقاه فيك إرادتي ... لأن الذي أهواه منك هويتي
عليك صلاة منك دامت صِلاتها ... بأزكى سلام فيه كل تحيتي

* * *

تائية ثانية لسيدي

علي وفا

طويت وجود الحق في طيّ طينتي ... وفي فتق رتقي سر إنسان نسختي
وعند بروز العرش من غيب حقيقتي ... تمثل رحماني بتنزيه رتبتي
إلاَّ من أراد الحق يسع لحضرتي ... ويقبل بوجه مخلص نحو قبلتي
فجامع جمع الجمع حل بجامعي ... على منبري يدعو ليوم الجمعةِ
يسمع أسماعاً صغت لمقالةٍ ... فيشهدهم معنًى بعين بصيرتي
ويدعو قلوباً ألقت السمع شاهدت ... سرائر أسرار سرت بسريرتي
فمخصوص ذاتي ليس يدرك كنهه ... لتجريده بالنفي عن أي نسبة
يدق عن الإدراك ما خفا ... عن النفي والإثبات بالأحديةِ
ضميري وأسمائي وفعلي وما بدا ... موانع عزت عن سنا نور طلعتي
هي الشمس إلا أنها قد تلثمت ... بليل عذار ثبتته لمحوتي
أثارت لظا قلبي نار كسيتها ... شعاعاً ومن عيني صفا لي
وأسقمت جسمي وضممته ... إليك فأكسي الخصر حدة رقتي
نجول بخصر من قوام مهفهف ... رشيق أنيق مثمر بالأهلة
براح الصبا أصبا ومن نفسي الصبابة ... تثنى فأثنى للفناء أعنتي

* * *

تائية ثالثة لسيدي

علي وفا

صفاتي علت عن روح علويةٍ وذاتي وراء الآباد والأزلية

وليس بمعدوم بحكم مظاهري وليس بموجود بسلب هويتي

وقد عجزت كل العقول بفكرها عن الفكر في تركيب بنيتي

وفي سر إيجادي وجود محقق بنفي وإثبات وكثرة وحدة

ومني شهود في العوالم شاهدت عيون المعاني ضمن كل دقيقة

وعين عيون عاينت في عيانها ملائكة قامت بكل دقيقة

ولي وجه الحق لا يواجه وجهةً ولكنه وجه لكل حقيقة

* * *

تائية الشيخ

أبي الحسن محمد البكري الكبير(*)

[٨٩٨ ــ ٩٥٢ هـ/١٤٩٣ ــ ١٥٤٥ م]

نزلنا من الأعلى لإيضاح قصدنا ... وكنا به دهراً بنور المودة
ونحن كما كنا ولا شيء غيرنا ... ونحن جمال العين في كل طرفة
كملنا وكمّلنا فكل مكمل ... تكمل منا في صفاء المودة
فباشر ديار القرب تعلم بحالنا ... وإياك ترك القرب في كل لمحة
جمال بوصف الأنس عند عبيدنا ... هداية إرشاد لقربٍ لجنة
فكن فيه مبسوطاً وكن فيه شارباً ... وكن فيه مخموراً بأكرم خلة
ولا تلتبس بالبعد فالبُعد مهلكٌ ... فدار كمالي كملت عند مثبتي
تكمل ما أبقى بفردٍ موحدٍ ... ووحد لذاك الفرد بين البرية
فما ثمَّ من فرد سواه مجملٍ ... وما ثمَّ إلاَّ الفرد عند العناية
وكانت به الأوقات روحاً معمراً ... فعمر دار الوصل في وصف قربة
وما زال هذا الحال عند مؤيد ... بظاهر عدل العزم في كل رتبة
ژوما ثمَّ غيري كان فيها مكملاً ... معمر أدناها بأعلام حضرة
ودام لها ذا الحال يا خير عارف ... وكلك معروف بوصف السيادة
وكلك محبوب وكلك واصل ... وكلك موصول بأكرم عزَّة
ودام لنا التكميل بين أحبةٍ ... فكَمُل هذا فيه إذ ذا بنقلة

---

* هو الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن البكري، الصديقي، الشافعي، الأشعري (أبو الحسن) صوفي، مفسر، ناظم. ولد في ١١ جمادى الأولى سنة ٨٩٨ هجرية.
من آثاره: تحفة واهب المواهب في بيان المقامات والمراتب، الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز، نبذة في فضائل شعبان، نتائج الذكر في حقائق الفكر.

فترتيبنا حق بسبق لعلمنا ... وقطع لها صدق إلى وقت وقفة
فذاتي لها عزٌّ علت فوق غيرها ... ونسبة أقوالي شريفة نسبة
فحكمتنا جلت وحكمتنا علت ... وبهجتنا وافت لمنهج شرعة
فكن حاوياً للخير في روضةٍ زهت ... ولا تك ذا جهلٍ بأسواء ذلّة
فلما وفى وعدي لذاك برفعةٍ ... علوت به في الأفق من مجد وقربة
فكنت دليل الكل في وصف قربهم ... وعلمتهم علمي فداموا بوصلتي
فلا شك فافهم ذا بأنا نحبهم ... وأنباؤهم حقاً على خير حالة
فشرف آباء وأبناؤهم هم ... إذا وصف تصديقي لدى كل نيَّة
فكن في محل الصدق ترفع للعلا ... وإياك والترديد عند مقالتي
رقت بي الأعلى نفوس تفردت ... وفاقت عن الأعلى بأكرم دورة
وكل مقام الفرد أعليت فوقه ... رجال علواً بالفرد في رفض زينة
فنقلتهم للقرب والقرب عبدهم ... له خدمة ما دامت لديهم بوجهة
فكن أنت منا أنت أنت منهم ... ولست هنا منهم ولا لي بخدمة
فما ثم إلاَّ رفع نحن وأنتم ... ونحن لنا آلاء بقا في كل حالة
وقد كمل المقصود في الفهم الذي ... أذنت به حقاً فدم في محبتي
وصلى إله العرش ما دام دائماً ... على أحمد المبعوث في خير أمة
وأتبع ذا التسليم والآل بعده ... وصحباً هم السادات فوق البرية
مدى الدهر والأزمان في كل ما بدت ... علوم وعند النفي في كل مدة

* * *

تائية الشيخ

زين العابدين محمد البكري(*)

[٩٧١ـ ١٠٠٧هـ/١٥٦٤ـ ١٥٩٨م]

ظهرتُ ولكن في ستائر عزةٍ … بطنتُ ولكن في مظاهر رفعة
وجرَّدتني عني فصرت حقيقةً … بها سرى جمعي في مظاهر وحدتي
أوحد لا من حيث إني مفردٌ … وأجمع لا من حيث جمع نسبتي
لقد ضلَّ فكري في شؤون مظاهري … وما ضلَّ فكري بل حديث بحيرتي
تعرّفتُ حتى قيل أني منكر … ونكرت حتى قد جهلت بحيطتي
وتخبرني كل الحقائق أنها … لذاتي بذاتي في بطون وجهتي
ويسجد مني للحقيقة سرّها … ويسري بسري في سري سريرتي
وأفرد حجتي قارناً متمتعاً … مجرِّد نفسي عن ملابس لبسة
وأحرم لك عن سواك ملبيّاً … نداؤك مني قبل مبدأ نشأتي
بلى قبل ما ناديت قبل تكوُّني … ألست فكانت تلك ثاني خبرتي
وأولها غيبٌ بغيبٍ مكتم … تعزُّز أن يبدو لغير هويتي
حلفت يميناً لا حول عن الهوى … وذلك ديني في القديم وشرعتي
ومن هاج في منهاج بحر صبابتي … يضل ولا يدري مناسك حجَّتي
فباطن قلبي عرش سر حقيقتي … وظاهره شرعٌ لأهل مودَّتي

(*) هو الشيخ محمد بن محمد بن محمد، أبو السرور زين العابدين ابن أبي المكارم البكري، ويسمى تاج العارفين: مفتي السلطنة بمصر. كان آية في علم التصوف، وهو أول من لقب بمفتي السلطنة في الديار المصرية.
من تآليفه: تفسير القرآن، أربع مجلدات، لم يبيّض، وتفسير سورة الأنعام مجلدان، وتفسير سورة الكهف، وتفسير سورة الفتح.

فيا عادلاً قد جار حين عدوله عن الحب مهلاً لا حييت لمهلتي
أحب ولا أصبو للومة لائمٍ لئيم ولا أشتاق غير أحبتي
أنا الحب ولكن في ستائر مظهر تحجبت حتى عن عيون بصيرتي
تراني براني من أحب بهجره وأعجب شيءٍ وهو ملء حقيقتي
صبوبات قلبي للصبابة منزلٌ وإبداء سيري ستر كل مصونة
فروحي سرت في كل جسم تمده حقيقة فرد في تعدد صورة
أما فإذا سوّيته لك أظهرت لطيفة سرٌ في أدقٌ لطيفة
ولولا حجاب الوهم كنت مشاهداً مشاهد أنسي في حدائق بهجتي
ومن هام بالأوهام وضلّ عن الهدى وحاد ما حادي سبيل سوّيتي
ولا عقل إلا ما اهتديت بنوره أشاهد سر الحق في كل لمحة
فبي كل معنى في الوجود مبين وأخفى خفائي نور شمس الظهيرة
خفائي ظهور والظهور به الخفا ولكن بذاتي عن سواي وفطنتي
تحيَّر قوم في سبيل معارفي فعادوا وقد عادوا بأستار عزَّتي
ضلال إذا ساروا لغير هدايتي ورشدوا إذا حاروا بفهم طريقتي
معيب على أهل الغرام تستر بأستار نفس عن هواه أبية
وكيف استتار والحقيقة أعلنت لذاتي مني منزل الأحمدية
ولاحت فلا لاحٍ بحيٍّ فلاحها وأشرق منها النور في كل جملتي

* * *

تائية ثانية

للشيخ زين العابدين البكري

تـبـدَّى جـمـال الله فـي كـل صـورة	وأشـرق نـور الـحـق مـن كـل طـلـعـة
فـفـي أيـن مـا أنـتـم تـولـوا أدلـةٌ	تـلـوح بـوجـهٍ لاح فـي كـل وجـهـة
فـكـل جـهـات لاح مـنـهـا جـمـالـه	فـذلـك مـشـهـودي وذلـك قـبـلـتـي
وحـجـي مـنـه إلـيـه حـقـيـقـة	بلاهوت معنىً في نواسيت كعبتي
تـجـرَّدت عـنـي مـفـرداً ثـم قـارنـاً	بـشـفـعـي وَتَـرِي كـي أمـنـع نـقـلـتـي
وأحرمت من ميقات فرقي جامعاً	حـقـائـق تـوحـيـدي بـحـجٍّ وعُـمـرة
وكنت به من قبل ما كنت عالماً	بـعـلـم تـعـالـى عـن شـكـوك وريـبـة
وأظـهـر روحـي مـن مـشـاهـد نـوره	تـدور بـعـرش فـي دوائـر حـيـطـتـي
وكـانـت مـن الأمـر الـمـكـتـم سـرّه	شـهـيـدة أسـرار بـكـل سـريـرة
وكـوَّن أكـوانـي بـوصـف إرادةٍ	وعـلَّـمـنـي أسـمـاء كـل حـقـيـقـة
وألْـبَـسَـنـي تـاج الـحـقـيـقـة والـعُـلا	وصـيَّـرنـي كـنـزاً لـكـل خـبـيـة

* * *

تائية الشيخ
عبد الغني بن إسماعيل بن
عبد الغني النابلسي(*)
[١٠٥٠ـــ ١١٤٣هـــ/ ١٦٤١ـــ ١٧٣١م]

أطوفُ على ذاتي بكاسات خمرتي ... وأستمع الألحان في حان حضرتي
وأنفخُ مزماري وأصغي لصوته ... وأضرب دفي حين ترقص قينتي
وأنشقُ من روضي نسيم حقائقي ... ويسرح طرفي في حدائق نشأتي
وعندي إلى رؤيا جمالي تشوّق ... كثير وما عشقي لغير حقيقتي
ويا لهفَ أحشائي على حسني الذي ... فؤادي به صب ويا فرط لوعتي
أحنُّ إلى ذاتي صباحاً وفي المسا ... وغاية قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني اليوم نفسي بوصلها ... غداً فمتى مني تقوم قيامتي
وأرفعُ عن وجهي خماري مجرّداً ... ثيابي عن ذاتي وأهتك سترتي
أبى الحب إلاَّ أن أكون مولهاً ... بقلب على طول النوى متفتِّت
وشوقٌ كثير واصطبار ممنع ... وسقم وأشجان عليّ شديدة
وإني لأرجو من حقيقتي اللقا ... وأطلب منها أن أفوز بنظرة

* هو العارف بالله المحقق الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي. شاعر عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، تصوف، ولد ونشأ في دمشق ورحل إلى بغداد وعاد إلى سوريا، وتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق وتوفي فيها. له مصنفات كثيرة جداً، منها: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وتعطير الأنام في تعبير المنام، وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، وعلم الفلاحة، وقلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان، وديوان الدواوين وهو مجموع شعره، وله عدة دواوين. وديوان الحقائق ومجموع الرقائق، وشرح فصوص الحكم، والفتح الرباني والفيض الرحماني، وكتاب الوجود.

فلا عجبَ إن بحت بالسرّ للورى ... وعربدت في هذا الوجود بسكرتي
وتهتُ بمحبوبي على كل ناسك ... وغبت عن الأكوان بل عن هويتي
وعندي انتظار كل يوم وليلة ... إلى رؤيتي بل كل وقت وساعة
وما أنا إلاَّ مَن أحب وإنَّ من ... أحب أنا من غير شك وشبهة
أردتُ ظهوري لي وما كنت خافياً ... فطوَّرت في الأطوار من كل صورة
وقد كنتُ قدماً في عمى ليس فوقه ... ولا تحته أيضاً هواء بوحدة
وللقلم الأعلى تنزَّلت من يدي ... وللوح حتى للذوات الكثيرة
وقد كنتُ عرشي واستويت عليه من ... قديم زماني في الوجود برحمتي
ومنه إلى الكرسي تنزَّلت بل إلى ... سماواتي السبع الطباق العلية
وطوّرت أملاكي فلي كنت عابداً ... وطوّرت أفلاكي فدارت بقدرتي
وغدت نجوماً مشرقات على الورى ... أزيد ضياء في ظلام الدجنة
وطوَّرت شمساً في طلوع نهاركم ... وما الليل إلاَّ من نتائج غيبتي
وصرت هلالاً تحسبون الشهور بي ... وأجلو عليكم ضوء شمس الظهيرة
وقد صرت أياماً لكم ولياليا ... ودهراً وساعات وكل دقيقة
وطوّرت شكل الجان في الأرض قبلكم ... وجئت لهم رسلاً لإبلاغ حجتي
وقد كنت تكذيباً لرسلي منهم ... فصرت لهم أوفى هلاك ونقمة
وفي كل أطوار الشياطين بينكم ... ظهرت بوسواس لأصحاب شقوة
وطوّرت في شكل العناصر ثم في ... مواليدها في الأرض تلك الثلاثة
ففي معدن طوراً وطوراً ظهرت في ... نبات وحيوان لتتميم حكمتي
وكنت رياحاً من شمال ومن صبا ... أهب فأروي عن حديث الأحبة
وكنت بحاراً زاخرات على المدى ... تفيض فتبدي موجة بعد موجة
وطوّرت أرضاً ثم صرت جبالها ... لإرسائها فوق البحار المحيطة
وإني على ما كنت فيه ولم أزل ... ولي رتبة التنزيه أرفع رتبة

وما كثرة الأطوار مني غيّرت صفاتي ولا ذاتي ولا قدر ذرّة
وهل أنت في تخييل ذاتك باطناً تغيّرت عما كنت في كل مرّة
فيجلو عليك الفكر ما قد أردت من زخارف أشباح هنا مستحيلة
وذاك كهذا غير أن الخيال مع تخيله في الغير لا في الهوية
وما هي إلاَّ أنت لا شيء ها هنا سواك فحقق سرّ تلك الحقيقة
وإياك والتشبيه في كل موضع توهمت فيه الغير وافطن للبسة
وخذ كلّ ما أُلقي عليك منزهاً ولا تخش عاراً إن فهمت إشارتي
وهذا الذي قد قلته كلُّه أنا ظهرتُ به لي قاصداً لنصيحتي
ولما انقضت أطوارُ ذاتي بمقتضى صفاتي وأسمائي العظام الجليلة
وتمّ التباسي بالذي أنا مظهر له من شخوص فصَّلتها إرادتي
وسوَّيت جسم الكل بي فهو قابل لروحي وتفصيلي استعدّ لجملتي
جمعت من الأشياء طينة آدم ومنها إلى الكلّ الرقائق مدّت
وخمرتها حتى تناسق نشؤها وسوّيتها حتى لنفخي استعدّت
ولمَّا استتمَّ الأمر واستكمل الذي أردت من الإجمال في البشرية
ففي تلك من روحي نفخت وقد مرت نسائم أمري في رياض الطبيعة
فقمت سميعاً باصراً متكلماً مريداً عليماً ذا حياة وقدرة
فلم يبد مني غير ما هو كائن لديّ وبي مني عليّ حكومتي
فكنت كماء لونه من إنائه وكالشمس تبدي خضرة بالزجاجة
وأسجدت أملاكي بأمري لمظهري فكان سجودي لي وآدم قبلتي
ولما أبى إبليس عني تكبُّراً ولم يأت لي من بعد أمري بسجدة
عن الملا الأعلى له كنت مخرِجاً وآب بخسران وطرد ولعنة
وأسكنته في الأرض أظهر كامناً به من شقا أصحاب قبضة يسرتي
وأظهرت في ذاك الملا فضل آدم وأنزلته أعلى مقام بجنَّتي

وأخرجت حوَّاء منه فهي له كما ... هو الآن لي من حيث وصفي وصورتي
وعن بعض أشجار هناك نهيته ... ولي كان مني النهى عني لحكمتي
ولما اقتضى فعلي لما كنت عنه قد ... نهيت كمال الصورة الآدمية
أتيت بأقسام إليّ موسوساً ... وأوقعت نفسي في غرور وغفلة
وذقت كما ذاق العدوّ تباعدي ... وما الأكل إلاَّ الفرق والجمع توبتي
وقد لاح عصياني عليَّ ومُذْ بدت ... طفقتُ بأوراقٍ أخصف سوءتي
ومن بعد ذا أهبطتُ للأرض هيكلي ... وكنتُ بها في العالمين خليفتي
وسخَّرت لي كل الوجود تفضُّلاً ... على صورتي مني وأتممت منَّتي
وعرّفت ما بيني وبيني كلاهُمَا ... على عرفات بعد طول التشتت
فكان نكاح الأمر في الخلق ظاهراً ... ينافي كلا الشخصين قبل النتيجة
وأظهرت من صلبي جميع مظاهري ... بصورة ذرّ للعهود الوثيقة
وأشهدتهم عني ألست بربكم ... فقالوا بلى طرّاً بنفس مطيعة
وأوهمتهم غيراً فأنكر بعضهم ... وأوفى بعهدي بعضهم مع لبسة
وأوّل أطواري الكوامن أنني ... لآدم شيئاً كنت وهو عطيتي
وطوّرت نوحاً جاء ينذر قومه ... وكنت له التكذيب منهم ببعثتي
وألفاً سوى خمسين عاماً لبثت في ... جماعتهم أبغي لهم نشر دعوتي
وهم يعبدون الغير بل يعبدونني ... ولا غير لكن وهمهم هو سترتي
ولما أبوا واستكبروا كافرين بي ... دعوت عليهم واستجبت لدعوتي
وأرسلت طوفاناً عليهم فأغرقوا ... ولم ينج إلاَّ من معي في سفينتي
وطوّرت إدريساً ولي كنت رافعاً ... مكاناً علياً في أجلّ مكانة
وطوّرت إبراهيم يدعو إليّ بي ... على قومه آتيته أيّ حجة
ومذ قال ذا ربِّي له كنتُ كوكباً ... كذا قمراً أيضاً وشمساً بوجهة
ولا فرق إلاَّ بالأفول ألم تكن ... إذاً لا أحب الآفلين مقالتي

كما قلت سموهم لقوم تعلقوا بما قيّد الإمكان من مطلقيتي
وجئت إلى النمرود أدعوه للهدى فلم يمتثل حتى توى بالبعوضة
وأضرم لي ناراً وأرسلني بها فعادت بأمري لي عليَّ كجنَّة
وقد كنتُ مني طالباً أنني أرى لحق يقيني كيف إحياء ميتة
فجاء جوابي لي بأربعة فخذ من الطير واجعل في العلا كل قطعة
وناد بهم يأتين سعياً وبعد ذا فكن عالماً لا شيء إلاّ بقدرتي
وطوّرت إسماعيل لما بلغت مع أبي السعي ذبحي قد رأيت بنومة
وناديت لما أسلما حين تله أصدّقت حتى كان بالكبش فديتي
وطوّرت إسحٰق الغيور ولم تكن على غير تحريم الفواحش غيرتي
وطوّرت يعقوباً بليتُ بيوسف وأسلمني حبي له كل محنة
وفرّقت ما بيني زماناً وبينه ووا أسفي ناديت من طول فرقتي
وعيناي من حزني قد ابيضتا وقد مننت بجمع الشمل بعد التشتت
ويوسف قد طوّرت زاد ملاحة بوجه سبى كل الوجوه المليحة
وبالثمن البخس اشتراني مشتر وفي الجب ألقتني من الكيد إخوتي
وقد عشقت حسني زليخاء والهوى أضرّ بها حتى هممت وهمّت
وطوّرت هوداً كان يشهد قومه على أنه من شركهم ذو براءة
ولوطاً لقد طوّرت أيضاً وصالحاً أتيت إلى قومي لإبلاغ دعوتي
فزاغوا وعن أمري عتوا وتكبروا وقد عقروا لما عصوني ناقتي
وطوّرت موسى ضاربَ البحر بالعصا وقد شقّ حتى قومه فيه مرّت
وآنس ناراً من جوانب طوره فرام ليأتي الأهل منها بجذوة
فنال الهدى في شكل مقصده وقد تجلّى له من مظهر الأحدية
وقد حاز منه رؤية بسؤاله ولكنها الأطواد بالصعق دكت
وعيسى لقد طوّرت يبرىء أكمهاً وأبرص والأموات يحيي بدعوةِ

وأرسلتُ روحي طبقَ ما هو عادتي ... إلى الأمّ حتى كان مظهر نفختي
وأظهرت ما قد كان في الأب مضمراً ... وبيَّنت للأقوام سرّ الأمومة
فضلُّوا وزاغوا عن مثال ضربته ... لفهم علوم في الوجود دقيقة
وقالوا بأني قد غدوت له أباً ... وقد خص من دون الورى ببنوّتي
وأين الوجودان اللذان تباينا ... وما عز خلاق كذل خليقة
ومن بعد هذا جئت في طور كلّ ما ... مضى من رسول أو نبيّ لأمّة
وأصبحت في شكل النبيّ محمد ... إلى اللّه أدعو الناس في أرض مكة
فآذتني الأقوام بغياً وحاولوا ... بأفواههم إطفاء نور النبوّة
وأظهرت دين الحق بعد خفائه ... فأصبحت الكفار في سوء حالة
ونكست أصنام الضلال وفي الورى ... أزلت ظلام الظلم من فرط سطوتي
وطوّرت أصحاباً ومن هو تابع ... لهم بالهدى مثل الكرام الأئمة
ومن بعد ذا ما زلت أظهر دائماً ... على أمد الأزمان في كل هيئة
وطوّرت أهوال القيامة والذي ... يكون غداً في يوم عرض الخليقة
وإياك من قولي بأن تفهم الذي ... تدين به الكفار بين البرية
فإني بريء من حلول رمت به ... عقول تغذّت بالظنون الخبيثة
وما بانحلال واتحاد أدين في ... حياتي وإن دانتهما شرّ أمّة
وكل الذي أبديته لك ناظماً ... فمنّ فوق أطوار العقول السليمة
فإن كنت من أهل المعارف لم تلم ... لأنك تلقاه بنفس تزكّت
وإن كنت مطموس البصيرة جامداً ... على ما ترى من صورة بعد صورة
فإنك معذور بقلّة فهم ما ... أقول لضعف في قواك الكليلة
فواظب على التنزيه وادأب عليه لا ... تكن من أناس بالتشبه ضلّت
ودع عنك تجسيماً ولا تك جاهلاً ... بأوصاف من أبداك في كل حالة

* * *

تائية

الشيخ علي البيومي(*)

[١١٠٨ - ١١٨٣هـ = ١٦٩٦ - ١٧٦٩م]

حللتُ عقالَ النَّفس من كلّ نسبة ... وأثبتُّ تحقيقي بصحوي وسكرتي
وصرت إمام العارفين بجمعهم ... أسلكهم في بحر عزِّي ورِفعتي
ملكت قياد العالمين بأسرهم ... وقد صار جمع الكون في وسط قبضتي
خلعت عذاري في هواه على الملا ... وخلع عذاري فيه فرضي وسُنَّتي
خرقت جميع الحجب للحبِّ قاصداً ... إلى حضرةٍ جلت عليَّ المثلية
وشاهدته لما حضرت بقربه ... ونلت ولاها بافتقاري وذلة
تكوَّنت بالأكوان حتى ملأتها ... وفتحت أقفال الغيوب بهمّتي
وروحي هي الأرواح لكن بتحجب ... أشكالٍ عليَّ وسترتي
تنكرت حقاً عن وجودي والملا ... وأظهرت سرِّي في عوالم خِبرتي
وإني وإن كنت ابن آدم ظاهراً ... فلي نسبةٌ دلت له بابوتي
فما عاذلي ماذا وماذا وما أنا ... وما عالم الأشكال والبشريتي
وما هي إلا الروح والروح هي أنا ... وإني عين العين في كل برزة
فلو أنَّ ما بي من جواً وصبابةٍ ... وشوق على كل الجبال لدكة
حكمت جميع البر والبحر والفلا ... ووليت أقطاب البلاد بحكمة
فكل ولي كان من تحت قادتي ... وكلهمو من تحت حكمي ونشأتي

---

* هو علي بن حجازي بن محمد البيومي الشافعي. متصوف مصري، فاضل، كان «خلوتياً» وصار «أحمدياً» وكثر أتباعه.
ألّف كتباً ورسائل، منها: خواص الأسماء الإدريسية، ورسالة في الوحدانية، وشرح الجامع الصغير، وشرح الحِكم العطائية، وشرح الإنسان الكامل للجيلي.

فأمري بأمر الحق والحق هو أنا وإن قلت كن قد كان من غير وقفتي
فيا طالباً طرقَ إلٰهٍ ورشدَهُ عليكَ ببابي والوقوف بخدمتي
وسلم تنل ما شئت والأمر أمرنا بقرب وإبعادٍ وصحوٍ وسكرتي
وكن صارماً كالوقت فيما يريده بغير اعتراض في أموري وخدمتي
وكن فطناً واصمت وكن متأدباً وسدِّد وقارب كي تنال بحظوة
وفارق لخلان القطيعة والجفا وعد من قريب لا تعود برجعتي
وكن بصراً فيما يليك الولا وسمعاً وعي واحفظ حديثي واثبت
وإياك والإعراض في كل ما ترى وسلم إلينا الأمر توثق بعروة
أنا صرت فرداً واحداً متستراً وقدْ فُقْتُ في أهل الولا بولاية
أنا عالم الأشيا من قبل ما ترى واعلم قَطر البحر كم هي قطرتي
واعلم رمل البر كم هي رملة واعلم حشيش الأرض كم هي حشيشة
ولم لا أبالي أهل عصري من الولا بما خصصتني من حظوظ وفخرتي
وقد نلت ما قد كنت أرجو وفوق ما أرَجّيه من خل إليَّ وقربة
فصرت بها كلي لها وحببتها وصارت تناجيني بعز ورفعتي
سلكت جميع الطرق حتى وجدتها فيا حبذا وصلي لها بمنيتي
فمن نبا[1] فليغضب سواها فهي المنا وهي قرّة العينين وهي إرادتي
فمن كان عبداً في هواها بذلة يعز ويبقى في مقام السيادة
مريدي إذا ما جئتني وقصدتني تجدني إذا وقعت في كل كربة
مريدي أنا أحميك من كل آفة وأوقيك في الدنيا ويوم القيامة
فكن في هوانا خاضعاً لأمورنا وحقق ترى عيني بعين البصيرة
فعندي علم لو بحت ببعضه لعطلت ما قالته أهل الشريعة

(١) نبا الشيء عنّي ينبو، أي تجافى وتباعد، وأنبيته أنا: أي دفعته عن نفسي. (الصحاح في اللغة للجوهري).

وعـنـدي عـلـم آخـر قـد كـتـمـتـه — وإن بـحـتـه أوقـفـت أهـل الـطـريـقـة
وعـنـدي عـلـم آخـر لا أبـيـحـه — لأهـل الـولا مـنـي وأهـل الـحـقـيـقـة
وأما الصلاة الخمس في الجمع فهي لي — وإحـرامـهـم لـي فـي أداء كـل ركـعـتـي
وخضت بحاراً واغترفت جواهراً — ولـقـيـت أسـتـاراً بـعـزمـي وبـطـشـتـي
وهـمـت بـمـن أهـواه لـمـا عـرفـتـه — ومن بعد عرفاني فكانت حقيقتي
فاثبت صحو الجمع في كل حالة — ونلت فكانت نشوتي قبل نشأتي
وفي مذهبي لما اختصصت بحياة — وفـارقـت أوطـانـي وقـطـع عـشـيـرتـي
تـنـكـرت عـن كـل الـوجـود بـحـبـه — وبـعـضـي وكـلـي حـادث بـالأعـنـتـي
أنـا الـديـر والـديـار والـربـع والـحـمـا — أنـا الـبـيـت والـسـكـان حـامـي مـكـة
أنا الخمر والخمَّار أنا ساقي الرضى — أنـا عـالـم الأشـيـا مـن قـبـل نـشـأتـي
فـلـولاي مـا كـان الـوجـود ولـم تـكـن — قـلـوب تـسـارع عـنـد أهـل الـحـقـيـقـة
أنـا عـالـم الأشـيـاء مـن قـبـل آدم — ولا كـان لآدم ولا بـشـريـتـي
عـلـيـك بـهـا صـرفـاً فـاشـرب يـا فـتـى — وأتـي لـبـابـي طـائـعـاً نـحـو خـدمـتـي
تـنـال جـمـيـعـاً أنـت مـا أنـت طـالـبـاً — فـمـا الـقـرب والإبـعـاد إلا بـحـكـمـتـي
ونادي لها في حيها حي على التقى — هـلـمُّـوا إلـى بـيـتـي وطـوفـوا بـكـعـبـتـي
أنـا كـعـبـة الأسـرار وسـلـطـان الـورى — أنـا مـحـيـي الأمـوات فـي كـل لـمـحـة
أنـا فـارس الـبـدران أنـا حـامـي الـورى — وكلهمو[1] من تحت حكمي وسطوتي
فلي همَّة تعلوا[2] على سائر الورى — وروحـي بـذكـراهـا وعـزمـي وشـدتـي
فـلـولاي مـا كـان الـنـبـيـيـن والـمـلا — ولا الـسـبـعـة الـعـلـيـا ولا الـسـفـلـيـتـي
ولا كانت الأملاك والعرش في السما — ولا اللوح والكرسي ولا كانت جنتي
ولا أنـزل الـقـرآن بـالـنـور والـبـهـا — عـلـيَّ ولا كـانـت عـلـوم وحـكـمـتـي

(١) كذا بالمخطوط بزيادة الواو في هذا الموضع وفي مواضع أخرى، وذلك لإشباع الوزن.
(٢) كذا بالمخطوط بزيادة الألف للإشباع.

أنا كنت قبل القبل روح مراحة   فصرت بها في عالم البشرية

وصرت وحيداً في الأنام ومفرد   ومني لي في كل أمرٍ وخبرتي

تعاليت عن ضدٍ وندٍ وثاني   وشرك وأضرار بحكم مشيئتي

أنا الواحد الفرد المؤيد والبقا   رؤوف رحيم في رخائي وشدتي

فكنت ولا كانت أناس على الملا   إلى الآن في ملكي وفي أحديتي

ولكن أمري بعدي وإنما   ملأت جميع الكون من نور قبضتي

فقلت لها كوني فكانت محمداً   فكانت بلا شك بلا مثنوية

فأسكنتها في آدم وحفظتها   وألقيت فيها سر سريرتي

وأبرزت منه حوا وكلاهما   وجمعهمو يدعو إليَّ بنسبة

وكوَّنت كل الكائنات جميعها   بعزِّي وجاهي وارتفاعي وقوَّتي

ففي الجمع والتفريق روحي بلا خفا   وأسكنتها في من أشاء برحمتي

فمن كان بي من نقطة الباء جمعته   يشاهدها مني بعين حقيقتي

فلا عجب أن قالت الناس لي   وإن قامت بأحكام المظاهر نسبتي

فإن شئت أن تحيا سعيداً بقربنا   فمت أنت عند أهل الحقيقة

فأشهدني إياه وإياه أشهد   وإني لخفائي أرى عين وحدتي

تحققت أني عينها حيث لم أكن   سواها وعين العين بالعين قرّة

تناجيك إن كنت العليم بسرّها   وتشهدها في كل معنى وصورتي

فما ثمَّ إلاَّ الله في كل ذرَّة   وما هي إلا لمحة بعد جلوة

فإن كنت في دعوى المحبة صادقاً   فمت عاشقاً تدعى من أهل المحبة

أنا قاتل أهل الهوى ولهم ديةٌ   وإن قتيلي لم يزل في كرامة

كئيبٌ فقيرٌ لم يذق طعمة الكرى   وفي خاطري مني يفوز بنظرة

فإن رمتها يا صاح فاهجر لها الكرى   وسامر بها أهل المعان الدقيقة

وفارق لها الأوطان مستصحب الفنا   وفارق لخلان الجفا والقطيعتي

فما واصلت من جاها[1] بحياته وما شأنها إلا اقتناص الأسودة
فسلكت في سلك الغرام حقائقاً وصرت أناجي في عوالم خبرة
أنا شمس شمس الشمس في فلك العلا أنا صاحب الهيبات في كل قربة
فكل أنبياء الله أفلت شموسهم وشمسي قد نارت ليوم القيامة
وقد نار جمع الكون من نور شمسنا فهذا نور الله بأهل الحقيقة
ولولا عهود أوجبت كتم ما مضى للاح لك النور المبين بصورتي
أنا العين والمعنى أنا الكل بل أنا السر والسكان فيه بوحدة
فلو كشف اللوام بي وتحققوا من السر والمعنى لهاموا برؤية
ولو نظر العذال سر سرائري لماتوا جواً بي واشتياقاً لرفعة
ولو حقق الواشي بما في ضمائري لمات اشتياقاً في هواي ومحنة
فإني كنز للعلوم جميعها مجيباً علياً باختصاص فضيلة
فشيث وإدريس ونوح وآدم فعلمهو من بعد علمي وحكمتي
وعلم أتى إبراهيم مني بصدره ونجليه وأسباط من علم خبرتي
وتوراة موسى والزبور بجمعه وإنجيل عيسى من علومي وعزة
فكلهمو مني وكلي بهم أنا بباطن أمري من بقائي وقدرتي
فشاهدته لما حضرت بقربه وقضيت أوطاري بخلوة جلوة
فهذا سبيل الله يا قوم فاشربوا ولا تدخلوا إلا من أبواب خبرة
فمن جانا[2] إن يستقي من ماءنا أسلكه في بحر عزّي ورفعتي
جميع رجال الله من فيض بحرنا وها أنت بحر البحر في كل حضرة
فهذا سبيل الله يا قوم فاشهدوا ولا تعبروا إلا من أبواب حكمة
ووليتها لما سمعت نداءها وأعرفت مقداري فأنكر غيرتي

---

(١) جاها: جاءها.
(٢) جانا: جاءنا.

فيا منشها[1] ها أنت مقياس قدسها وأنت بها من قبل تأتي بغفلة
وكيف وبسم الله صح تحققي وآثرت في نسكي اتباع شريعة
وهذَّبت نفسي بالرياضة والصفا إلى كشف حجب في هواها غُطَّتِ
وجاوزت حد الكل كالفيء وعن أمر معراجي وتحقيق رحلتي
فسمعي وقلبي في حبيبي منبأ بخبر الورى من صحوٍ أحمدية
فيا نفس طيبي بالوصال وحققي جمال محياها بعين قريرة
يحققها قلبي بعين قريرة ويشهدها فكري بحدق وفطنة
فيا عجباً سكري بغير مدامةٍ ويا طوبى سري بغير حقيقة
ومن عجبي أني أحب بهمتي جميع أنبياء الله من كل آفة
ولما أتى طوفان نوح لقد أتى على ظهره بالناس فوق السفينة
فنجيته لما أغاضت بجمعهم ومروا على الجودي بها واستقرت
ونجيت إبراهيم من كيد قومه ومن نار نمرود فكانت كجنة
وبي قد سرى فوق البساط بجيشه سليمان واستولى بأنس وجنّة
وكَلَّمه كل الطيور بجمعها وجمع وحوش البرّ جات[2] بدعوة
ويوسف لما أُلقي الجب في الفلا فنجَّيته منه بمزمي وشدَّتي
ونجَّيت يعقوب من الحزن والعما وأجمعت بين الكل في فرد لمحة
ولما ابتلعه الحوت يونس بي دعا وباسمي نجا من كل ضيق وشدة
وخلَّصت موسى من عدو وكيده ونجَّيته منه بكل طريقة
وأدركته لما أتى البحر مسرعا وأنجي بي من كل ضيق وشدة
وأيوب من ضر أتاه ومسَّه فأبرئته من كل ضيق وعلتي
وما يده جاءت لعيسى من السماء فكانت بأمري واختباري وخبرة

(١) منشها: منشئها.
(٢) جات: جاءت.

وأبرص قد أبرىء وأكمه قد شفي وأحيا طين الطين في فرد لمحة
وجئت بأسرار الجميع بجمعها إلى الحق فيها هادياً بالنصيحة
فكل نبي كان منهم منبئاً وما منهم إلاَّ مجيباً لدعوة
فمن كان منا عالماً فمقامه مقام نبي مفرد بتحية
ومن كان منا داعياً ببلاغة إلى الحق فينا قائم بالرسالة
فأهديه جمع العالمين بنظرة ومني استقاموا بي بكل فضيلة
فأسرار جمع الكون سرّي وكلما يكون من الأكوان من قبض طينة
فسري إذا ألقيته في سفينةٍ لغاصت إلى قعر البحار السكينة
وسري إذا ألقي الجبال بجمعها لأهدمها حتى إلى الأرض دكتِ
وإن ألقي سري في البحار توقفت وغاصت إلى الصخر القديم
وسري إذا ألقي على الريح توقفت بغير اختلاف في الأمور الدقيقة
وسري إذا ألقي على النار أطفأت ولو سيبت أهدمت الجحيم بهمَّة
وسري إذا ألقي على الأرض والسماء لطبقهم من غير شك وريبة
أنا ناطق في كل ما كان ناطقاً وسرِّي يحرِّك كل ما كان صامت
تجلّيت في كل الوجود لناظري وإن الذي أهواه فيه إرادتي
وحققت أن الكل مني بإمرة وإني عين الكل من غير ريبة
وأثبت بأني الغيب في كل رتبة لأني نور العين في سر وحدة
فلا غرو إن أتلفت روحي بخير بتحقيق هذه الحضرة الأحدية
وصرت بتحقيقي وكنز محبتي إماماً وسلطاناً إلى الأبدية
هنالك حققت الجمال بعينه وفيه قد استجليت أحسن خلوة
حدائق تبدو وأحداق البيض نحوها محجبة في ذاتها إذ تثنتِ
هي الشمس لكن ذات حين قد انجلت حقيقة آلاء وفيَّ تجلت
وقد آن لي أبدي خفاي محمد وتفصيل ما فصلته في كل بسطة

وأصبحت بالذات الجمال مكرماً بما تم من نسكي وحجي وعمرتي
فلولاي ما كانت طيور ولم تكن وحوش وأصوات بكل طريقة
فآه على أخ يكون موافقاً أعليه في أعلا مقام ورتبة
فإني عين للأمور جميعها وإني لمن أهوى ينابيع حكمة
محيت وجودي ظاهراً ثم باطناً بكل الهوى والمحو قد صار مثبتي
وفيه قد استجليت كل صبابة وفيَّ قد استجليت أنزه جلوتي
وشاهدت رؤياه عياناً بعزَّة وحققت معناه بتمكين وحدة
وأعلم أخبار الذين تقدَّموا وأخبار من يأتي ليوم القيامة
جمعت حواسي والجهاد جميعها أمامي فكانت حيث وجهتي
فمن يزال عن ذا الغين نقطة سترة ´نقا غين أعيان الوجود
فما شاهدت عيني سواي ولم أر لغيري فكانت نسبتي بحقيقتي
وحققت كل الأمر لما قد انجلت عليَّ لأني واصِلٌ كل ذرتي
أنا إن شئت عمَّرت الوجود بنظرتي وإن شئت أهدمت الجبال بكلمة
جميع الحقائق لم يسعها سوى أنا بعزم مقامي واختياري بهمّة
فما ثمَّ في الكونين غيري بلا خفا وكل المعاني في الأمور إشارتي
ولكن نشأتي ولطف شمائلي بمفرده صارت أمور حليلتي
فما ظهرت شمسي على سائر الورى فأشرق كل الكون لما تجلَّت
وقد رفعت حجب الستور بنورها فحققت سرّي في الوجود بنظرة
ولما رفعت الستر عن نور وجهها تجلَّت فكل الحسن فيها تنبتِ
حجازية شمسية قمرية ومكيَّة مدنيَّة علويتي
فأسرارها في العالمين بجمعهم وإني وجود العالمين بعزَّتي
أنا كل من يهوى وأنا كل عاشق وأنا كل موجود وفي كل دوحتي
فإني شمس للحقائق مشرق وفي كل معنىً مبدع بفضيلة

وفي كل شيء قد تجلَّى لناظري   حقائقُ في وجودي وطلعة
تعاليت عن كل الوجود بحبه   وموتي حياتي في وجودي ووصلتي
ولما رأيت الحب صرت به أنا   وطلعته تجلى عليَّ وقبلتي
وفي كل شيء كائن ومكوَّن   فمني وبي والكل اسماء لبسة
فحلمي وعلمي واسع ومحكم   ونشوة سكري من مدامة خمرتي
وحسني سبا العاشقين بأسرهم   وقد بان تحقيقي وبانت نصيحتي
وأثبت تحقيقي وعقد محبة   بصحو شهودي والحقيقة رحلتي
فحققت عين العين والطلعة التي   أزالت رسوم الغير من كل حضرة
فهي غايتي هي مطلبي هي ظاهري   هي باطني ومحبتي وحقيقتي
نظرت كؤوسي قد تجلَّت لناظري   بحاني فكان البسط في حان سكرتي
فكل صلاة لي ولي قد أقمتها   وتحقيق قلبي أنها لي صلتِ
وفي كل عضو كان فيَّ سريرة   وفي كل معنى فيه أصل محبتي
فللَّه ما أحلا الحبيب وقربه   وفيه ألذ العيش في كل وصلتي
فمن مات في حب الحبيب يعش به   ومن عاش يحظى بي بكل مسرةِ
سبتني أحداق العيون حبيسة   فشاهدتها في كل معنى وطلعةِ
وحققت معناها بكل إشارة   وقد صرت موجوداً في كل ذرة
شطحت بها شرقاً وغرباً وقبلةً   وبحراً بعزمي ثم وافيت حضرتي
تجرَّد عن الدنيا الدنية وانخلع   عن الذرة الأخرى سريعاً بهمَّتي
فأشهدني أوصاف ذات جماله   وأوجدني إياها عند رؤيتي
كشفت عن أستار الملاحة ظاهراً   لوجه حبيبي فهو عشقي ودهشتي
وأفنيت ذاتي عن وجودي غيرة   عليَّ فكان الوصل مني بقربتي
فما صار مني في وجودي بقية   بحبك إلاً أتلفت روحي وأفنتِ
مليحة حسن أفتنتني بحسنها   غزالية قد ألبستني خلعتي

فحققت سري في الوجود بمفردي ... وإني وجود الكل في كل حضرة
تفرَّغت عن كليّ لحبي بعينه ... لأن الذي أهواه فيه إرادتي
وما قلت هذا بافتخار وعزَّة ... ولكن ربي ناطق بحقيقتي
وصلِّي على المختار ربي بعزَّة ... بأزكى سلام ثم أزكى تحيَّة
على مَن فاق البدر نوراً وطلعة ... نبيٌّ حجازيٌّ قد أقام الشريعة
كذا الآل والأصحاب ما هبَّت الصبا ... وأزواجه والتابعين الأئمة
عليهم سلام الله ما ذرّ شارق ... وما طار طير في العلا برفعة
مدى الدهر ما لاحت نجوم وغرّدت ... طيورٌ على الأغصان في كل دوحة

* * *

تائية الشيخ
محمد بن أحمد البوزيدي السلماني الحسني(*)
[؟ ـ ١٢٢٩هـ/؟ ـ ١٨١٣م]

أيا مَن تجلَّى في بهاء جماله وسرّ كماله وعزّ ورفعة
تجلَّيت بأسرار سرك ظاهراً وأخفيتها بعد الظهر لحكمة
وأبهمت أمرها عن الخلق جملة سوى عارف صفى من كل علّة
له بالمعاني علم يدريها كيفما تجلَّى بهاؤها على كل هيئة
محوت سواك عنه محواً مؤبداً وعاين حضرة المعاني القديمة
بأنوار علمها بدت لفؤاده وبضوء حالها رأتها السريرة
لها إدراك الكمال خصت بسره من بين أسرار الخلق فازت بعزَّة
فلولا دنا الوصف ألبست نفسها لما احتجبت عنها الأسرار العالية
فحسنك ظاهر ولكن بجهلها خفي سره وهو في أقوى شدة
فصور وهمها الوجود ولم يكن وما كان هذا قبل إلاً لعلَّة
فلو درت حسنه في كل آية لما التفتت للبعض منه بنظرة
فكل جمال من جمالك أبرز على ترتيب المراد في كل ساعة
ولما أردت للعيان بروزه تجلَّيت بالكمال في كل وجهة

---

* هو العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن أحمد البوزيدي السلماني، الشريف الحسني. شاعر مجيد، وصوفي مطلع، أخذ أولاً في تجويد القرآن، ثم تجرّد للسياحة والعبادة سنين، ثم رحل إلى فاس قاصداً الشيخ العربي الدرقاوي مؤسس الطريقة الشاذلية الدرقاوية، فأخذ عنه وبقي في خدمته وتحت تربيته حتى أصبح من أكبر تلامذته.
له تأليف في علم التصوف وطريق القوم على طريقة الإملاء، فقد كان أميّاً لا يحسن الكتابة.
نظم (التائية في الخمرة الأزلية) وشرحها الشيخ أحمد بن عجيبة.

تجلَّيت حكمة وهذا عالمها وسرّك قد بدا بألطف حكمة
فقلت لنفسك لأعظم سرك لما شئت: كن يبدو من أسرع لمحة
فهي طوع المراد منك حقيقة وكل مراد يقضي بعد الإرادة
تنزّلت الأسرار من بحر سرّك وأجرى عليها منك حكم الكثافة
وبدا ظلال السر في الحسن جهرة وهي التي كانت عليه أدلّة
وصورة في الظهور طوت جميعه كما طوى سرها معاني الحقيقة
وللروح أكبر العقول تنزل وبأكبر العقول صارت كبيرة
ومن أرباب الأذواق نالت علومها وهاجت فهومها وصارت عالية
ودرت ما لم تدره قبل فنائها ومنها بدت لها الأسرار الغريبة
طويت في شكلها الأشكال جميعها وإن كانت في التجلّي ما لا نهاية
فسرها قد أحاط بالأشياء جملة وإن كانت بالجسم الأشياء محيطة
فلو زال وصفها لزالت حجوبها ولبدت شمسها بنور مضيئة
ولانكشف لسر صاحب سرها حقائق أسرار الوجود الخفية
ولكان كل الكون عند مراده بقلبه حقاً في أسرع لحظة
ولدرى سر المعنى في كل مظهر ولبدا وجه السر في كل وجهة
ولأيقن الفؤاد بذاتها وأنها وحدة من غير ثنية
فمن سر السر سره بدا جهرة بذلك كانت كل الأشياء خادمة
فنقطة السر بحر والحرف برها ومن حرفها الحروف بدت بحكمة
وبالنقط والأشكال زادت تبايناً لمن له علم بالمعاني القديمة
وقد بدت جهرة من بعد ستارها وراء لامين للظهور مشيرة
وبالنطق بها تدري إن كنت فاهماً وفيها انتهت رياس بحر الحقيقة
فواصل في بحر الألى غاص فكره وكامل زاد للمعاني الجلية
ظهرت به ظهوراً في كل مظهر وليس على التحقيق سوى الحقيقة

أزالت كل الأكوان عند ظهورها ولم تكن قبل المحو إلاَّ لحكمة
بها ثبت الإبعاد للورى عامة توهمتها غيراً لجهل الطريقة
فلو سلكوا حقاً بدا لهم سرها وغاب جميع الفرق في كل وجهة
ولو خرجت عما به قد تعوّدت لنالت شفاء الروح من كل علّة
ولصح جسمها السقيم من كل ما أصابه من عشق الأمور العادية
ولبدت شمس سرّها في عالمها ولأوضحت معناه كل الإضاحة
فلولا الهوى لما احتجب بهاؤه وما النفس إلاَّ للهواء مطيعة
فلجيوش الهواء كن متشتتاً نصحتك فاقبل يا لبيب نصيحة
فإن ملت فرت معناك وتباعدت وأقبل ليلك برعد وظلمة
فإن شئت بالمعاني جمعك دائماً فلا تمل نحوه ففي الميل ذلّة
ويكفيك سجنك في قفص عالمك ورؤية كونك بعين العمية
فحق البصير يفنى ما سوى وجهه وإلاَّ فلست من أرباب البصيرة
فمن له عين الجمع أعلا حقيقة ومن لا فلا يدري كمال الولاية
وإن أبرزت على يديه خوارق وظاهره على منهاج الشريعة
فأحوالها تبدو على من توجه إليها بخدمة من أهل الإرادة
وهذا لبعض القوم في حال سيرهم وتبدو لأقوام في حالة النهاية
فأكثرهم على اليقين بناؤهم فلا التفات لهم من أول وهلة
علت همم الأرواح للعالم الأسنى بمحض تفضل وجود ومنَّة
وعاينت أسرار المعاني بعينها ولولاها ما رأتها عين السريرة
بنورها قد بدت عن طلعة وجهها إلى عين مرآة القلوب الصافية
فمن كنت له بالمنن مقابلاً رفعت عنه تلك الحجب الساترة
وعلَّمته من العلوم لطيفها وحقَّقت سرّه بسرّ الحقيقة
وأشهدته السر المصون بسرّك وأيقن أن ما سواك لغفلة

وبالقهر والقضا المقدر عنك ستـرت الأسرار وهي جلية
ظهورها قد تغطى بالكشف للغطا وبالكشف للغطا استدلوا البرية
فأقوام بالآيات كان استدلالهم وأنت لبعضهم غاية الأدلة
هنيئاً لمن كنت عليك دليله ملازم للأفراح في كل ساعة
ومبسوط بسواك حده نفسه وروحه بالتحقيق في أقوى نكدة
فمبسوطاً كن به ولا تكن بالهوى ولا بسط إلاً بعد محو البقية
فكن سالكاً حقيقاً في الجدب تنتهي ولا تقنع ظاهراً بأمر الشريعة
قليلاً يليق بالطريق لصعبها وجلّ عباد اللّه أهل شريعة
فإن ساوى حال الشيء فيك وضده تيقن بأكمل صفاء السريرة
وكن برزخاً واحذر من الميل دائماً ولازم مقام الحد في كل عشرة
وقف على حد الشرع والزم كماله وجنّب من البسط المؤدي لرخصة
فمن أطلق العنان في حال سيره فلا بد أن يعود في حال شهرة
وما التذّت به النفس حتماً يمدها سموماً من أعظم السموم القاتلة
وإن لم يكن في الشيء لذّة طبعها فلا بأس إن كان بأمر الشريعة
تورّع إن الورع أعظم بابها وأولى بها حقيقاً أهل الحقيقة
ولا تلتفت لما جرى به حكمه فليس ذلك من شأن أهل المحبة
فكل محبوب بالمحبوب اشتغاله ناسياً لما سواه في كل حالة
وإن جاءك من المحبوب تعرف تلقاه بالإجلال في كل دفعة
فلولا شيء يكدرها في سيرها لما صارت من بعد الكدر صافية
فلا تنكر حكمه إذا بدا قهره فعن قريب يحلّى من بعد المرارة
فمن لم يكن بحال من مات جهرة فميّت عن حياته الأبدية
فليس له علم وإن كان لفظه يشير إلى التحقيق كل الإشارة
فأكثرهم فيها يطول كلامهم وليس لهم سوى الألفاظ العارية

فمن كان في كل الهوى متمكّناً فكيف يدري حقيقاً علم الحقيقة
فعلمها نور يبدي عن سر وجهها وتشهده منك الأرواح الصافية
وقولها يعجب النفوس سماعه وأولى به من أشد المرارة
تفرُّ منه النفوس كلاً بأسرها سوى نفس كانت بالمنن ممدة
على عهدها الأول لم تنقض أمره سبقت لها عند الإله السعادة
لها عزم دائماً وحزم بين الورى خادم لأهل الفن أشد خدمة
على سبيل الإجلال والحب دائماً وليس لها اعتراض في كل حالة
فنعم التي كان محلها هكذا تنال من الحكيم أعظم حكمة
فيا سعد مَن كان إليه مجاوراً على بساط التعظيم في كل ساعة
ببعضه قد كنا إليه ولم نكن بكله ونلنا اقتراباً ووصلة
وأين هم في الوجود قلَّ وجودهم فأكثر أهل الوقت أرباب دعوة
وقد ضاع أدب المريد في وقتنا وواصلون لها بمحض الكرامة
فلولا رجالها يمد بوصفها حقيقاً ما نلنا منها كقدر حبة
وقد ملئت كل النفوس بوصفها وفنت عن جملة الأوصاف العالية
بفضله قد جاد الإله بجوده وليس للفضل منه وجود علّة
فمن لم يزل عنه الحجاب بفضله يعوم في سرّه وعنه في غفلة
ولا شيء غير سرّك بدا جهرة لذلك صارت معانيه مستترة
ظهرت بأنواع الجمال حقيقة وسمّيته كلاً باسم للخليقة
فكان نهاية استتار ظهوره وهذا من أعظم الحكم البالغة
وخصصت آدم بسر علومها وأعجزت سكان السماء العالية
وحقَّقت أحمد بكل حقيقة عبرت عليها منك الأسماء البديعة
لأنه نورك وسر جمالك وبحر كمالك وأعظم نعمة
هو المظهر الأعلى وسر المظاهر بأنواره كل الأشياء منيرة

بعين البقاء يراه من كان فانياً وهذا لبعض القوم بعد النهاية
وليس من الأحوال ما صح عندنا ولكن شريعة المعاني القديمة
وللقبضة علم من أدرك علمها عالماً يصير بالأسرار الغريبة
أفاضت من نوره الأنوار جميعها ومن سرّه الأسرار كلاً ممدة
ومن بحره العلوم فاضت بأسرها على باطن العرفان بأعلى حكمة
ومن نور عقله عقول تنوّرت لذاك صارت أهلاً لنيل الطريقة
وهام كل الأرواح منهم بفكرة وعاينت أسرار الأسرار الخفية
وللروح قوّة على حمل سرّه من بين نفوس الخلق فازت بقوة
على الحالة الأولى جاءت لنا أولاً ومدها علم الفرق في حال فطرة
وقبل اجتماعها بعالم جسمها كانت من علوم روحها مستمدة
لها علم بالأسرار تدريها دائماً بعقل وروح جوهرة نفيسة
وجسم لحكمة وبه تكملت وبسره صارت في الأرض خليفة
وهنا بدت معاني الذات لنفسها ولكن بعد انفصال عن كل عادة
فكل حقيقة بضدها أظهرت وليست على التحقيق سوى الحقيقة
تنزَّلت الأسرار جهراً لحكمة وبأسرار النزول صارت في رفعة
تنزَّل لها إن شئت تدري نزولها وإن كانت في المعالي كانت عالية
فمن لم يكن عبداً لكل عبيدها على مذهب تحقيق أهل الحقيقة
فلا يدري سرّها الذي بدا جهرة وإن كانت ألفاظ المقال قوية
فكل علم لا يصحب الفعل جنبه فإنه بالتحقيق خالي الحقيقة
وكل صورة الفعل يبقى خيالها تشاهدها الأسرار فارحل بسرعة
وقلِّد سيوف الجمع واركب خيولها وقاتل جيوش الوهم في كل ساعة
ولا تقنع بعلم الفروق قناعة فأكثر أهله جهَّال الطريقة
وفي علوم المعاني كن متبحِّراً ولا تزد من سواها فوق الكفاية

فكم عارف نال المعالي ببعضها ... ونال مراده في أقرب ساعة
وكم تالف له الكثير من أمرها ... وقلبه معلول بأعظم علّة
فعلم في القلب يهديك نوره ... ويرشدك إلى الطريق الناجية
وجهل له ظلام في النفس دائماً ... يسير بها إلى البلاد الخالية
فمن له عين العلم يرى بنورها ... ومن له عين الجهل أعمى البصيرة
ستر رداء الوهم مرآة قلبه ... وأغشاه ليله بأقبح ظلمة
وأبرز خيال الأكوان توهماً ... وأثبتها العقل القصير لغفلة
وأبصر ظاهر الأكوان بعينها ... وصارت كلاً في لبّه مستقرة
فناظر للأشياء بعين ذاتها ... جاهل وإن قام برسم الشريعة
ومبصرها بنور عين صفاته ... له علم ببعض الأسرار العالية
وناظرها بعين ذات جماله ... ولايته أعلا من كل ولاية
فإنه في أقصى الكمال إذا صحا ... وإلاّ فمغروق في بحر الحقيقة
وواقف بين العالمين ولم يمل ... كثيراً هو الإمام عند الأئمة
له رؤية في الشيء والشيء لم يكن ... سوى لفظه المشير به لحكمة
فرؤية الكون بالمعاني عزيزة ... ومن عثر عليها فاز بعزّة
فكن متم السلوك إن شئت وصلة ... وجنّب دسائس النفوس الخفية
وإن غفلت نفس جالت في عالمها ... وأهواها حسنها المجازي في لمحة
وتعظم ظلمة النفوس بليلها ... وتأتي لك الأوهام من كل وجهة
وتبدو لك صورة ظاهر نفسك ... وتنطبع فيها الأشياء الفانية
فالمعنى إن كانت صافية للمرا ... وإن كانت بالكدر للحس مرآة
فكل شيء تقابله بسرّها ... يقابلها والمعنى أشرف حالة
وهمّة مع أسباب تقتضي جميع ما ... في الوقت تريده في أسرع لمحة
بتلك السريرة قام سر وجوده ... بقدرته وحكمته العالية

فكن جامعاً لشأن همّة سرك … على محبوب القلوب تعطى الولاية
وتأتي علوم النفس كالسّيْل نازلاً … فلم يحصها سوى كبير العناية
وتلك علامة تجلّى معانيها … بوجه جمالها لعين السريرة
وقد بدا في الأزل للروح كيف شاء … كذلك يبدو في الأبد لحكمة
فكلها أوجه إذا صفا مرآها … لذاك يبدو إليها في كل وجهة
فأنت بها عظيم الجاه ولكني … أراك عن سرها في أعظم غفلة
فإن كنت في الصورة خلقاً فيما يرى … فأنت في غيرها أمور عظيمة
تكل عنها الأفهام في شرح سرّها … تحيّر في فهمها العقول الراشحة
فكل واصل كلٌّ عنها لسانه … وكاملنا يأتي بلفظ الإشارة
فلو صح لك العلم بأمر سرها … لكنت بقدرها عظيم المزية
فلازم خمولها بين الجنس دائماً … ففيه صفاء السر من كل علّة
فبقدر دفنها في عالم فرقها … يتجلّى أمرها لعين البصيرة
فلازم وصف العبيد وكن عبيدهم … ودع عنك جملة الأوصاف العلية
بها بعدت عن الإله حقيقة … ولو دنت للأدنى لصارت عالية
فلولا قميص الذل ما صح عزها … ولولا رداء الفقر ما طابت لذّة
فخذها إلى الثرى بألطف حكمة … تأتيك من المعالي بأعلى حكمة
فلا علم لمن كان يوصف نفسه … فنور نهاره محجوب بظلمة
ولا جهل لمن زالت ظلمة ليله … وبدت شموسه بنور مضيئة
إذا شئت معنى السر فأدر إلى الثرى … ولا ترفع منك عضواً فوق البرية
فلو كنت تدري معنى سر وجودهم … لكنت لهم مجلاً في كل حالة
فعلم على التحقيق يخرق كونهم … ويفني وجودهم في أسرع لمحة
وتبدو لك حقيقة كل مظهر … وتدري بعد التحقيق معنى مقالتي
فكل علم لا يأتي بك لذلّة … فلا بد أن تأتيك منه المذلة

فكن كالذي صارت نفوسهم كالفضا … وهامت كل الأرواح منهم بفكرة
وأظهرت لهم منه أعظم آية … في باطنهم فاستجمعت كل آية
ولنفسهم بدت حقيقة نفسها … وطوت على التحقيق كل حقيقة
بأعظم علمك ظهرت لأهلك … بأكمل سرك لعين السريرة
أزلت وجودهم بسر وجودك … وليس لهم وجود قبل الإزالة
فكنت ولم يكن سواك حقيقة … سوى تلوين الجمال زاد في عزَّة
تعاليت عما لا يناسب حالك … لأنك مفرد بالذات العالية
فللَّه ما أظهر سر جمالها … وللَّه ما أخفى بألطف حكمة
حكمت على الأسرار بالستر والخفا … وهي كشمس الأفق حين تجلّت
لشدة كشفها أخفيت ظهورها … سترتها عن أهل انطماس البصيرة
يرونها والعقل القصير يظنها … سواها وهي عين كل آنية
فبسر اسمك القهّار سترتها … لك الحمد أنعمت بأعظم منّة
رفعت رداء القهر عن عين سرّنا … نظرنا بها إليها أحسن نظرة
تمتعنا في بهاء حسن جمالها … رأيناها عياناً بعين العالية
فرؤيتها شرع لأهل كمالها … بعين معانيها تفهم إشارتي
وغاية سرها وأعظم أمرها … لقطب جمالها وخير البرية
لأنه شمسها، ونور بهائها … وعين كمالها وبحر النهاية
فلا أحد يحوم حول مقامه … لقوّة أنوار التجلِّي العظيمة
وجبريل في الإسراء لو زاد خطوة … لأحرقت جسمه الأنوار القوية
فذلك مقامه في القرب وحده … وأحمد زاد فوق ما لا نهاية
فلو بدا ما بدا إلى الورى جملة … لأفنى وجودهم في أسرع لمحة
ويكفيك في الجبل حكم سلطانه … ولو بدا بأشياء كلاً لدكّت
ولما رأى الكليم أعظم أمره … صار داهشاً وغاب أعظم غيبة

ويكفيك في الجبل محو وجوده … ممّا بدا له من تجلّي الحقيقة
حرام على مخلوق أن يرى وجهها … ولكن بها ترى الأسرار العظيمة
فعينها علمها وبه البصائر … تشاهده عياناً في كل حالة
وإن بدا في الأشياء أفنى وجودها … ولم يبق غير اللفظ منها لحكمة
وبقدر قوّة الأرواح لشهوده … لو زاد لها في التجلّي لدكّت
وذلك شيء في الأزل مقدّر … وإن شاء زاد ربنا في العطية
ولأقوام تجلّى لو بدا سرّه … لمن دونهم لامتحت كل آنية
وذاك لهم بقدر سرّ اقترابهم … وقربهم بقدر صفاء المراية
ومرآتهم تجلّي بحسب زهدهم … وزهدهم بقدر الهمم العالية
وأجنحة الأرواح سرّ هممها … وإن علت الهمّة صارت عالية
فمن كان رافعاً لمقدار نفسه … فلا شيء له في الرتب العالية
وإن كان علمه كثيراً وصومه … فهذا طريق لا يُنال برفعة
ولكن بخلع النفس عن كل لذّة … وتغييبه عنها وعن كل غيبة
وأنفع علم يدنو بك إلى الثرى … وغيره يرفعك أقبح رفعة
فكن مبصراً في السير إن شئت وصلة … ولا وصل إلاّ بعد محو البقية
ولا محو إلاّ بعد دفن وجودك … ولا دفن إلاّ بعد فقر وذلّة
ولا فقر حقاً إلاّ من طيب نفسك … ولا ذلّ إلاّ جهراً بين الأحبة
فمن كان للعز محباً وللغنى … فمعبوده الهوى على أي حالة
فجانب كل ما مال قلبك نحوه … سوى حبه الصفي من كل علة
ولا رخصة للقوم في حال سيرهم … لأنها لأهل الهمم الضعيفة
وأنت مقام القوم تريد وصلة … فهو بعد الصفاء من كل علّة
فخذ منها العرفان واسلك سبيلهم … ولا تقتدي بأكثر أهل نسبة
حكموا على الأسرار بالقول دائماً … وحلّوا قيود النفس في كل شهوة

وزال خصيم النور وأفنى وجوده   وجاء رضاء النفس بكل علّة
فلا علم لمن كان عنها راضياً   أحاطت به الأهواء من كل وجهة
ولا جهل لمن كان عليها ساخطاً   من أجل عصيانها لرب البرية
وقد كانت بحر السر وهي أميرة   وجاءت لتدري معنى سر الإمارة
فملكها الهوى وصارت مأمورة   عليها أمير الكون بأعلى سطوة
لها صفة الإنسان والطبع أغلظ   وأقوى من الحمار في حال زفرة
فأين حقيقة الإنسان التي كانت   عليها عند الإيجاد أول نشأة
فكن مخلصاً وأخلص من إخلاصك الذي   وكن بريئاً من كل حول وقوّة
وكن بالإلٰه معتصماً بقلبك   وقل يا سلام سلّم من كل فتنة
ولازم كتاب اللّه واحكم بحكمه   وسنّة أحمد إمام الأئمة
وعالم وارع في دنياه زاهد   فكن عنه آخذاً لأمر الشريعة
ومن كان سالكاً ومجدوباً دائماً   ولا أخذ إلاّ عن شيوخ الطريقة
كمثل أستاذي لقوم مثله   وفخري به طرّاً على أهل نسبة
وبه على الورى أصول حقيقة   ولا أخشى إلاّ من إلٰه البريّة
فجملة أهل الوقت تحت لوائه   عارف بأحكام النفوس الخفية
له همّة إن قال للشيء كن يكن   يعزّ إذا شاء يذلّ في لحظة
تمد مدد الخلق همّة سره   جميع همم الخلق في كل حاجة
يقلّد في الأمور كلاً بأسرها   في حكم الحقيقة وأمر الشريعة
فمن لم يدر معنى سلوك طريقه   حقّت له جملة الأحمال الظاهرة
لمثله كن عبداً تنال كل المنى   وتبلغ منتهى الأسرار العالية
وكن لأهل علم المعاني مجاوراً   تمد من الأسرار في كل دفعة
فعن رجال الأفكار تروي عقولهم   على صفة التلقين في كل ساعة
ويكفيكَ بعد الفرض ما هو آكد   لأنك حامل لحمل الطريقة

وقل من كان للجهتين عامراً فأكثر أهل اللَّه لإحدى جهة
توجه إلى المعاني حيث توجهت ودر معها سريعاً في كل دورة
وكن حريصاً على الأنفاس جميعها فمطلوبها كلاًّ بفكر ونظرة
وذكر بجمع القلب جاء حقيقة وبه استقام حبال أهل الطريقة
وإن كبر العيان بحكم قهره على سائر الأحوال في كل ساعة
ومالك للأحوال هو إمامنا به يقتدي الجميع في كل حالة
تعلق بسره، تخلّق بوصفه تحقَّق بوصف الفقر تحظى بعزّة
على منهاج الكمال امش ولا تخف وخلِّ عصاة الخلق وأهل طاعة
وجنب جميع الناس واحذر غرورهم ومدعي الفقر جهراً أكبر غرة
ومن ظن علمه فوق الورى جملة وفهمه أعلى من جميع البريَّة
فهذا أجهل الناس كلاًّ بأسرهم فنظرة منه تأتي بألف ظلمة
وعالم به كل ما ازداد علمه وفهمه عنه زاد فقراً وذلّة
فخلِّ سوى من كان لك موافقاً حقيراً فقيراً راض بكل محنة
ضعيفاً عاجزاً خامل الذكر في الورى وجلُّ جميع الناس عنه في غفلة
فواضعه ورافعه كلاهما لشغله بالمحبوب في كل ساعة
وأين هذا في الناس قلَّ مثاله فسيدهم معلول بكل علّة
إذا مدح أو بالعطاء وجهته أتاك سريعاً مظهراً للمحبة
وإن كنت له بالمذمة واجهاً على حذر كن منه في كل طرفة
فيا أسفاً على الذين تقدموا كانت له نفس بالمجاري راضية
يرونها من عين المعاني حقيقة يحبونها إجلالاً أشد المحبة
إذا وجهوا بالذم ترى وجوههم بنور كأنها شعاع الأهلة
وإن منعوا زادوا فرحاً ونشوة فهكذا حالهم في أمر البداية
كانت لهم أخلاق كرام مع الورى وأوقاتهم بين حضور وغيبة

ووقتنا بالتحقيق قد سار جلنا يطوف على الدرهم في كل ساعة
ويسعون عند الخلق رفعة قدرهم ويطمع في درك العلوم النفيسة
هيهات ما كان هكذا من تقدَّم وقد كانوا أصحاب الهمم العالية
نظرهم للمحبوب نحو جماله تيقنوا أن ما سواه لغفلة
فليس شيء سوى الجمال حقيقة ظهر منه ما كان مخبيء بحكمة
وما زاد فيه شيء سوى بروزه على حسب ترتيب حكم الإرادة
وما نقص وإن أخفى الأمر سره وصور وهمك وجود الخليقة
فلقلَّة التحقيق منك بحقه ولفقد العلم غابت عنك الحقيقة
ولو جاءك علم المعاني التي بدت لكنت من أعظم هناء وراحة
وقد كان كل سر منها لسرنا ولكن أخفاه الوهم لأجل علَّة
على مرآة القلوب بدت سحابة إثر رياح الوصف أتت بظلمة
إذا شئت أن تحيا فمت في حياتك ولا خير فيمن حتى تأتي المنية
فمن حيا قبل الموت ماتت حياته ومن حيا بعد الموت حيا حقيقة
وأصعب شيء فقر ثم مذلّة فلذ بهما تكن كبير الولاية
فمن لم يكن بالفقر والذل راضياً فأسرار أهل اللَّه عنه بعيدة
فتسليط الجنس فرض في السير فأدره ويبلى ذاك البلاء عند النهاية
فما من صادق إلاَّ قاموا بحجة عليه ولكن أذنه قد تصمت
له همَّة عليا باللَّه تعلَّقت وروح منه اشتاقت إلى سر حضرة
وأكبر عقل منه للعلم مقبل وقلب إلى محل نزول حكمة
وسر لعين بحر ذات جماله لها ناظر بنور عين الحقيقة
ونفسه في المثال صارت كأرضنا سوت تحت أقدام جميع البريّة
فلا زال يدنوها وينسى حظوظها حتى زال وصفها وصارت عالية
تغوص في بحر السر بسر فكرها وتأتي بأشرف العلوم النفيسة

فلم تروها هناك إلاَّ عن نفسها في عالم سرها بصح الرواية
فواسطة الإلهام أمين وَحْيها يأتي لها بالتبليغ في كل ساعة
فإنها نقطة الجمال حقيقة من النقطة الكبرى برزت لحكمة
تقدم ولا تخف فنارها ساعة ونورها دائم من شمس الحقيقة
فطهرها تطهيراً ظاهراً وباطناً وخذها ولا تخف من هول وفتنة
فإنها سر اللَّه قطب جماله فمنها نال الوجود عزّاً ورفعة
عليها تدور أفلاكه جميعها وأنواره منها تلوح بقوّة
فلولا الهوى لضاء نور بهائها على سائر الأقطار في كل ساعة
فشمس عالمنا من نورها أبرزت وأنجمه منها كلاً مستنيرة
وأنوار أفلاك الأفق بأسرها ومنها مدد الكل في كل لمحة
وبها علوا أهل الإله جميعهم وصاروا ملوك الكل في أعلى رتبة
يجروا ذيول العزّ حيث توجهوا وحالهم الغنى برب البريّة
عظم اكتفاؤهم وكفاهم كل ما يهمهم بفضل وجود ومنّة
وإن أصيبوا فالحفظ حال قلوبهم ومن أولى منهم بالأمور العظيمة
فهم معه معية الحال دائماً وذاك فوق طور العقول الراشحة
فلم يدر حالهم في القرب سواهم وكل جميع الخلق عنهم في غفلة
فلو نادتهم كل الأشياء بصوتها لما التفتوا إليها بأدنى لمحة
يباشرونها والقلب عنها بمعزل مليء حقيقة بنور الحقيقة
من أجلهم أكرم الإله كل الورى وصار عصاة الخلق في ظل رحمة
تطيب الأماكن بذكر سماعهم وتعلو فوق الإمكان وقتاً بجلسة
وإن داموا صار في المعالي مقامه كأنه كوكب منير في رفعة
فبسرهم دار الفلك لحكمة وحرَّك أقطار الوجود في لمحة
فمفتاح أبواب العلوم بأيديهم وسر العطاء موهوب بلمح نظرة

وكل مدد الخلق منهم جميعه بأنعم فضله أو بعدل نغمة
فمن نار قبضهم لظى صار حرها عذاباً لأقوام مجاناً مع ذلّة
ومن نور بسطهم جنان تزخرفت بهاء وأنواراً سروراً مع بهجة
وأنهارها بسرهم فاض خمرها وأغصانها نادت بألطف نغمة
وبنورهم حور العين تنوَّرت وولدانها المسخرة لخدمة
وزينة عرش اللّه بعض جمالهم ولو بدا سرهم للأشيا لدكت
وسرهم نقطة من بحر حبيبنا ومولانا أحمد العظيم العطية
فمن بحر سر عليه صلاته سقاهم صفاء الشرب من طيب لذّة
ومن نور بره عليه سلامه كساهم حال العز أشرف لبسة
ومن عقله عقولهم قد تنوَّرت ومن روحه أرواحهم مستمدة
ومن علمه الأعظم لهم مواهب تفوق لجج البحر في أقوى شدة
وبه نجوا من الهموم جميعها وبه كانت حياتهم أبدية
وخصوا بسرّه الخفي بين الورى وأعطاهم منه قرباً فوق الخليقة
ولا زالوا في ارتقاء نحو كماله حتى بدت صورة الحبيب البهية
كأن سواها في المظاهر لم يكن وهذه رتبة من أقصى الولاية
فلهم عينان للجمالين ناظراً فهذي لحالة وهذي لحالة
فواحدة تطوي الوجود بأسره وأخرى له بالنشر في كل ساعة
فيا له من مقام ما أعلى أمره لبعض رجالنا من أهل طريقة
وهذا علمي وفوق علمي علومهم فلم أدر سوى البعض منها لغفلة
فإنهم أعظم الحجب لأحمد وأحمد أعظم حجب الحقيقة
فكن مثلهم في السير إن شئت سرهم ولا تكن كالعوام من أهل غفلة
ظاهرك بأمر الشرائع قائم وباطن منك بالأسرار العلية
فصل صلاة الجمع في الفرق أينما توجهت لتلك الآية العظيمة

وإليه بالتحقيق وجهك دائماً ... وهذي إشارة ونعم الإشارة
فأهل النهى يدري إشارة سره ... ويسجد بالأرواح لكل وجهة
ومن كان فهمه قصيراً فيسجد ... لمكة تابعاً لظاهر الآية
وله مدد البعض منها لسره ... تمده مدد الهمم الضعيفة
فكن ساجداً للّه سراً بكلك ... ولا تنقص عند البعض أقل ذرة
وكن داعياً عند السجود تأدُّباً ... وسبِّحه بالإجلال في كل ركعة
وفرض عين جاءت على من تكلف ... وأما صلاة السر عين الفريضة
وفي الوقت صلاتين صلهما معاً ... فذلك قرّة العين فادر إشارتي
وإن كنت من إحدى الصلاتين فارغاً ... فكن ساجداً في الأخرى بإحدى سجدة
ولا ترفع يوماً في سجودك طرفة ... فليس هنا وقت تكون الإعادة
فهذه للأبدان لأجل ضعفها ... وهذه من أجل القلوب القوية
بمحض الكرم يا إلٰهي تولنا ... وكن لنا وارعنا بعين العناية
ولا تترك حولنا عدواً وظالماً ... وإن حام له آت بكل ذلّة
وخذه قبل اهتمامه بهلاكنا ... لأنك عالم بكل الحقيقة
وكل جبار الوقت اقطع عروقه ... وأوراقه وأغصانه الممدة
وأينما ولّى الوجه خذه بسطوة ... ووليه مدبراً عظيم المذلّة
مشتت القلب والجوارح دائماً ... يخوّفه الشيطان كل المخافة
ولا تترك منهم في الوجود بأسره ... عظمت منهم إلاً هي كل الإذاية
أقمنا سيوفنا من سيوفك ظاهراً ... وباطناً تمحق الأعادي الظلمة
أعادي جنود النفس والجنس دائماً ... سريعاً إلاً هي يا سريع في لمحة
فأمرك أقرب من البرق إذ بدا ... وأعجب من هذا في حكم وسرعة
فكن لنا والإخوان حيث توجهنا ... وأيدنا وانصرنا بأعظم نصرة
وكن لدين الحبيب أحمد حافظاً ... وطهّره يا إلٰهي من أهل ظلمة

بحكمك كيف شئت تحكم في الورى ونسألك اللهمَّ نشر الهداية
على يد أهل العلم بك حقيقة بفضلك يا مجيب أجب لي دعوةِ
بجاهك يا من لا جاه فوق جاهه وبجاه من رحمت به البرية
وبجاه كل مَن كان له تابعاً سالكاً ومجدوباً على كل حالة
فصلِّ وسلِّم ثم بارِك على الهادي رحيم بنا في كل هول وشدَّة
رؤوف رحيم يطلب العفو دائماً لأهل نور الإيمان في كل ساعة
وحاش حبيباً أن ترده خائباً فيا سعدنا على كل حالة
ونسألك الرضى عن الأهل والصحب وتابعهم إلى انتشار القيامة

* * *

تائية الشيخ

عمر بن محمد البكري اليافي(*)

[١١٧٣ ــ ١٢٣٣هــ/١٧٥٩ ــ ١٨١٨م]

عرائس حسنٍ بالجمال تجلَّتِ ... بعقد لآلٍ بالكمال تحلَّتِ
وقد وردت والواردات تزفُّها ... بمجلى تجلّي الحسن فوق منصة
لها خلعٌ من نسج حال خلاعةٍ ... بتلوين لبس الحال في كلّ صورة
هي البكر بنت الفكر حال مذاقها ... عجوز ترى شمطاء عين فتية
تلوح عليها نشأة الذكر إن بدت ... ترنّح أعطاف النشاوى بنشأة
كأنّ الصبا راحت تروّح غصنها ... تلاعبه إذ تنثني كالأسنة
كأنّ الحميَّا باحمرار خدودها ... تدير على العشاق صهباء خمرة
لعمرك ما كأس الحميَّا إذا صفا ... سواها ولا ريح الصبا في الحقيقة
هي الراح والريحان والروح والشذا ... هي الروح والأرواح إن هي هبَّتِ
هي الكاس بل والطاس والجام ممتلي ... مداماً هي الدَّنّ المصفّى بحانة
تجلّت لنا في حضرةٍ أحديةٍ ... تراءت بمرأى واحدية كثرة
فسلمى ودعدٌ والرباب وزينب ... وليلى وهندٌ مع جميل بثينة
إشاراتُ عشاق عباراتُ ذائقٍ ... مجاراة أشواقٍ مباراة صبوة
وموردها تلوين حال ممكّنٍ ... ومشهدها تعيين عينٍ بصيرة

(*) هو العارف بالله تعالى الشيخ عمر بن محمد البكري اليافي، أبو الوفاء، قطب الدين. شاعر، له علم بفقه الحنفية والحديث والأدب. أصله من دمياط بمصر، ومولده بيافا، في فلسطين. أقام مدة في غزة، وتوفي بدمشق.
له ديوان شعر ـ مطبوع بالدار بتحقيقنا ـ، ورسائل، منها: قطع النزاع في الرد على من اعترض على العارف النابلسي في إباحة السماع.

حقائق أسماءٍ رقائق مظهرٍ دقائق أنباءٍ تشير لحضرة
مراتع غزلان مرابع جؤذرٍ جوامع عرفان طوالع همّة
نوابع سحبان سوائغ موردٍ سوابغ أردان مسابغ خلعة
مرامات أحوال مقامات رتبة محاماة أهوال منامات يقظة
ومطلعها من أفق أفلاك حضرة تمدّ لنا ظلّ البقا في الظهيرة
ومنبعها استعداد صبٍّ مؤهَّلٍ ومشرعها استمداد صدق الطوية
مجالي جمال في بطون جلالةٍ معالي كمال في ظهور جلالة
تجلّي صفاتٍ عند أسماءِ ذاته تحلّي هبات ضمن أفعال حكمة
وما الوصف والأسماء سوى الذات إن تكن لفرق اعتبار الجمع حكم عبارة
فحقق هداك اللّه أسماءَهُ العُلى ترى الاسم منها جامعاً للبقية
جمال جلال كلها عند فرقها يمينٌ شمال جمعها سرّ قبضة
وكلتا يدي ربي يمينٌ وإنما شمال ضلال الحجب عين القطيعة
فكن محرماً عما سواه مجرّداً ملابس أغيارٍ محلاً بحجة
وطف حيث بيت الربّ معمور فيضه به واستلم ركن التجلّي بصورة
وِرد زمزم الفيض اللدنيّ مسرعاً وِرد حجره الفيّاض ميزاب رحمة
وفي عرفات الجمع عرفان فرقة ونيل المنا بعد الدنو لزلفة
جمار السوى فارشق بها مارد النوى وللنفس بدء الرجم أول جمرة
وعد طائفاً ذاك المقام تشوُّقاً نرَ الفيض يجري في طواف الإفاضة
فميم رعاك القلب إذ كنت قبل ذا ربيع اصطفاء للوفا والمودّة
وحيث قد اخترت السوى لك فالنوى بنجمك يهوى في خوافي الطبيعةِ

* * *

تائية ثانية للشيخ
عمر بن محمد البكري اليافي(*)
[١١٧٣هـ ــ ١٢٣٣هـ / ١٧٥٩ ــ ١٨١٨م]

نهاراً تجلّى الحقّ في ليلة السبتِ ... بمشرق شمس الغرب ذي المدد السبت
هو الحاتميّ الخاتم الفاتح الذي ... به ختمت كأس المعارف في السبت
فللّه إذ تجلّى علينا بحانِه ... فترشفنا من ورده راحةَ السبت
فتى لم يزل يُجلي كؤوسَ مواهبٍ ... بخمرة أسرارٍ على الساري بالسبت
فيا حبّذا فردٌ تكثّر وهو لم ... يزل واحد التصريف في الوصل والسبت
شعائره الغرّا شعور ذوي النهى ... تعامل بالتقصير فيها وبالسبت
فكم شاعرٍ لا عن شعورٍ بحبّه ... غدا بين سبتٍ في الصبابة والسبت
وكم عارفٍ قد جاء ليلة سبته ... يفيض سنا الأنوار كالعارف السبت
وكم من خميسٍ جاء في يوم جمعةٍ ... بِلَيلته في حبّه هاجرُ السبت
فيا نفس إن صحّت لك منه نسبةٌ ... لخدمته بشراك إن كنت ناسبت
فمن يك في الدنيا تحقّق موته ... رأى سرّ محيي الدين يحييه في الوقت
وكلّ فتّى يفنى شهود وجوده ... يراه بعين الحقّ ذا القدم الثبت
هو الفرد بل والغوث همّته سرت ... تروح بإذن الحيّ في الحيّ والميت
فتوحاته تُجلي خواتم أكؤوسٍ ... بمسكٍ مدام الفتح بالمدد البحت
لسلطان كلّ العارفين تصرّفٌ ... له الحكم فيهم إذا غدا صاحبَ التخت
تصاريف أحوالٍ تكاليف رتبةٍ ... تعاريف أقوالٍ بحكم الهدى تفتي
مثاني فرقانٍ بتوحيد جمعِه ... معاني قرآنٍ مقدّسة النعت

---

(١) سبقت ترجمته.

له الهمّة العليا التي قد تصرّفت بحكم تجلّي الأمر في الفوق والتحت
فسلّم لها تسلم ومن يك منكراً لما قلته فيه فقد باء بالمقت
فلي حجّةٌ تبدي محجّةُ فضله لجاحده في وجهه ظلمةَ البهت
ومن يفتري البهتان فيه فإنّه غدا مشبهاً في إثمه آكلَ السحت
ألم تر جنّات الهدى روضَ قبره وفي كلّ حينٍ أكلها للندى تؤتي
مرنّحة الأغصان هبّ بها الصبا مفتحة الأزهار في الغرس والنبت
قطوفُ جمال الإنس دانية الجنى صنوف مجالي القدس في الحسن والسمت
عيون ينابيع الحقائق عندها فنرن تناويع الرقائق قل طبت
ومرتعنا الإنسيّ في ظلّ قربها ومربعنا القدسيّ فيها إذا نأتي
ونحن نرى فرض المحبة منّةً علينا له يُقضَى ولكن بلا فوت
وليس كبير المدح يجدي وإنّه هو الأكبريُّ الأبهري صاحب الوقت
عليه رضاء اللّه قد فاح طيبه ففتّ فؤادَ المنتمي أيّما فتّ
مدى الدهر ما ليل الشجي طاب إذ شدا نهاراً تجلّى الحقّ في ليلة السبت

* * *

تائية الشيخ

أبو عبد الله محمد بن محمد بن
عبد الواحد بن يحيى
المعروف بالحراق(*)

[١١٨٦ـ ١٢٦١هـ/ ١٧٧٢ـ ١٨٤٥هـ]

ما شاء الله

أتطلب ليلى وهي فيك تجلّت ... وتحسبها غيراً وغيرك ليست
فذا بله في ملّة الحب ظاهر ... فكن فطناً فالغير عين القطيعة
ألم ترها ألقت عليك جمالها ... ولو لم تقم بالذات منك اضمحلت
تقول لها أدن وهي كلك ثم إن ... حبتك بوصل أوهمتك تدلّت
عزيز لقاها لا ينال وصالها ... سوى من يرى معنى بغير هوية
كلفتُ بها حتى فنيتُ بحبها ... فلو أَقسَمَت أني إيّاها لبرَّت
وغالطتُ فيها الناسَ بالوهم بعد ما ... تبيَّنتها حقاً بداخلَ بُردتي
وغطيتها عني بثوب عوالمي ... وعن حاسدي فيها لشدة غيرتي
بديعةُ حسنٍ أو بدا نورُ وجهها ... إلى أكمهٍ أضحى يرى كلَّ ذرة
تحلّت بأنواع الجمال بأسرها ... فهام بها أهل الهوى حيث حلَّت
وحلَّت عرى صبري عليها صبابة ... فأصبحتُ لا أرضى بصفوةِ عُروة

---

* هو العارف بالله تعالى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الحراق بن عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن الحسن بن الحسين الحسيني. شاعر وإمام جليل، متضلع في علم الظاهر انتهت إليه فيه الرياسة، مشاركاً في فنونه من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعقول. وكان أديباً شاعراً كاد ينفرد به في عصره مع كثرة وجوده. وقد كان تلميذاً للقطب الرباني العربي الدرقاوي. مات ودفن بزاويته المشهورة بثغر تطوان بباب المقابر.
من مؤلفاته: شرح الحِكَم العطائية؛ قواعد التصوف.

من ذا من العشاق يبلغ في الهوى مرامي فيها أو يحاولُ رتبتي
وبي مِنْ هواها ما لو أُلقي في لظى لذابت لظى منه بأضعف زفرتي
وبالبحر لو يُلقى لأصبحَ يابساً وبالشم دكّت والسحاب لجفّت
ذهلت بها عني فلم أر غيرها وهمت بها وجداً بأول نظرة
ولما أزل مستطلعاً شمس وجهها إلى أن تراءت من مطالع صورتي
فغاب جميعي في لطافة حسنها[1] لأنْ كنتُ مشغوفاً بها قبلَ نشأتي
فدع عاذلي فيها الملامَ فإنّما عذابي بها عَذبٌ وناري جنّتي
وإن شئتَ لُمْ فيها فلستُ بسامعٍ دُهيتُ فلم يكُن إليكَ تلفُّتي
وكيفَ أصيخُ للملامةِ في التي عليها جُيوبي في الحقيقةِ زُرَّت
وكنتُ بها مُغرىً أراها حبيبةً إذا أنّها واللّه عينُ حقيقتي
وفيها ادعيت العين في مذهب الهوى وقطعتُ رسمي كي أصحّحَ حُجَّتي
وأصبحتُ معشوقاً وقد كنتُ عاشقاً لأن ظهوري صارَ أعظم زلّتي
بها سمعت أذني وأبصر ناظري فعاينتُها منها إليها تَبَدَّت
وفي حالها دارت على كؤوسها فصرت بها أسمو على كل ذروة
وما أبصرَت عيناي للخمرِ جامَها لأن جامَها منها لَها عينُ حِكمتي
تلألأ منها كلُّ شيءٍ فما أرى سِوى نورِها الوقّاد في كلِّ وجْهَتي
أباحَ لي الخمارَ منه تفضلاً جناها فصار الشُربُ ديني وملّتي
فإن شئتها صرفاً شربتُ وإن أشأ مزجتُ لأنَّ الكلَّ في طي قَبضتي
وإنْ شئتُ أطوي الكونَ طياً وإن أشأ نشرت جميع الكائنات بنظرتي
شربتُ صفاءً في صفاءٍ ومن يَرِد مِنَ القومِ شرباً لم يَجد غيرَ فضلَتي
تقدَّمَ لي عند المُهيمنِ سابق من الفضل واستدعاهُ حكمُ المشيئة

---

(١) وفي نسخة [جسمها] بدل [حسنها].

فلي عزَّة المُلكِ القديمِ لأنني بعزّة ربي في العوالم عزّتي
ولي مقعدُ التنزيهِ عن كلِّ حادثٍ ولي حضرةُ التجريدِ عن كُلِّ شركة
جلستُ بكرسي التفرُّد فاستوى منَ اللّه عرشٌ لي على ماء قُدرتي
تراني ببطن الغيب إذ أنا ظاهر وما ثَمَّ غيري ظاهر حين غيبتي
تجلّيت من لوح البطون ولم يكن تجلّى منه غير تحقيق حكمتي
لأني قبل الكونِ إذ أنا بعدهُ ولم يَكُ كون غيرُ تلوينِ بهجتي
تجلّيتُ قبل باسمِ لوحِ القضا كما تجلّيتُ بعد باسمِ ناري وجنَّتي
ترامت بأنواري المقادير أنني عجيب بدت في كثرتي أحَدِيَّتي
وخمري أثارت في الجميع ضياءها وحقاً بأنواع الوجودِ استبدَّت
مُدامٌ تزيلُ الهمَّ وهيَ بِدَنِّها وينشطُ كلُّ الكونِ منها بنفحة[1]
تراها بحشوِ الكأسِ وهي زجاجةٌ ولَو لم تكُن فيهِ لذابَ بسرعة
بها هو ممسوكٌ وقد مسكت به تلونُ كأسي من تلوُّن خمرتي
تلطف منها إذ سرَى منه نورُها فتحسبُها شمساً على البدرِ درَّت
ومِنْ عجبٍ كأسٌ هوَ الخمرُ عينُها ولكنَّه يبدُو على شكل دُرَّة
فيحسبُهُ الراؤون غيرُ مدامةٍ لشدّةِ آفاتٍ بعينِ البصيرة
ولو صفتِ الأسرارُ منهُم لأبصروا لطائفَ أنوارٍ بأشكالِ قُدرة
بَدَت برياض المُلكِ أزهارُ مائها وبالوهمِ يبدو الزهرُ غير المائية
فإن شئتَ أنْ تنفيهِ فاترُك خواطراً تجول لفكرٍ لم تكُن في الحقيقة
ولكن أنت من عالم الحُسنِ فاستوَت على القلب عيناً وهو عالمُ غفلة
وطر عن حبالات التفكير في الورى لكي لا ترى مستوثقاً لم تَفلَت
وكن بمقامات الرجالِ بظاهرٍ ولا تك يوماً حذو كلِ بفكرةِ

(١) وفي نسخة [بنفخة] بدل [بنفحة].

فكم زاهدٍ ألقاهُ في الليل زهدُهُ ... تفكرهُ فيه أتاه بظلمة
وذي طاعةٍ قصت جوانحُهُ بها ... وعيقَ على المولى بلحظِ الفضيلة
ولم يصفُ زهدٌ لا ولا عملٌ لمن ... يرَى نفسهُ في زهدِها قد ترقَّت
لأنَّ الذي يأتي ببر ولا يرى ... به اللَّه آت فاتح باب فتنَة
ولم يَصف أي يُخلص من الجهل أمرُهُ ... ولم يُلفَ إلاّ في غياهِبِ ريبَة
لأن فعلنا ما لم نرَ اللَّه فاعلاً ... على الشكِّ بالمعبود في كل وُجهة
لفقدانِ إخلاص بِهِ اللَّه آمرٌ ... وذلك إفراد الإلٰه بخدمة
ولم يكن الإفراد يوماً لعامل ... إذا نفسه في ذلك الفعل عَنَّتِ
لأنَّ إلٰهَ العرشِ عمَّ وجودُهُ ... ولمَّا يكُن شيءٌ سواهُ بمُثبت
ولم يُخصصِ الأعمالَ باللَّه من يَرى ... شريكاً له فيها بمثقالِ ذرّة
ويا عجباً كم تدعي أحدية ... وهيَ على التحقيق غايةُ وحدة
ولمّا تكُن في اثنينِ واللَّهُ غايةٌ ... فكيفَ إذا أثبتَ نسبةَ كثرة
ألم ترهُ يَنهى عن اثنينِ خَلْقهُ ... وشركُ ذوي التثليثِ بادٍ بحجَّة
فدع عنكَ أقوالاً تَرى إن أتيتَها ... أخا ظمأٍ يوماً سراباً بقيعةٍ
وألقِ لنا أذنَ الفؤادِ مصيخةً ... وعِ القولَ منّي واستَمع لنصيحتي
إذا شئت أن تلقى السعادة والمنا ... وتبلغ ما عنه الرجال تولَّت
فطهِّر بماء الذكر قلبَكَ جاهداً ... بصدقِ اللجا واغسله مِن كلِّ علّة
وفكِّر بأمر الشرع أمرَك كلَّه ... فدونكَ إن لم تفعل البابُ سُدَّت
ودع ما مضى إن تُبتَ لا تكترث به ... ولا تلتفِت في طاعةٍ لمثوبة
وشمِّر ذيولَ الحزمِ للَّهِ طالباً ... ولا تقصدن حظاً بسير الطريقة
فَمَن عمَّه القُصّادُ بل مَن عَماهُمُ ... تَوَجُّهُهم نحوَ الحظوظِ الدنيَّة
ومن يبتغِ غيرَ الإلٰهِ بِسَيْرِهِ ... إليهِ تَراهُ راجعاً أيَّ رجعة
بأن يَنتهي للوهمِ والباطلِ الذي ... له نفسُه عندَ البداية أمَّت

ومن ثمَّ كانت عادةُ اللَّه في الذي ... يَـؤُمُ سـواهُ دائـمـاً نَـيـل خَـيْـبـة
فـيـحـرمُـه مـا أمَّ إذ هـوَ لـم يـكُـن ... ولا يـصِـلـنَ لـلَّـه مِـن فـقـدِ نـيّـة
فـذا عـدمٌ مـحـض وذا لـم يـؤمّـه ... فـصـفـقـتُـه والـلَّـه أخـسـرُ صـفـقـة
فسِر في أمانِ اللَّه للحق مُسرعاً ... وكن مُعْرِضاً عن ذي الأمور الشنيعة
كحرصٍ على مالٍ وحبٍّ ولاية ... وكـثـرة أصـحـاب ونـيـل الـمـزيَّـة
وغِب عن شهودِ الذاتِ منكَ ووصفها ... وصـلْ عـلـى كُـلٍّ تَـنَـل كُـلَّ رفـعـة
وكن مفلساً من رؤية الكون كلّه ... تـكُـن بـإلٰـه الـعـرش أغـنـى الـبـريَّـة
فلم يفتقر من جاء بالفقر ذا الغنى ... ولـن يـغـن مـن يـأتـي إلـيـه بـثـروة
وكـل مـقـام لا تـقـم بـه فـكـرةً ... ودع كلَّ حال فيه نفسُكَ حلَّت
إلى أن ترى ما كُنتَ مِن قبل هارباً ... بفكركَ منهُ نفس عينِ الحقيقة
وتُبصرُ ربّاً قد أحاط بما ترى ... وجوداً على التحقيق من غيرِ مريَّة
وتنظر نوراً فائضاً من حقيقة ... تـلـون ألـوانـاً لإظـهـار حـكـمـة
وتعلَم أنَّ الكونَ ليسَ بكائن ... لأجلِ دخولِ الكلِّ تحتَ الماهية
وتوقِنُ أن الكأس خمراً ولا ترى ... سواه فما أحلى لقاء الأحبة
وإنـك سِـراً لـلـكـلِ والـسـرُّ ذاتُـهُ ... وإنَّكَ أنتَ العينُ في بين صنعَة
وإنَّـكَ وصـول ولا ثـمَّ واصـلٌ ... ولكِن معاني الذاتِ بالذات حقَّت
تناهت إليها بعدما احتجبت بها ... ومـنـهـا الـتـنـاهـي كـان أولَ مـرة
أبت أن تراها عينها وهي عينها ... وفـي ذا كـمـالُ الـقـدرة الأزلـيـة
وتظهر إن شاءت إليه بحال ما ... به احتُجِبَت عنها بسطوة عزَّة
بدت بجمالٍ مِن كمال صفاتها ... فأهدَت به مَنْ بالعناية خُصَّت
ولو لم تجل بالصفات لما اهتدى ... لعرفانها واللَّه فهم الخليقة
لأن تجلّي الذات يمحق نوره ... جميع الذي يبدو له بالذاتية
ألم ترها لمَّا تجلَّت بذاتها ... لطور كليم اللَّه للصخر دكت

وخر لذاك الدك موسى كليمهُ فعوَّض صعقَ الطور عن صعقِ نفخة
لأنَّ تجلِّي الذات نفخة صورها به تبدل التلطيف كل كثيفة
ومن ثم كانت نشأة الخلق أولاً تهد ونشأ العرض نفخة بعثة
فتدركُ ما لم تدر من قبلِ بَعثِها ويعلم منه الغيبُ نفسَ البديهة
لأن مدرك الأنوار من عين نوره على قدره يبدو له في الحقيقة
ألم تر خير الخلق أبصرَ خلقه تنزَّل حتى كان في المُلكية
وأصحابُه لما عَلَو باتصاله فلم يَعُد منهم واحدٌ حُسنُ دَحْيَةِ
وإن لم يروا جبريل إلاَّ عشيرهم على أنهم في الناس أفضل أمة
فكيف يرى خلق حقيقة أحمد ولكن يرى ظلاً من البشرية
لأنه صون السر بل سر صونه والأنوار طراً من سناه استمدت
عليه يدور القطب وهو بسره يدورُ عليه الكونُ في كل لمحة
ترى حكمه باللّه في الخلق نافذاً لأنه صار فيهم أصل نشأة
ترقَّى إلى أن صار للكل جامعاً لسر أتى من همَّة أحمدية
وأصلُ وجودِ الشيء رحمةُ نفسه لذلك كان رحمةً للبرية
ورحمتُه من رحمة المصطفى أتت لأن سرّه من سر عين الرحمة
لذلك كان القطب يبصر دائماً له سرُّ الاستخلافِ في كل برزة
لأنه عن خير الأنام خليفة وهو عن الرحمٰن خير خليفة
فنور سرى في الكون صورة أحمدٍ به تهتدي للّه كلُّ بصيرتي
فهو الهدى والنور من حيث إنه على ذاته تجلَّى معاني الحقيقة
فلا مهتدٍ إلاَّ بأضواءِ نوره لأنَّ نعوتَ النورِ بابُ الأدلة
وهوَ على التحقيقِ واللّه وصفه ومن ثمَّ كان الفتح منه لحضرَتي
فمن حقَّه نور الرسول يخوض من بحار شهودِ الذاتِ في كل لُجَّة
وتنهى إليه في الأنامِ رياسةٌ قد استسلَفَت في عزِّها كلّ رتبة

ومَن قد أتى من غير نور محمد فإقدامُهُ في مهوَةِ الغَيّ زَلّت
يرومُ دخولَ الدار مِن غيرِ بابها ويطلُبُ هدياً بالأمور المضلّة
ولولا سَنى منها لَما وصَلَت بنا سَنابكَ أفراسِ القلوبِ المُجِدَّة
لنحو حماها وهي في منعةِ الهوى وصونِ شفوفٍ مِن سيوفٍ أعزّة
فلذا اغترابي في اقترابي حبائبي وهان عذابي إذ عذابي شقوتي
أو أرى غرامي عن هواجس عاذلي فتكشف عن سرّي حقائقَ سيرتي
ويعذُرني منه صوانُ تجلُّدي فتعذرني من سُرعة السَكب عَبرتي
وما كنتُ أدري حين أدري مدامعي بأنَّ سرايا الطَّرف من جيش رقبَتي
وإن شؤوني عن شؤوني عبَّرت إذا غَبرت في التيه أخدودُ وجنَتي
توسَّدت من جسمي الأمان لأنه إذا ما فنى في الحب في زي ميت
وأنَّ حياةَ الروح عنه خفيةٌ إذا أنَّهُ لَما فَنى فيه حلَّت
وصار بسرِ الذوق من عين ذاتها ونالَ بقاءً إذ رمى بالبَقِيَّة
ووافقها فيما يعُمهما معاً وداما جميعاً بين خفض ورفعة
فهذا بعين الذاتِ نافي دائماً وهذا بنور العين في العين مُثبت
فأضحى الوَرَى لمَا روى كلٌّ واحد روايتَهُ قسمينِ في نوعِ عشقتي
فمن قائل هذا يُحبُّ بثينة ومِن قائلٍ هذا كُثيِّرُ عزَّة
رأوا من ثيابي في ثبات تَوَلُّهي فأوقعَهُم في الوهم فهم تثبُّتي
ولمَّا أبى كَتّي يَكنُّ هوايَ بل يُذيعُ جميعاً للوشاةِ سريرتي
وأصبحَ أفواهاً تُناجي بكُلّ ما لَهُ صارَ أسماعاً على خَلفِ إمرتي
فإن أنه نطقي أنه ما كان مُودعاً سواهُ وذاعَ السرّ من كل جُملتي
تيقَّنتُ إذْ لم يبق مني كاتِمٌ بأنّ استتاري في الغَرامِ فَضيحَتي
وصرتُ إذا لم يستُرِ الشمسَ ظِلُّها أُصانِعُ عن دَرءِ الهوى بصَنيعَتي
وأعلَمُ أنّي بالمَعالم جاهلٌ وأُنكِرُ في كلّ اختباري خِبرتي

وأسألُ أهلَ الحيِ عن جيرةٍ لها ... لتبريدِ تَبريحي وإطفاءِ لوعتي
أغالطُهُم في فتنةِ الفرقِ إنَّ فتـ ... ـنة الجمعِ ليست في الصبابة فُرقتي
بدا غَيُّهُم من عينهم فتواترت ... عليهم سهامُ البينِ مِن عينِ نُقطة
ولو جَرَّدُوا مِن نُقطةِ الغينِ عَينهُم ... لفازوا بتفريدٍ به الذاتُ جلَّت
وشاهدَ كل عينه عين حبّه ... وأفضلُ خلقِ اللَّهِ عينُ الوسيلة
ولكن إلى أنوارهِ الكلُّ ينتهي ... ففيهِ حقائقُ الكرامِ ترقَّت
عليه صلاةُ اللَّهِ ثُمَّ سلامُهُ ... وآله والأصحاب في كلِّ لحظة
وأزواجهِ والتابعينَ جميعِهِم ... وأُمَّتِه الغراءِ أفضلُ أمة

* * *

تائية الشيخ

أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني(*)

[١٢٩٠ ـ ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٣ ـ ١٩٠٩م]

سقتْني بثغر الوَصْل قهوةَ حُسْنِها مُشَعْشَعَةً دارَتْ بألحان نشأتي
فيا ساقياً مهلاً، فما رَوِيَ الحشا أدِرْها على سرِّي بحاناتِ حضرةِ
سَكِرْتُ؛ ولكنْ مِن مُحَيّا جمالها فطلعتُها سُكْرِي ككاساتِ خمرةِ
وشاهدتُ معنى الحسنِ مِن بعدِما استوتْ بعرشي، فصرتُ العينَ مِن بعدِ كثرةِ
هناك انمحى عن فَرْقِ نقطةِ غينِه وصِرْتُ وراءَ الجمعِ مِن جمعِ شِكْلَةِ
دَنَتْ، فتدلتْ في مهامِه ذاتها لِذاتِ لها ذاتٌ إليها تدَلَّتِ
سجدتُ لها عند التّداني ملبيّاً بمحرابِ مَجلى الجمعِ من بعدِ حَيْرةِ
وغِبتُ بها عني، وصرتُ وراءَ ما يشاهَدُ من حُسْنٍ بكلِّ كُلِيَّتي
وأبصرَها لَحْظي، وذلك لَحْظُها فكنتُ بها منها بصيراً بجملتي
وثَمَّ وراءَ الحُسنِ معنى شَهِدْتُه بِمَهْمَهِ غيبِ القُدْسِ في طَيِّ حُلَّة

* * *

(*) هو العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، الحسني، الإدريسي، (أبو الفيض)، محدِّث مفسِّر، فقيه، أصولي، متكلِّم، صوفي.
ولد في ربيع الأول، وانتقد علماء فاس بعض أقواله ونسبوه إلى قبح الاعتقاد وشكوه إلى السلطان عبد العزيز بمراكش، واتهموه بطلب الملك، فرحل إلى مراكش وأظهر براءته مما عزي إليه، وأقام فيها زمناً، ثم أذن له بالرجوع إلى فاس فعاد، ثم تولى إملاء شروط البيعة للسلطان عبد الحفيظ وفيها تقييد السلطان بالشورى فحقدها السلطان عليه. ثم اعتقل وسجن وجلد وسحب إلى بنقية في مشور أبي الخصيصات من فاس الجديدة، فمات فيها.
من آثاره: اللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية، المواقف الإلٰهية في التصورات المحمدية، حياة الأنبياء، روح الفصوص، واقتباس العقائد.

سمِعتُ الندا من قاب قوسين: «مرحباً ... وأهلاً بمعشوقي لسر هُوِيَّتي»
غريبٌ أنيسٌ عرشَ بدرينِ لابسٌ ... لضدين مِن شمسينِ، لونان حُلَّتي
أحاطتْ بكلّي يوم كنتُ ملبّياً ... بمحراب مجلى الجمع من دون سترةِ
مجردةً عذراءَ يَسْبي جمالُها ... ملثمةً بالعين، عيني وقبلتي
لقد ظهرتْ في الكل عيناً بكلها ... فما ثَمَّ إلاَّ الكل في كل وجهة
تبدتْ بتلوينٍ به احتجبتْ، وقد ... تجمعتِ الأضدادُ فيها لسترة
عشقتُ ملاح الكون من أجلها، وما ... رأيتُ سواها في الحقيقة لبتِ
تبدّتْ مبادي الجمع من لوح جمعها ... بظلٍّ خطوطِ الشكل من رسم نقطة
رسومٌ بدتْ من غيبِ لوحِ بطونها ... إليها معاني الذات تُجلَىْ بصورة
مطلسمةً تبدو على عهدِ كنزها ... بلونِ «الأنا» في «الهُوّ» بل كل صبغة
«هَيُولى» هباء الغين من جوهرِ العمى ... فمني تبدّى الكل من بسطِ نقطة
تقدمتُ قبل الكل؛ إذ بي وجودُه ... تأخرَ بعدَ الكلِّ ناسوتُ صورتي
أنا الأول الثاني، أنا الظاهر الذي ... بَطُنْتُ بسر الغيب من بين إخوتي
أنا نقطةُ الباء المجردةُ التي ... أنافتْ على الأفلاك يوم دُجُنَّة
أنا كنزُ غيبِ «الهُوِّ» في غيبِ «هُوِّهِ» ... بظلمةِ نورِ الذاتِ ذاتِ هُويَّتي
تفردتُ بي عنّي بِمَهْمَهِ مَهْمَهِي ... فما ثَمَّ غيري ظاهرٌ في أنِيَّتِي
أنا كلُّ كلِّ الكلِّ طَلْسَمُ طَلْسَمِ ... بذاتي خلتْ ذاتي بكاساتِ خمرةِ
كذاك بشكل الجنِّ في الأرض قبلَكم ... فصرتُ لهم رُسْلاً لتحقيق حجتي
وقد صرتُ في تكذيبِ رُسْلي موجهاً ... لهم حججَ الإبطال شأنَ رَعِيَّتي
كذاك بأطوارِ الشياطين جئتُهم ... ظهرتُ به حُكماً لحكمةِ حكمتي
وما هذه الأشكال منّيَ غيّرتْ ... صفاتي، ولا أبدتْ سوايَ لنسختي
تطورتُ في كلِّ المظاهرِ، وانتهتْ ... إليَّ، سَرَتْ في كثرتي أحَدِيَّتي
فليس ورا مَرمايَ مرمًى لذي هوًى ... تجمعتِ الأضدادُ في فردِ كثرتي

وكلُّ زوايا الكون أضحتْ مَقَرٌّ مُذْ وسِعتُ جمالَ الحق حقّاً بجملة
ودونك حُسْني، فاشْهَدْنُهُ مجرداً على نعتِ فرقِ الجمعِ مِن قابِ قوتي
تدلَّلْ بأنسِ البسطِ في حضرةِ المنى على عزَّةٍ تبدو بكهف هُويَّتي

* * *

فهيّا اسقِني خمرَ التّداني، وواصِلَنْ كؤوساً بألحانٍ على عهدِ نَشْأتي
ولي زفَراتٌ أبْلَتِ الكونَ جهرةً إذا برزتْ ضاق الفضاء لِلَوْعَتِي
وكمْ سَهرتْ جَفْنُ الكئيب تَرَقُّباً لِطَيْفِ خيالِ الحسنِ مِن فَرْطِ حَيْرَة
أنوحُ على الأطلالِ كيما أرى بها مُشابِهَ جسمي في تلاشي وغربتي
أذاب فؤادي سحرُ عين جمالها ولبَّيْتُهُ كَرْهاً على عِزِّ سَطْوَتي
فما في الحشىْ مَجْلَى لغيرِ سهامها ورَفضُ السِّوى فرضٌ علي لِغَيْرَتي
أغارُ عليها أنْ أراها، وإنما غرامي بدا في الكون يُبْدي قضيتي
إذا زَمْزَمَ الشّادي طَربْتُ تَهَتُّكاً عليها، وفاضتْ في البَرِيَّةِ قصّتي
أُبَرِّدُ ما بالقلب لو كان نافعاً تَوَقَّدَتِ الأضرامُ في كلِّ شعرةِ
تَلَذُّ لِيَ العُذّالُ في جَنْبِ حبّها فما ثَمَّ إلاَّ الحسنُ في كلِّ رتبةِ
على مِثلها أفنى وأبلى تحيُّراً وأرْقُصُ في الأغلال مِن فَرْطِ لَوْعَتي
تفانَيتُ عن حِسّي وجنسي وقد غَدَتْ وُشاةُ الورى تسعى لشأن مَهِيَّتي
وفي غَيبةٍ عنها وعن زُخْرُفاتِها تفانيتُ حتى قيلَ: ليس بِمُثْبِتِ
رُوَيْدَكُمُ، أبْدَتْ معانِي جمالِها بخلوةِ سرِّ السرِّ دونَ أُنِيَّتي
خلوتُ بها رغماً على الدَّهرِ بعدَما توهّمتُ في سرّي بوَجدي وحُرقتي
سقاني الدُّجى خمراً بكأسٍ دوائبٍ على العودِ، والمزمار، في كَفِّ قَيْنَةِ
هي الشمسُ إلاَّ أنَّ ذاتي سماؤُها فلَوْنُ الأنا فيها كلَوْنِ المَشِيَّةِ

* * *

تَبَدَّت على كأسٍ فكان لِلُطْفِهِ بها هو إيّاها، وإياهُ حُلَّتي

لأنَّه عينُ العينِ والنقطةُ التي أُديرتْ به من قوسٍ وَتْرِ هُويَّتي
لقد لاحَ ظِلُّ العينِ في شمس عينِه فشاهدتُ عينَ العينِ في طيِّ بُردتي
أباحَ الهوى سري وكم قد كَتَمْتُهُ فصرتُ له معنًى للُطْفِ حقيقتي
غنيٌّ فقيرٌ مفلسٌ متهتّكٌ كئيبٌ قتيلُ الحُسنِ أقصى حضيرةِ
تذلّلتُ مذ لاحظتُ معنى جمالها فصارتْ معاني الحَفنِ تفتِكُ جملتي
تغرّبتُ عن إلفي وكم قد تقاعدتْ بِيَ السفنُ العرجا على سطحِ لُجَّتي
وكم لعبتْ أيدي الصّبا بعقولنا فصارتْ على متنِ القفار تَفَتُّتي
وكم قد تَولَّهنا وذُبنا صبابةً على إثرها يوم المعارك بُغْيَتي

* * *

فخَلِّ جميعَ الكون واصرِمْ حبالَه وبَدِّدْ كثافاتِ العناصر صِبْغَةِ
وحسِّنْ ظنوناً بالورى لا تُسِيءْ بهِمْ فذلك أدنى المَقْتِ، والباب سدَّتِ
ودونَك بحرَ الشرع فالزم سبيلَه ولا تَغْبأن بالمبطلين لشِرعةِ
ودونَك أهلَ اللَّه فالزم وِدادَهمْ وقُرْبَتَهمْ فالباب منهم لحضرةِ
وإيّاك والتّدبيرَ للرزق إنّه يجرُّ إلى التشكيك في سرِّ كلمةِ
وإيّاك والتّحجير للحقِّ إنّه تجلّى بتلوينٍ على لونِ قبضةِ
ودونَك فكرَ الوهمِ فالْغِهِ إنّه مُؤَدٍّ إلى تقييدِ عقلٍ وصورةِ
ودونَك والتجريدَ للقلبِ إنّه هو الغرضُ الأقصى ونيلُ الطريقةِ
ودونَك والإطلاق في كلّ ما ترى فذاك مرادُ الحقّ عينُ الخليقةِ
ودونَك ذلَّ النفسِ فابْغه إنه يُرَقِّي على الأفلاك فوقَ المجرّةِ
ودونَك حسنَ الظنِّ فهو المُنى والفوزُ والنيلُ للخيرات في كلِّ رُتْبَةِ
وإيّاك سوءَ الظنِّ بالمرء إنه هو المقتُ في الدارين بينَ البريةِ
وإياكَ والإعطاءَ للنفسِ حقَّها فذاك هو الإغواءُ أصلُ البَلِيَّةِ
ودونك والتمزيقَ للعِرْضِ إنه هو الآيةُ الكُبرى وسُبْلُ المَحَجَّةِ

وإيــاك والإكــثــارَ لــلأكــل إنــه مُـضِـرٌّ، ولـلإرخـاء بـادٍ بـشـهـوةِ
وإيــاك والإكــثــارَ لــلــنــوم إنــه يُقَسّي عليك القلب في كلِّ مرَّةِ
وإياك أنْ تُبْقي لنفسِك، والقها على الزَّبْلِ إنْ شئتَ المعالي بسرعةِ
ودونَك وُدَّ الـوُدِّ فـاحـفـظْـه إنـه عـلامـةُ إيـمـانٍ ومَـزْجِ الـمـودةِ
ولا تَـنْـسَـهُ بـيـن الأعـاديْ لأجـل أنْ تـقـومَ بـأمـرِ الـحـقِّ أمـرِ الأخـوةِ
ولا تَـنْـسَ مَـن أولاكَ خـيـراً؛ لأنَّ ذا طـبـاعُ لأحـرارٍ نـأوْا عـن كـثـافـةِ
وإيـاكَ والأغـيـارَ لا تَـكْـتَـرِثْ بـهـا لأنَّ شـهـودَ الـحـقِّ يـفـنـي الـبـقـيـةِ
وطَهِّرْ قُبَيْل العصرِ كُلَّكَ مخلصاً وألْقِ وجودَ الظلِّ في ماء وِحْدَةِ
وكَبِّرْ على الأكوانِ تكبيرَ مَيِّتِ تفانى عن الإحساس لمّا تَجَلَّتِ
وألْقِ مثالَ الظِّلِّ في صبحِ شمسها وصارِمْ شكوكَ العقلِ في شأنِ سجدةِ
وصَلِّ صلاةَ الجمعِ في فرقِ جَمعِه لكي تَنْزَوي عنك البقايا الكثيفةِ
تَصيرُ بمرأىً للخطابِ ومَسْمَعٍ مَحَلاً لنفثِ الرُّوعِ إرثِ النبوّةِ
فحَيّهلا بالشُّكرِ فيها وأوْصِلَنْ ودَعْ عنك أربابَ الدّعاوي السخيفةِ
وشَقّق عليها القلبَ والثوبَ واشطحَنْ على الكون في حاناتِ جمع الأحبة
ودونَـك والإكـثـارَ لـلـذكـر إنَّـه صَقِيلٌ لمرآةِ الفؤادِ الصَّدِيَّةِ
ومَزِّق ثيابَ العِزِّ في جنبِ وصلها فإنَّ فناءَ النفسِ شرطٌ لوُصْلَةِ
تَنَزَّه عن الشركِ الخفيِّ فإنه تَبَدّى على كلِّ بأحسنِ صورةِ

* * *

ودونـك مَـرمـانـا، فَـرُمْـهُ لأنـه مَحَجّتُنا البيضا وأوْثقُ عُرْوَةِ
طريقتُنا أرْبَتْ على الفُلْكِ تبتغي مراتبَ فوقَ الفوقِ من بين إخوتي
سلالتُنا فاقتْ سُلالةَ مَن غدا جليسَ بساطِ القربِ من فتحِ خُوختي
سُلافتُنا نَمَّتْ على سطحِ حانةٍ أتتْ برقيقِ الغزلِ إرْثِ النُّبوءةِ
لِواؤُنا خفّاقٌ على كلِّ مَن دنا حضيرة قُدْسِ الفَيضِ مِن وَشْيِ حُلّتي

أتَينا بغَزْلِ الفتحِ من حضرةِ الغِنى … بإذنِ رسول اللّه شيخيْ وعُمْدَتي
فعنه أخذنا ما تَدَفَّقَ جَهْرَةً … على صِغَرِ الأجرامِ حينَ شبيبتي
نَجُرُّ ذُيولَ العِزِّ في جَنْبِ وَصْلِهِ … على رُتْبَةٍ قَعْسا بأقصى حَضِيرةِ
بدايتُنا فاقَتْ نهايةَ غيرِنا … فليس الثُّريّا للثَّرى بقرينةِ
لنا الدولةُ العليا لدى الهَوْلِ نرتقي … على نَهْجِ بحرِ الفضلِ قُطْبَ المَجَرَّةِ
لقد رَكِبَتْ مَتْنَ السَّعادةِ وانْثَنَتْ … عن الطَّرْدِ والإبعادِ، بل كلُّ شِقْوَةِ
وحازَتْ سعاداتٍ تقاعَدَ دونَها … أسودُ الورى مِن أُسِّ مركزِ نُقْطَةِ
قد اقْتَطَفُوا مِن أيْمَنِ القَبْضةِ التي … حَبَتْهُمْ فحازُوا الفضلَ في كلِّ وِجْهَةِ
كذا كلُّ مارٍّ في الطَّريقِ رآهُمُ … حَبَتْهُ سعاداتٍ ففازَ بِبُغْيَةِ
على رَغْمِ أهْلِ البُعْدِ نالوا مَفاخِراً … فَحَيَّهَلا بالقُرْبِ منّا لِحَضْرَةِ
ومَن هُوَ مِن أهل المعارِكِ شَمَّنا … فأبْدى عُشَيرَ العُشْرِ في شَأْنِ صُحْبَةِ
ومَن هو مِن أهلِ المعارجِ عابَنا … وأنْكَرَنا، والجَهْلُ شأنُ البَرِيَّةِ
كذا كلُّ مَن وَلّى بجنبِهِ مُعْرِضاً … عن الصِّدقِ والتَّصديقِ بابِ زَوِيَّتي
لنا الخوضُ في بحرِ العجائبِ جَهْرَةً … ولسنا أُسارى الغيرِ في فتح عُجْمَةِ
ومَن رامَ مَنْحىً فَلْيَرُمْهُ، فعندما … يُرَجّى التَّلاقي تَنْزَوِيْ غينُ شُبْهَةِ

* * *

تائية الشيخ
عبد القادر الحمصي(*)
[٠٠٠ هـ ـ ١٣٥٣ هـ]

نعم أثبتت ليلى عهودي ببيعتي   وقد أرجعتني بعد صحوي لسكرتي

---

* قالت السيدة فاطمة اليشرطية الحسنية في كتابها «رحلة إلى الحق» في ترجمته: «ظهر في دمشق، شاعر صوفي كبير، من أبناء طريقتنا المنتسبين لسيدي الوالد رضي الله عنه، وهو الشيخ عبد القادر الحمصي، الدمشقي ـ المعروف والمشهور بين إخواننا باسم الشيخ عبده الحمصي.

كان هذا الرجل مقرئاً ضريراً، من حفظة القرآن الكريم، يجيد علوم التجويد، ويتقن علوم النغمات والألحان. لكنه لم ينظم الشعر قبل تصوفه وانتسابه لطريقة سيدي الوالد. فلما تشرّف بأخذها، جاءه الإلهام بمدد روحي فنظم الشعر الصوفي (أناشيد، وقصائد، وموشحات، وقدود ـ منها موشحات على وزن الموشحات الأندلسية). وقد وضع لأناشيده وموشحاته ألحاناً توافق المعنى كألحان الموشحات القديمة، والأغاني الحديثة في ذلك العصر، منها ما يُنشد في حلَق الذكر، ومنها ما يناسب مجالس أنس القوم بالله، ومنها ما ينشد بعد الانتهاء من حلَق الذكر وهم جلوس شبه دائرة، وتسمى هذه تجريدة.

وقد مدح سيدي الوالد بمنظوماته الصوفية الرائعة وردد إخواننا هذه الأناشيد في كل مكان، فكانت من العوامل الجذابة الداعية إلى التصوُّف. وقد ألّف قصة المولد النبوي الشريف وأناشيدها، فجاءت آية في المعاني الصوفية، والإبداع الروحي، والرقي الإلٰهي، واصطلاحات القوم. فهو شاعر الطريق في ذلك العصر الذهبي.

من قصائده: اللامية التالية:

شمس الكمال، هلال الدين، مرشدنا   بحر الحقيقة، برُّ العلم والعمل
أرض الخضوع، سماء الفخر، نجم هدى   طُور المناجاة، سحب الوابل الهطل
قدس المحبين، بيت الله، مكّتنا   صفا وزمزم، نور القلب والمقل
هديي، رشادي، كمالي، قدوتي، سندي   ذخري، ملاذي، يقيني، ملتي، أملي
جعلته في الملا قصدي ومعتمدي   وقد خلعت رداء العلم والعمل
دع عنك عَذْلي، فما أُذني بصاغيةٍ   يا عاذلي، لا، ولا قلبي بمنعزل
أرواحنا أزلاً في حبه طبعت   فلو علمت عذولي جزتَ عن عَذَلي =

ولـمـا رأتـنـي لا أمـيـل إلـى الـسـوى دنت من فؤادي واستقرّت بـمـهـجـتـي
فليلي بها فجر وفجري بها ضحى ويـومـي بـهـا دهـر ودهـري كـلـحـظـة
ومـن فـوق ذا عـلـم يـدقّ عـن الـورى عـلـى أنـهـا أنّـي ولـيـسـت بـصـورتـي
تـجـلّـت عـلـى الأكـوان حتـى كـأنـهـا من الكون شمس للعيون الصحيحة
ظـفـرت بـهـا بـيـن الـحـطـيـم وزمـزم ولـمـا أتـيـت الـبـيـت ضـيّـعـت حـجّـتـي
فـمـعـقـولـة عـنـد الأنـام وإن بـدت ومـشـهـودةٌ مـحـسـوسـة عـنـد عـزوتـي
أمـوت فـتـجـلّـى ثـم أحـيـا فـتـخـتـفـي بـبـرقـعـهـا الـمـعـروف بـالأحـديـة
وإنـي وإن قـدّسـت ذاتـي عـن الـسـوى سـواهـا لإيـجـادي وتـصـحـيـح نـسـبـتـي
فـيـا طـالـب الـعـرفـان مـنـي بـيـانـهـا ويا قاصد التحقيق منها حقيقتي
فـمـشـهـودة فـي كـل عـيـن بـصـورةٍ ومـحـجـوبـة عـن كـل عـيـن بـصـورتـي
رجـال أعـارتـهـم عـيـون رأوا بـهـا وقـوم سـواهـم قـيّـدوا بـالـمـشـيـئـة
فـفـي سـورة الإسـراء ثـمَّ إشـارة بـهـا يـكـتـفـي ذو هـمَّـة عـلـويـة
لقد حيَّرت ليلى عقول أُولي النُهى وبـالـمـلأ الأعـلـى كـذاك بـحـيـرة
فإن كـنـتَ فـي شـك عـذولـي بـمـا أرى أو اخترت نصحي مِثل لمس بصخرة
فلا الـنـصـح يـدنـيـنـي إذا هـي أبـعـدت ولا الـعـذل يـقـصـيـنـي إذا هـي أدنـت
وفي العرش والكرسي والأرض والسما وتـحـت الـثـرى إلاَّ سـرابٌ بـقـيـعـة
نـعـم أسـفـرت حـقـاً عـن الـسـرّ والـخـفـا فـعـايـنـت نـور الـذات فـي كـل ذرّة
تـعـاهـدنـي أن لا أبـوح بـسـرّهـا فـمـا بـحـت بـالأسـرار لـكـن بـلـوعـتـي
فـلا يـحـسـب الـمـغـرور أنّـي مـعـلّـقٌ بـلـيـلـى وسـلـمـى بـل بـروحـي ومـنـيـتـي
مـقـدَّسـة الأوصـاف عـن وهـم ريـبـة مـنـزَّهـة بـالـحُـسـن عـن كـل صـورة

= وهـذه شـمـس ذات الـحـق قـد ظـهـرت فـانـهـض إلـيـهـا بـلا خـوف ولا وجـل
تلقى كؤوس الصفا بالأنس قد مزجت ومشهد القوم في تلك الكؤوس علي
حـجّـت إلـيـهـا أولـو الألـبـاب مـسـرعـةً وفـاقـد الـقـلـب ردّتـه يـد الـفـشـل

هي الجسم والأعضاء والدم والحشا ... هي العقل منّي والحواس وصيغةِ
وفهمي وأفكاري ولفظي جميعه ... ومنعي وبذلي واتّساعي وضيقتي
وسكري وصحوي والشراب ومطربي ... وعربدتي ثم الغفول ويقظتي
وصبري وتصديقي وخوفي مع الرجا ... وضعفي على كل الوجوه وصحتي
وعلمي وإيماني وشرعي ومذهبي ... وجهدي وأعمالي وديني وملّتي
ودهري وأوقاتي وبدئي وعمدتي ... وحشري وميزاني وناري وجنّتي
هي الملك والملكوت والصورة التي ... بلاهوت ناسوت الوصال استقلّت
كعنوان نشوان لذاتي تنزَّهت ... ونقطة باء أظهرت كل آية
وتلك لها شأن بديع وحضرة ... بها قامت الأشياء في صنع حكمة
بدت فاستضاء الكون نوراً وكان ... في ظروف ظلام من عماء الهوية
سريت بها ليلاً من المسجد الحرام إلى ... المسجد الأقصى بقدس الحقيقة
ركبت بُراق الحب من آل يشرط ... وصاحبني جبريل روح المحبة
فشاهدت في معراج ذاتي عجائباً ... وعند سماء الفتح أظهرت كُنيتي
فآدم توحيدي لديها تركته ... وجئت سماء الأمن من غير علَّة
طرقت سما العرفان نفسي عرفتها ... وحقّقت فيها كل علم وحكمة
سماء من الإحسان ثم دخلتها ... وفيها شموس الكاملين تجلَّت
دعتني سماء القرب لمّا أتيتها ... تبرّأت من نفسي وحولي وقوّتي
ومن بعدها للوصل جرّدت همّة ... سماء تسمّت بالوصال المثبت
وحسبي سماء الفرد يا حبّذا الحما ... وروحي بها دون الجميع اطمأنَّت
وفي منتهى الآمال قد لاح عرشه ... وكرسيه شيئان قلبي ومهجتي
فثمَّ ستور لا انتهاء لجمعها ... وأعظمها سبعون من غير شبهة
وجودي وأوطاني وأهلي ونسبتي ... ومالي وآمالي وملكي وعادتي
وقاري وتعظيمي وشأني وهمّتي ... عبيدي وتلميذي ورأبي وحيرتي

وعلمي وتدبيري ودرسي وفخرتي شعوري وتأليفي وكسبي وحيلتي
نفاقي وإنفاقي ريائي وسمعتي خضوعي وتقليدي وعجبي ودعوتي
جمالي وإجمالي كمالي وسطوتي كلامي وأوهامي وجهدي وقدرتي
حقوقي وتحقيقي ذكائي مزيتي وزعمي وعرفاني وشركي وريبتي
جدالي وخوضي واحتقاري ورغبتي فضولي وغلّي وانتقادي نميمتي
غروري وتزويري وظني وطيرتي وشتمي وإصراري وإهمال توبتي
وشكّي بأستاذي وتركي فريضتي وهجري لأرحامي وأهل طريقتي
وتزكيتي نفسي لأهل طهارة وميلي إلى الدنيا وحبّ رئاسةِ
ومَن خلف تلك الحجب لاحت بوارق تشير لجمع الشمل بعد التشتّت
تذكرت أوطاني فأدهشني اللقا فغبت به عن حال صحوي وسكرتي
وعند حضوري بُدِّلَ الخوف بالرجا وفوق بساط الأنس شاهدت منيتي
فطوبى لقلب إذا أسرّ بسرّه وبشرى لعين إذ برؤياه قرّت
وعند اهتمامي بالرجوع معارجاً بها أرتقي في كل يوم وليلة
ففي الصبح معراج إلى الحضرة التي بها نارت الأكوان من بعد ظلمة
ومنها رشاد العالمين إن اهتدت عليها ولا نهجٌ سواها لقبلة
وفي الظهر معراج إلى الرتبة التي هي الماء حقاً والوجود كثلجة
هي النفس روح والظلام بها ضيا وكم لي بها من لذّة فوق لذّة
وتيه ابن عمران الكليم بسوحها وقد صار فيها كل حيّ وميت
وفي العصر معراج إلى المستوى الذي أفاض به حبّي على كل ذرّة
وفي كهفه للعارفين منازلٌ وفي ظِلّهِ كل الأنام استظلّت
ولا خوف في هذا الجناب على امرىء مطيع سواء كان أو ذي عصاوة
وفي المغرب القدُّوس معراج مقدسي لذات تولّت سرّ كل حقيقة
وفيها منار العزّ والوهم والعُلا ولا يجتني شخص شذاها برخصة

ملوك أولي الألباب تدعى عبيدها وكل عظيم دونها كالبعوضة
فللّه درُّ النازلين بحيّها صفاها اصطفاهم من جميع البريّة
فحازوا كمالات الوجود بأسرها لِمَا في حماها في كمالٍ ورتبة
ومعراج روحي في العشاء لحضرة أحاطت مع التنزيه في كل حضرة
هي الروح للأرواح والسرّ للخفا هي المعدن المشهود في أصل فطرتي
دعاني غرامي أن أموت بها كما دَعاها الهوى قدماً بإحياء صورتي
تريد فنائي بل أريد بقاءَها فمني أرادت حيث منها إرادتي
وعمّا قليل يَطْرُدُ الصبح للدجى فأهوى بما تهوى وتقضي بدعوتي
فتمَّتْ معاريج الصلاة وبعدها سأشرع في تبيين باقي الفريضة
فصومي زكاتي ثم حجّي ثلاثة حضوري وتقديسي ببدئي وعودتي
ولي في حماها كل بارق لحظة شهود وعلم وارتقاء لرتبة
خفاها الهوى عنّي وكنت مضيّعاً ومذ فقت عفت عن قصوري وزلّتي

* * *

تائية الشيخ
أحمد بن مصطفى العلاوي
المستغانمي(*)
[١٢٩١ ـ ١٣٥٣هـ/ ١٨٦٩ـ ١٩٣٤م]

لقد تهتّكتُ والتّهتُّك شِيمَتِي ... إنَّ تَهتُّكَ الحبِّ أجْمَلُ حُلَّةِ
خَلَعْتُ عِذَارِي لا أبالِي بعاذِلٍ ... مزَّقْتُ ثَوْبَ الوَقَارِ مِنْ فَرْطِ نَشْوَتِي
وغِبْتُ عَنِ الأكْوَانِ مُنْذُ حَذَفْتُهَا ... لَمَّا آنَسْتُ فِي الحَيِّ نارَ الأحِبَّةِ

---

* هو العارف بالله المربي المرشد مولانا أحمد بن مصطفى بن محمد المعروف بالقاضي ابن محمد المعروف بأبي شنتوف بن الولي الصالح الملقب (بمدبوغ الجبهة) بن الحاج علي، المعروف عند العامة (بعليوة) المستغانمي أبو العباس الشهير بالعلوي وبابن عليوه. وإليه تنتمي الطريقة المعروفة باسمه (الطريقة الدرقاوية العلِّية أو العلويّة).
ولد الشيخ عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م من أسرة مشهورة في مدينة مستغانم، وأخذ العلم على أهل بلده ثم انتسب أولاً لطريقة الشيخ أحمد بن عيسى المكناسي. ثم تعرّف بالولي الكبير محمد الحبيب البوزيدي وأخذ عنه الطريق. وقال له بعدما اكتمل سلوكه: «ينبغي لك الآن أن تحدِّث وتُرشد الناس إلى هذه الطريق، حيث إنك على يقين من أمرك»، فقلت له: وهل ترى أنهم يسمعون لي؟ فقال: «إنك تكون مثل الأسد، ما وضعت يدك على شيء إلاّ أخذته». فكان الأمر كما ذكَر، وكنت مهما تكلَّمت مع أحد وعقدت العزيمة على انقياده للطريق إلا وانقاد لكلامي وعمل بإشارتي حتى انتشرت تلك النسبة والحمد لله. أقام في تلمسان، ثم وهران حتى استقر أخيراً في مستغانم ولازم شيخه إلى أن توفي في ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، فتولى رئاسة زاويته. ثم شيَّد عدة زوايا في كافة أنحاء الجزائر والمغرب، وكانت منارة علم تدرس القرآن الكريم وعلوم الإسلام.
وللشيخ ابن عليوه مؤلفات عديدة، منها: المنح القدوسية في شرح المرشد المعني بطريق الصوفية، الأنموذج الفريد، القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول، لُباب العلم في سورة والنجم، دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النَّبي المختار، نور الأثمد في سنَّة وضع اليد على اليد، الرسالة العلوية ـ منظومة في التوحيد ـ، القول المعروف في الرد على من أنكر التصوُّف، مبادىء التأييد في بعض ما يحتاج إليه المُريد، تفسير سورة (والعصر)، الله القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد.

قُلتُ امْكُثُوا لأهْلِي فلَعَلِّي أجِدُ … هادِياً فوَجَدْتُ هُدَايَ في حَيْرَتِي

خَلَعْتُ النَّعْلَينِ بلْ خَلَعْتُ ما عليها … وما دُونَها كذا الوُجُودَ بِخَلْعَتِي

ثم راجَعْتُ نفسي في تحقيقِ حقِّها … فوجَدْتُها نوراً في نارِ صُورِيَّتي

وهُنا يُصْلَى العُشَّاق في العِشْقِ لَظَى … تَرْمِي بِشَرارِ الطَّرْدِ لِلمُتَعَنِّتِ

فدُونَكَ مِنْ شُعاعِ الحقِّ حقيقةً … إذا كُنتَ ذا بَصَرٍ تراهُ في مِرْآتِي

واعْتَبِرْ نَفْسَ الإطلاقِ في القَيْدِ لَحْظَةً … عساكَ تَرَى التَّوْحِيدَ في عَيْنِ الكَثْرَةِ

واثْبُتْ مَرْكَزَ التَّحقِيقِ في النَّفْسِ والحَشَا … مُعْتَبِراً مَحْضَ التَّنْزِيهِ أوَّلَ النَّشْأةِ

فتَطَوُّرُ الأطْوَارِ لِحُجبِ لُبْسِهَا … تحَقَّقْ ما بعدَ الطَّوْرِ خَلْفَ الإشارَةِ

وكُنْ كأنْ لَمْ تَكُنْ بِنَفْسِكَ كائِناً … لأنَّكَ لم تكُنْ بِنَصِّ الشَّرِيعةِ

هَلْ أتَى على الإنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ … ألَيْسَ فيهِ تَصْرِيحٌ بأوْضَحِ حُجَّةِ

فارْجِعْ بَصَرَ التَّحْقِيقِ مِنْ بعدِ كَرَّةٍ … في كُنْهِكَ مَنْ أنْتَ بعدَ الكَيْنُونَةِ

وإنْ رُمْتَ مِنْ فَيْضِ الجمالِ حُشاشَةً … فطُورُ سِينَا شَرْطٌ فبادِرْ لِعُزْلَةِ

واقْصِدْ جَنَابَ التَّعْظِيمِ للحَقِّ ساعِياً … بِبَذْلِ ما في وَسْعِكَ بينَ الأحِبَّةِ

وقُلْ يا أهْلَ وَدِّي بأصْدَقِ لَهْجَةٍ … لكُمْ يا أهْلَ وَدِّي خُضُوعِي وفاقَتِي

بِذُلَّةٍ وافْتِقَارٍ وتَهَتُّكِ الحَشَا … إنْ صَحَّ الرِّضا بِذا وإلاَّ بِحَياتِي

وإنْ قَلَّ باذِلٌ لِنَفْسِهِ في الهَوَى … لِعِزَّتِهَا وفي عِزِّكُم ذُلَّتِي

فلو كانَ مَهْرُكُمْ في الأُفُقِ مُمَيَّزاً … فنُبْذِلُهُ كُلاًّ لو كانَ بِراحَتِي

ولو كانَ وَصْلُكُمْ لَدَيَّ بِقِيمَةٍ … لعَجَّلْتُ في أدَا الجَمِيعِ بِسُرْعَةِ

ولَوْ كانَ مِنْ بيني وبينكُمْ حائِلٌ … لمَزَّقْتُ مانِعَ الوصولِ بِهِمَّتِي

ولو كُنتم في التَّحقيقِ بُعْدَ مسافَةٍ … لقَطَعْتُها عَزْماً ولو بِمَشَقَّةِ

ولو صَحَّ ذَا المَرَامُ بالفِعْلِ هُنْتُهُ … ولا أُبالِي بما فيهِ مِنْ حسناتِي

ولـو صَـحَّ وَصْـلُـكُـمْ بِـحَـظٌّ بَـذَلْـتُـهُ بِـمَـالِـي فـي دُنْـيـايَ ودارِ الآخِـرَةِ
وهَبْتُ ما عِندِي في الجمِيعْ مُتَبَرِّعاً في دِينـي ودُنْـيـايَ مِـنْ فَـرْضٍ وسُـنَّـةِ
ولتَقُلْ قَلَّ ذا المَهْرُ في جانِبِ اللُّقَا فـيـا حَـبَّـذَا الـتَّـبْـذِيـرُ بـيـنَ الأحِـبَّـةِ
فـجَـلَّ مـقـامُ الـحُـبِّ عـنْ كُـلِّ سِـيـرَةٍ فمَذْهَبُ أهْلِ الهَوَى وحُسْنِ العَقِيدَةِ
فلَيْسَ يُضافُ الحُبُّ في طَلَبِ الهَوَى لـشَـيْءٍ أعْـظَـمُ بـه كَـفَـى مِـنْ وسِـيـلَـةِ
فلوْ كانَ لي نَصيبٌ في الحُبِّ عادَةً لـجَـعَـلْـتُـهُ قَـصْـدِي وَدِيـنـي ومِـلَّـتِـي
أحِباءَ والحُبُّ شَفِيعٌ لأهْلِ الهَوَى إذا صَـحَّ لَـمْ يَـبْـقَ لـدَيْـهِ مِـنْ سَـيِّـئَـةِ
فمهما كان التَّحْقِيقُ في الحُبِّ غايَةً فـلا يُـنـاقِـضُ الـوَدَّ فَـرْطُ الإسـاءَةِ
فـهَـاتِ لـي حُـبّـاً والإسـاءَةَ فـحُـزْهُـمَـا ولـكَ واشٍ مـا شِـئْـتَ دُونَ الـمَـحَـبَّـةِ
فَـلِـي حَـبِـيـبٌ والـمـحَـبَّـةُ بَـيْـنَـنَـا ولسْتُ أخْشَى سِوَى ما فيهِ قَطِيعَتِي
ولو كنْتُ صادِقاً وفي الحُبِّ راسِخاً لمَا خَشَيْتُ أمْراً مَعْدُومَ الحَقِيقَةِ
فَمَتَى يكونُ الفَصْلُ والوَصْلُ حاصِلٌ إلاَّ مُـجَـرَّد تَـخْـيِـيـلٍ تـأبَـاهُ سَـجِـيَّـتِـي
فيا لَيْتَ شِعْرِي ما الحَبِيبُ الذي نَرَى فهَلْ طَلَبْتُ غَيْرِي أمْ نَفْسِي مَطْلُوبَتِي
فـإنْ كُـنْـتُ ذاكَ أنـا بَـلْ حِـبِّـي أرَدتُـهُ فـمَـطْـلُـوبـي مِـنْ نـفـسـي والِـيَّ غـايَـتِـي
وهـل هـذا مُـمْـكِـنٌ في نـفـسـي كـائِـنٌ مَـطْـلُـوبٌ وطـالِـبٌ فـي نَـفْـسٍ واحِـدَةِ
فهذا عِشْقُ المَعْشُوقِ في العِشْقِ حَيْرَةٌ وكـانَ حُـبُّ الـحَـبِـيـبِ يُـرَى مِـنْ زَلَّـةِ
فـكـيـفَ يـكُـونُ الـحُـبُّ إنْ كـانَ واحِـداً ومتَى يَكُونُ القُرْبُ في الفَرْدِ المُثْبَتِ
فـالـقُـرْبُ مـعَ الاثْـنَـيْـنِ والـحـقُّ واحِـدٌ فـدَعْ عـنـكَ مـا تَـرَى سَـرَابـاً بِـقِـيـعَـةِ
فـإنْ جِـئْـتَـهُ تَـجِـدِ الـلَّـهَ مِـنْ دُونِـهِ ولا سَـرَابٌ يَـبْـقَـى مَـعَ الأحَـدِيَّـةِ
فـهُـوَ واحِـدُ الـذَّاتِ فـي الـكُـلِّ ظـاهِـرٌ فـأيْـنَـمَـا تَـوَلُّـوا ظُـهُـورُ الـحَـقِـيـقَـةِ
فـيـا ظـاهِـرٌ لـنـا بِـظُـهُـورِكَ الـذي ظَـهَـرْتَ بـه حـقّـاً لـذَوِي الـبَـصِـيـرَةِ

فهَيِّيء لنا بَصَراً لا يَرَى سِوَى الصَّفَا وهَيِّيء لنا سَمْعاً لِتِلْكَ المُناجاةِ
وهَيِّيء لنا قَلْباً مُطاعاً إلى الهَوَى وهَيِّيء لنا عَقْلاً مِنْ نُور النُّبُوَّةِ
واجْعَلْ لِساناً لنا إلى الحَقِّ داعِياً واجْعَلْ فَهْمَنَا عَنْكَ في كُلِّ الخَطَرَاتِ
واجْعَلْ هَوَانا دَوْماً إلى الشَّرْعِ تَابِعاً مُوَافِقاً بالطَّبْعِ لِخَيْرِ الخَلِيقَةِ
عليْهِ صلاةُ اللَّهِ ثمَّ سَلامُهُ ما سَرَّتْ ذَوُوا الأسْرارِ عِلْمَ الحَقِيقَةِ

* * *

فهرس المحتويات

الحقائق الإلهية في

تائيات الصوفية

هذا الكتاب

في إطار الحديث عن الإنسان الكامل، أو الحقيقة المحمدية، أو الحق المخلوق به، أو حقيقة مقام الإحسان مقام عبادة الله تعالى على الشهود والعيان، نقدم للقرّاء الكرام عشرين تائية صوفيَّة لكبار العارفين بالله تعالى، الذين تحدَّثوا عن هذه الحقائق بأسلوب شعري تنتهي أبياته بحرف التاء، وقد رتِّبت هذه التائيات بحسب ولادة ووفاة مؤلفيها.

والتائيات موضوع الكتاب هي للعارفين بالله تعالى التالية أسماؤهم:

١ ـ محمد الغزالي: ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ.
٢ ـ عبد القادر الجيلاني: ٤٧٠ ـ ٥٦١ هـ.
٣ ـ عمر بن الفارض: ٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ.
٤ ـ محيي الدين محمد بن عربي: ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ.
٥ ـ حسن السنجاري: ٥٨٣ ـ ٦٣٨ هـ.
٦ ـ إبراهيم الدسوقي: ٦٣٣ ـ ٦٧٦ هـ.
٧ ـ العز عبد السلام المقدسي: ٠٠٠ ـ ٦٧٨ هـ.
٨ ـ عامر البصري: ٠٠٠ ـ ٦٩٦ هـ.
٩ ـ محمد وفا: ٧٠٢ ـ ٧٦٥ هـ.
١٠ ـ علي وفا: ٧٥٩ ـ ٨٠٧ هـ.
١١ ـ محمد البكري: ٨٩٨ ـ ٩٥٢ هـ.
١٢ ـ زين العابدين البكري: ٩٧١ ـ ١٠٠٧ هـ.
١٣ ـ عبد الغني النابلسي: ١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ.
١٤ ـ علي البيومي: ١١٠٨ ـ ١١٨٣ هـ.
١٥ ـ محمد البوزيدي: ٠٠٠ ـ ١٢٢٩ هـ.
١٦ ـ عمر اليافي: ١١٧٣ ـ ١٢٣٣ هـ.
١٧ ـ محمد الحراق: ١١٨٦ ـ ١٢٦١ هـ.
١٨ ـ محمد الكتاني: ١٢٩٠ ـ ١٣٢٧ هـ.
١٩ ـ عبد القادر الحمصي: ٠٠٠ ـ ١٣٥٣ هـ.
٢٠ ـ أحمد العلاوي: ٠٠٠ ـ ١٣٥٣ هـ.

ISBN 978-2-7451-4751-6
9 782745 147516 90000
Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
هاتف 12/ 11/ 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
دار الكتب العلمية®
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971